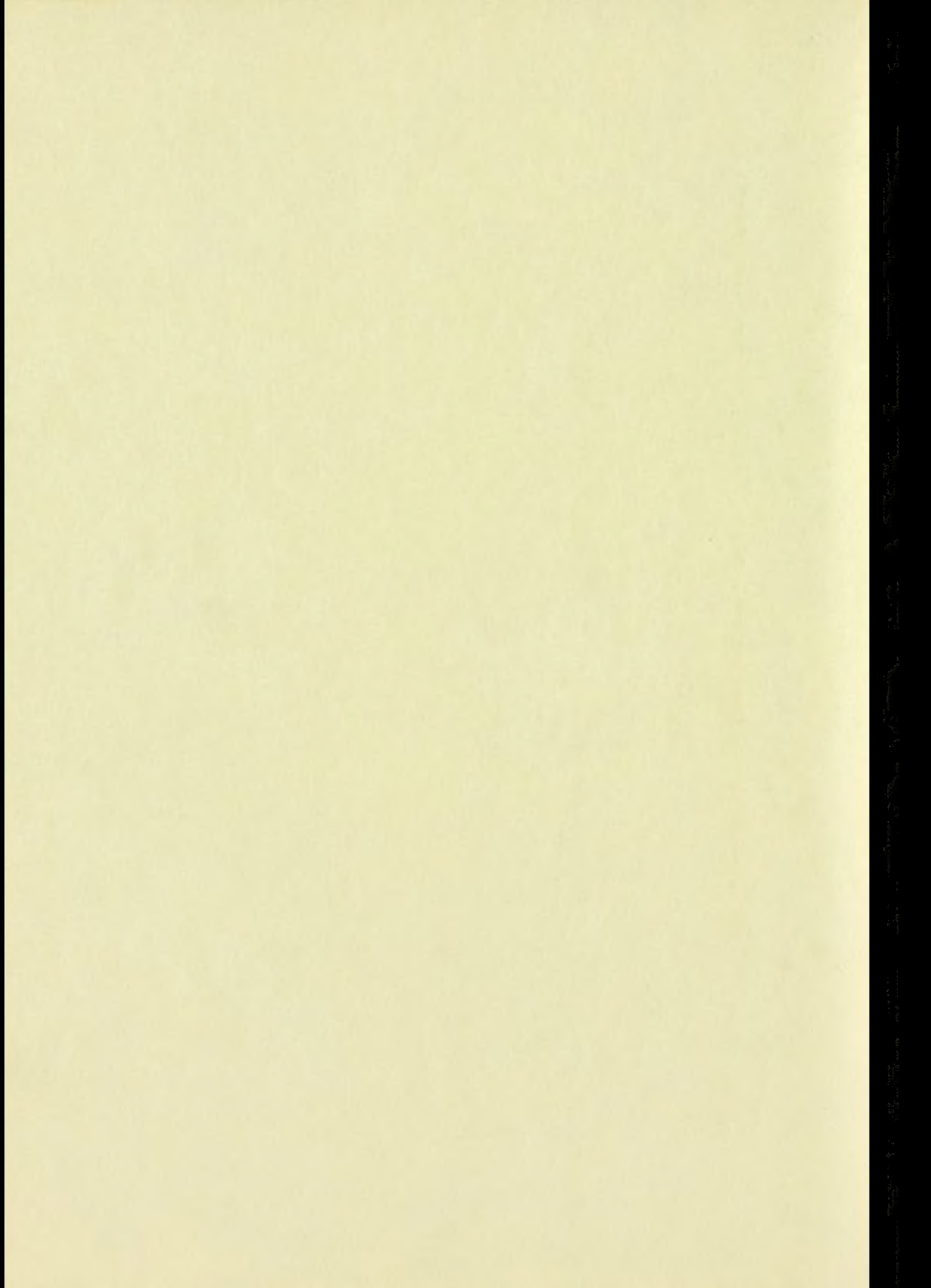
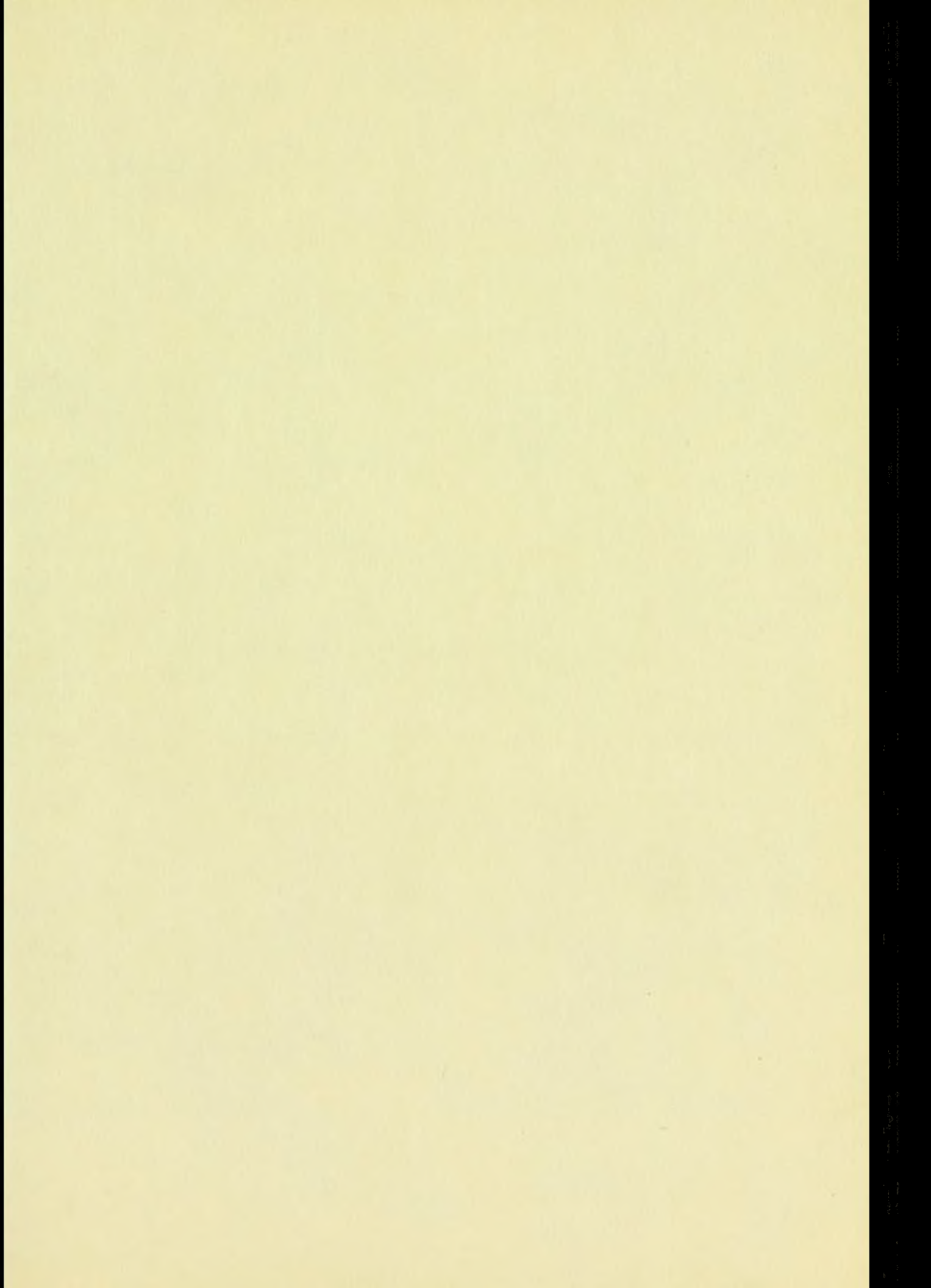


THE LIBRARIES  
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY







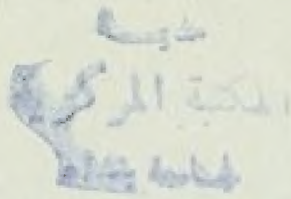
# نصوص ودراسات عربية وافريقية

في اللغة والتاريخ والأدب

الدكتور ابراهيم السامرائي







سلسلة الكتب الحديثة  
٣٦

وزارة الاعلام  
مديرية الثقافة العامة

# نصوص ودراسات عربية وافريقية

في اللغة والتاريخ والادب

الدكتور ابراهيم السامرائي

956  
Dr 27  
36

پ 86  
47

p. 171-186



# المُقَدِّمَة

أيها القارئ الكريم

هذه فصول أدبية وتاريخية تتصل بالثقافة المعاصرة والثقافة  
القديمة للشعالي الأفريقي والاندلسي . آثرت أن أسلكها في هذا  
المجموع لتيسر منها الفائدة ولتسهل مراجعتها ، والله الموفق للصواب .

قوله

في قوله

فمنهم من قالوا ان الله تعالى

هو الذي خلقهم وخلقهم

فمنهم من قالوا ان الله تعالى



# من الأدب الفرنسي





## اللون التقليدي المحافظ

لقد حجب الاستعمار الفرنسي الشمالي الأفريقي عن سائر بلدان المشرق العربي وقد طال أمد هذه القطيعة ، فلم يتح للمغاربة على وجه العموم أن يتصلوا باخوانهم عرب المشرق إلا بعد أن تنص اخواننا المغاربة عنهم ظلام المستعمر وظلمه • ولم يتح لنا - نحن المشاركة - أيضا أن نعرف عنهم إلا ما تكتبه كتب الثقافة الفرنسية عنهم وفي هذا ما فيه من جور على الحقيقة وابتعاد عن الواقع وظلم للثقافة الحرة •

والادب العربي في تونس بسبب هذا الاستعمار البغيض لم يتها إلا أن يتبع وظل متأثرا بالأساليب القديمة • والاديب عمده القوم هو الزينوني • وأقصده بالزيتوني الذي تلقى العلم والادب في المعهد التونسي الكبير الجامع الأعظم جمع الزيتونة الشهير • وقد ظل هذا المعهد العظيم منارا للمعلم وحاميا للعربية والحضارة الإسلامية ، ووافيا في وجه هذه الثقافة الدخيلة التي جاء بها الاستعمار والتي أريد منها أن تسود في هذه البلاد المسلمة وأن تبقى فيها آثارا واضحة • ولن ينسى لها ذلك ، لا بالقضاء على العربية ما وسعهم العمل •

وهذا العنف الاستعماري الذي أراد السيطرة على ثقافة الأمة بسحق حضارتها وإبعادها عن أصولها العريقة ، بعث في الأمة التونسية الوثبة الكبرى في الحفاظ على العربية وآدابها ، وهذا الحفاظ أو قد هذه الحماسة هي التي حملت أهل الادب على أن يحتفظوا بها ورثوه من ثقافة ومنهج في فهم هذه الثقافة •

فإذا تنهيا للمباحث أن يدرس هذا الأدب التونسي فلا بد أن ينهج في ذلك منهجا علميا فيتقصى اللون التقليدي المحافظ الذي درج عليه الأدباء التونسيون في مطلع هذا القرن ، حتى إذا اتبع لنظر منهم أن يتصلوا بالنهضة التي بدأت أنوارها تسطع في الشرق العربي من الناحية الثقافية ، أخذ هؤلاء بشيء من المنهج الجديد الذي ستعرض له في هذه الدراسة .

أقول : إن هذا الأدب التونسي لم يكن شيئا غير الذي وجدناه في ديار المشرق إن لم يكن صورة تقليدية له . غير أن هؤلاء المغاربة قد شعروا بأنهم في إقليم يفصله عن المشرق أكثر من فاصل واحد ، وقديما كن المغاربة يشعرون هذا الشعور ، فقد كان فيهم الأديب والعمامة والشاعر والمحدث والفيلسوف وغير هؤلاء من أصحاب الاختصاص . أما الحال في عصرنا الحديث فلم تكن شيئا يختلف عما كانت عليه في العصر الخاني ، فالتونسيون وغيرهم من المغاربة يشعرون بهذه الإقليمية الأدبية ، وآية ذلك أنهم قلدوا المشرقة في نصيب أمير الشعراء عندهم سمو أمير شعراء الخضراء . ويبدو من ذلك أن الأجماع لم يحصل علىبيعة شوقي من شعراء المشرق ، وهم في ذلك يريدون أن يقولوا للمشارقة : انا مثلكم أو خير منكم ، أو كأنهم أرادوا أن يقولوا مقالة السلف : « منا أمير ومنكم أمير » .

وهذا التونسي الذي يبيع على أمانة الشعر هو محمد الشاذلي خزندار<sup>(١)</sup> من البارزين بين الشعراء التونسيين في مطلع هذا القرن .

(١) محمد الشاذلي خزندار من شعراء تونس . ولد سنة ١٢٩٩ للهجرة وقد نشأ في البلاط التونسي وترعرع في الشرف والتعظيم غير أن هذه النشأة لم تنسه الشعب التونسي فظل يتحسس بألامه ويشيد ببطولته ومفاخره . ومن أجل هذا فقد أبعد عن أي منصب من مناصب الدولة العالية .

وانظر في شعره لا يؤيد هذا اللقب الخطير الذي بويح عليه ،  
فهو رصاف للقوافي ليس غير ، وما أكثر رصاف القوافي في كل مصر  
من الأمصار ، ولكنه يرصفها بشكل جعلت محمد الفاتر القيرواني  
يلقبه « بهزار الخضراء »<sup>(٢)</sup> والخضراء تونس كما هو مشهور  
معروف ، وإن « هذا الهزار » تفاخر به الخضراء « أرض الكنانة »  
في « يوم الزمان » . إذن فالمسألة مسألة سبق ورهان ، وإذا كان من  
سبق فلا بد من نصب يحترزه السابق ونصب السبق عرش الامارة .  
ونرجع الى شيء من شعر أمير الشعراء خزنة دار فنسمعه يقول  
في « البحر » :

البحر من لا يستكين لمرهف	فعلبك خصصت ثم ويحك نمتي
وحده بحقت في الحياة ولا تقل	« ان البلاء موكل بالمنطق »
فلم تستجدي وحقت بين	شلت يد تمتد المستصدى
تبالم ألف الخنوع لغاشم	ما تلك الا شيمة المتاع
أولى وأحرى أن يبيت على ظما	من ظل من ماء المهانة السقي
فيم احتمالك والكوارث جمة	ممن يراك بنظرة المنفرد
نسم وعسي ساخرين تطولا	ما كآنا في النوى لم نخلق

الى آخر هذه الايات التي لم نتوقع أن تكون لناظم خامل الذكر  
في أيدينا فضلا عن أنها لشاعر ، بل أمير الشعراء ، فهذه الايات  
أعلق بالنظم وألصق بالرصف ، فلا تقرب من مادة القن التي تفضي  
أدوت وآلات لا يملكها السيد الخزنة دار ، وليس في هذه الايات

(٢) لقد تابع الشاعر التونسي مع آخرين الشاعر خزنة دار بامارة  
الشعر قائلا له :

أمير القوافي وحارصها	ويليل تونس شيخ البيان
فانت الهزار بخضرائنا	تفاخر مصر بيوم الرهان



الأجملته معن مختلفة متباعدة أفرغ الناظم كلا منها في بيت من عدة  
هذه الأبيات بطريقه تقريرية حكائية لا تبعد كثيرا عما يخوض الناس  
فيه من شؤونهم اليومية . فأنت إذا رجعت الى هذه المقطوعة وجدتها  
أجزاء منفصلة لا توحى ان صاحبها قد نظر لموضوع . البحر . نظرية  
النظان الذي يريد أن يصنع الصورة الموحية للبحر في عالم يتسقى  
فيه . وأين هذه الصورة التي نريدها من أبياته الأخيرة التي انصرفت  
على الصيحة والعظة .

ومن المظاهر التقليدية في شعر الشعراء أنه عارض الشعراء  
الأقدمين . ومن الطريف أنه عارض بأية أبي نواس الخمرية المشهورة  
التي مطلعها :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب

وكذلك فعل شوقي فعارضها قائلا :

حفا كأسها الحبيب فهي فضة ذهب

أما صاحبنا التونسي أمير شعراء الخضراء فقد قال :

راحة النهى الطرب هاتها فلا عتب

البدان مترعة والخمور تنسكب

والكؤوس جارية طاف فوقها الحبيب

بنت كرمه جليت نعم ذلك النسب

رحبوا بأنسة زقها لنا العتب

وهكذا يستمر في وصف الخمرة ومجلسها وآلتها وما يصحب  
هذا المجلس من انس وقصف ولهو وغناء . والمعارضة باب من أبواب  
التقليد وأصحاب المعارضة يترسمون التصديق وقد يأتون بالنظير في  
تحريف طفيف . والأغلب في المعارضة ان المعاني مستعارة من الشعر

القديم إلا ما أملت في ظروف الواقع الجديد .

ويجري على هذا النمط التقليدي شعر أبي الحسن بن  
شعبان<sup>(٢)</sup> من الشعراء التونسيين في مطلع عصرنا الحديث . والتونسيون  
يروونه أشاعر الكبار ولكن النظر في شعره لا يخولنا تصديق هذا  
الزعم فلنستمع لأبي الحسن في رثاء الشاعر الأمير (محمد الصالح بن)  
يعزي فيها السيد الشاذلي خزندار أمير الشعراء فيقول :

أمير الشعر قد عظم المصائب      وحل بدار ندوتنا الخراب  
وفجأت الزمان بفقد خدن      تقانت في محبته الصحاب

إلى أن يقول :

وكانت فيه آمال كبار      فاسدل دونهما عنا الحجاب  
تغيب عن مجالسنا اضطرابا      فساء جميعنا هذا الغياب  
واظلم عنه ذا النادي وحدت      عن الانشاد الفاظ عذاب  
وكنت أسائل الأتراب عنه      دواما كلما عز اقتراب  
وأرجو أن تطيب له حياة      وأرجو أن تزران به رحاب  
فقلوا أنه أمسى غيبلا      فأرق مهجتي هذا الجيوب  
وقلوا إن في خطر عظيم      فمس مكان القلب اضطراب  
وقالوا مات من ألم فسحت      عيوني منكما سح السحاب

وإذا عدت إلى هذه الأبيات ثقلها فرادى وجدتها تشكو ضعف  
البناء ، فإذا نظرت إلى البيت الثاني وجدت الشاعر يقول « تقانت في

(٢) أبو الحسن بن شعبان من مشاهير الشعراء التونسيين . وله  
سنة ١٨٩٧ في أسيرة عرفت بالنبل والزهد والتقوى . ومن أجل  
ذلك فقد شب على ثقافة دينية ، ثم دخل الجامع الأعظم وتخرج  
في الزيتونة ، العامرة .

محبيه الصحاب ، فاستعمل فعل التفاني الاستعمال المألوف فكأنه يريد  
به «الفناء» . والصحيح في دلالة الفعل «تفاني» أن يحصل الغناء كما  
نفسي جماعة جماعة أخرى كما في قول الشاعر القديم :

تداركنا عيسا وذيان بعد ما      تقانوا ودفنوا بينهم عطر مشم

ثم انك تشعر أن الشاعر يتصيد الكلمات نسلم له عسدة من  
الآيات على قافية واحدة وهو في ذلك يسلك كل مسلك ، وعمر ، فإذا  
قرأت البيتين الآتين :

وأظلم عنه ذا النادي وصدت      عن الانسداد ألفاظ عذاب  
وكنت أسائل الأتراب عنه      دواما كلما عسر اقتراب

بينت ضعف التركيب في « وأظلم عنه ذا النادي » وفي قوله  
« كلما عر اقتراب » . ولا أريد أن اعلق على « الأتراب » الذين  
جعلهم وصفا للمذكر ، والكلمة لم يرد استعمالها إلا في المؤنث كما  
في قوله تعالى : « عربا أترابا » ، وإن قيل إنها تصلح للمذكر .

ثم يتوجه الشاعر الى « أمير الشعر » فيذكره يوم وفاة المرثي  
وكيف جاءوا به وواروه التراب بأسلوب لا يخلف عما رأيناه في  
الآيات التي أبتناها ، والقصيدة في جملتها غير جيدة . ولصاحبها  
مقطوعة يبدو فيها ميل الشاعر الى النهج القديم . وهي آيات في رثاء  
قطب من أقطاب الصوفية . والمنصوفة يومئذ قد فقدوا الخطوة لدى  
الامة ذلك أنهم شايعوا المستعمر الفرنسي . وأنت تقرأ هذه الآيات  
فلا ترى فيها مادة شعرية بل هي ألفاظ جرب فيها صاحبها صنعة  
النظم التي تقتصر الى عناصر الفن الاصيل . يقول الشاعر في رثاء  
صاحبه :

قد عاش طول حياته متعبدا      في خلوة وتبوأ المحرابا



يتلو كتاب الله وهو أعز ما يتلوه من قد لازم الأدبا  
فإنه جل جلاله قد خصه بمزية يعلو بها الأقطابا

وما أظن أن هذه الأبيات من مادة اشعر ، ولكن الباقى التونسي  
يعود فيعقب على هذه الأبيات بأبيات أخرى تصور عواطفه نحو ذلك  
« القطب » فيقول :

قد كنت أمل أن أقود بزورة لعلاكم وأقبل الأقطابا  
وأزل من ذلك المحيط نظيره تحيي فؤادا بالجوى قد ذابا  
أكرم بها من زورة لو عجلت لرجعت منها قد ملأت وطبا  
قد كنت أرففها بلوعة مغرم وأريد أن أشقى بها أوصابا  
حتى أنت أبدا موتك بغية فبقيت بعدك لا أسيع شرابا  
من ذا الذي من بعد موتك يرتجى كيما يسوف لنا الله سبحانه  
أم من يكون إلى البلاد نصيرها أن أطلعت فيها السنون مصابا

تقرأ هذه الأبيات فلا تثير في نفسك شيئا • فأين هي العواطف  
الحرارة ؟ وأين هي الالتفاتة الفنية الشاعرة ؟ ولكنك من غير شك  
واجد في هذه الأبيات ضيق الشاعر وحرجه ومعاناته لتصيد الخفايا  
فوافيه لنتها له عدة هذه الأبيات التي لم تنصف الرثاء •

وشعر أبي الحسن بن شعبان لا يمكن أن يتخذ مادة للحكم له  
بشيء ، فهو نظم لا يصح أن يكون شعرا • من ذلك قصيدته التي  
أسمها « انشودة التونسي » وهي موشحة طويلة اشتملت على فوافي  
عدة ، ولسمعه في شيء منها :

أيا تونس الانس ماذا الأفي بهيك من موجعات الغرام  
وكم لك من عاشق ذى احتراق براه انصنى وجفاه المنام

تقد أودع الله فيك جمالا      به قد تفردت بين البلاد  
وأجرى بك الماء عذبا زلالا      بهام الربا ويطون الوهاد  
وأكسب فيك الهواء اعتلالا      فكان عسلا يداوي الفسواد

وهذا النظم لا يفصح عن أغنية خفيفة عذبة لعاشق يراه الضنى  
وجفاء المنام • انما يشير الى غناء صاحبها في اعداد هذه العدة المقطبة  
التي يعوزها شيء من لطف التصنع وبراعة الاداء •

وقد قيد الشاعر نفسه في هذه الايات فجعل الاعاريض على  
قافية والاضرب على قافية أخرى وفي هذا أصبح سجين الالفاظ يصل  
اليها بجهد ويتشبع فيها بكل وسيلة فهو يقول :

أنا منك يا موطني في رواف      وفيك الهنا وافر مستدام  
وجودك لي كان أكرم ساق      به ترتوى النفس بعد الاوام  
ويختم هذا الحشد بقوله :

لتصبح تونس ذات اعتناق      لعز توى اليوم تحت الرجسام  
واذ ذاك ينكف دمع المآقي      واذا ذاك تحيا حياة الكرام  
وما أظن هذا الضعف يخفى على السداد •

ويستقبل الشاعر سنة ١٣٣٥ هـ من سني الحرب الكبرى فيقول :

أهلا بطلمع بدر لاح في الأفق      يزيل ما في نفوس الناس من قلق  
تقد تجلت لنا أنوار طلعتهم      والجو يخال في برد من الشفق  
ومد بدا والاسى في القلب منبعث      والجسم في تعب من شدة الارق  
انني لأمل أن يهدو بطلمع      للناس سلم به يرتاح ذو قلق  
سلم يعم بلاد الله قاطبة      به يزول الذي قد كان من حلق

وأن تزول الحروب التي ظهرت      بالأرض حتى يسير الكون في تسق  
ويصحو العيش مما حل من كدر      كما صفت من فنون الزور نفس نفسي  
وتنزع الأرض أبواب الجحاد لكي      تبسود الينا بثوب أبيض بقق

وعلى هذا النحو من البناء الركيك ينظم أبو الحسن بن شعبان  
قصيدته في استقبال سنة ١٣٣٥ • وليس بي حاجة الى أن أدل القاريء  
على مواطن الضعف ذلك أنه يعرف ان هذه الأبيات تبعد كل البعد  
عن الفن الأصيل •

ويستقبل سنة ١٩٣٦ من سني الحرب النكوية الأولى بقصيدة  
كصاحبها من حيث البناء الذي لا ترمه مادة عامرة فهي الفاظ صفت  
تستعين بشيء من الوزن • والوزن ليس كل شيء في الشعر ،  
فهو يقول :

هل لاح بدرك بالسرقة مشرقا      أم أنت مثل أخيك تنذر بالشتا  
يسدري الفنى ما مر من أيامه      وسواء في الأذهان لن ينحفظا  
والدمر فيه عجائب مكنونة      كم جر من جيش الحوادث فيلقا  
اني أرى الأيام تعبت بالفتى      وتيله ما لا يكون الا وفقفا  
لو يعلم الأسنان ما سيصيبه      بغد لما لاقى ( غدا ) متسوقا  
وتخل عن أعماله متحيرا      في ذلك الأمر السدي لا ينقى  
الى أن يقول :

عام مضى فأنى سواء وهكذا      يجري الزمان بنا كراكب أبلغا  
خفف خطاك أيا زمان وسر على      مهل وكن بالمنتطى مترفضا

وبعد فما أظنني قد جازيت الصواب في حكمي على الشاعر ،  
فصاحب هذه المقطوعات لا يمكن أن يكون في زمرة شعراء ، فهو



نظام والنظم غير الشعر . وما أظننا نعطي صورة صحيحة عن أدب قوم اذا استقرينا نماذجهم في نظم لا يرقى الى الشعر الرفيع .

ولا بد أن نختم هذا الفصل فثاني على أبيات تكلم فيها الشاعر على « الخلافة العثمانية والكماليين » والقصيدة لا تخرج عن المستوى الذي أمرنا اليه فهو يقول :

نلتهم بفضل الدين أعظم عزة	وأردتمو لعظيمه إذلالا
وأتيتمو الأمر الذي قد زلزلت	من هولاه أقطارنا ذلزالا
ونكبتمو الاسلام عن عمد وقد	كتمت عليه مع الزمان والبالا
أنزتمو ذاك الخليفة من منا	زل عزة وأذتموه نبالا
ورضيتمو ابعاده عن موطن	قضت به آباؤه أجبالا
يا مصطفى أغضبت طه المصطفى	وأضعت مجدا نلته وكمالا

ربما أيقنت معي أن هذه الأبيات لا تملك من الشعر الا هذه الموسيقى . أما معانيها فكلام مما يسرده عوام الناس .

ومن التونسيين الذين لم يكن شعرهم الا نظما خلا من الكثير من أدوات الفن المقتضاة السيد حسين الجزيري<sup>(٤)</sup> .

والنظر في مختارات هذا الأديب يدل على انه لم يرزق التريجة المخصصة ولم يكن له في هذه المعاناة الا التقرير . ولتقرأ قصيدته « سائلوني » لتعرف صدق هذا القول :

---

(٤) حسين الجزيري من الشعراء التونسيين الذين انصرفوا للنصحافة وكان صاحب « النديم » وهي صحيفة ادبية فكلامية اصدرها عام ١٩٢١ .

سألتوني ان رأيتم كدري  
أنا مهموم حسير الطرف ما  
سألتوني ما الذي وقت الصباح  
طائر أودى به فرط النواح  
قلت مهلاً ما الذي تشكو ؟ فصاح  
كيف سلوا لوجد مقصود من الجناح  
يا ترى مقتضي كيف استباح  
كنت أشدو في غدو ورواح  
قلت ويل ! هذا جد أم مزاح  
طائر من ضره في ضجر  
سألتوني ان رأيتم كدري  
أنا مهموم حسير الطرف ما

الى أن يقول :

عجيب لا ينتهي مما أرى  
أمة قد خلق العسف بها  
حق للاجفان أن تسقى النرى  
فهي والله أهاجت فكري  
من نفوس في الملاهي مازحه  
وهي للهو بجذ جانحه  
وعجيب للنفوس المازحه  
وأطالت يا لقومي سهري

وأظن أن هذه الأبيات لم ترتفع عن النظم الذي ليس له من  
الشعر إلا هذه القوافي وهذه الموسيقى : موضوع الأبيات الشكوى ،  
والشكوى من الموضوعات العاطفية التي لو تها لها صاحب الفن  
الموهوب لجاء بالموجع المؤلم في نوب قد اتسق لعاطفاته الحرار .

أما السيد الجزيري فهو على شكواه الباردة التي تفتقر للدفع ،  
فقد جاء بساؤده ضعيفا يتشبث بالوزن بكل زخاف معيب ، فلا أرى  
شاعرا سلمت له المقدرة الشعرية وهو يقول مثل هذا :

قلت ويلي ! هذا جد أم مزاح ...

ومثل هذا لا يفوله إلا النخبة المبتدون ممن يلوكون الشعر  
فلا يأتون عليه إلا بعد سنين من معالجة النظم .

ويدخل الشاعر السجن جزاء ما قدم لوطنه الحبيب من جليل  
العمل فيضيق ذرعا بهذه البيئة البغيضة ويشكو منه ويطلق عواطفه  
حزينة كئيبه فيقول :

أي القلوب يرى ما قد عرى كبدي	ولا يذوب لما يلقي من الكبد
لم يبق للدهر سهم في كذاته	سهامه كلها آلت الى جسدي
أمنت بالله كم يلقي الرجال عنا	وكم يقاسون من ضر ومن نكر
وكم تقطع أسباب بهم ولكم	يعدو عليهم من الأرزاء بلا عدد
هو التجلد لو لا الصبر لانبعث	نار بأفئدة من باطن الجسد
تبَّتْ يدا زمن لا زال يرهقنا	بما يسير لعهد الشيب بالولد
وامقت الضيم من كل النوائب ما	ينوب من يتغي الاصلاح للبلد
يسعى لترقية الاوطان مجتهدا	فيفتدي قائلا ماذا جته يسدي
فالويل يطلبه والسجن يخطبه	يقدر رهيبا عديم الخل والسند

وعلى هذا النحو يطلق الشاعر عواطفه ، وليس من شك ان  
هذه الأبيات لا ترتفع كثيرا عما أبتناه في المقطوعة الاولى .

ويخاطب الشاعر العصفور على نحو ما يفعل الشعراء فيشكو



إليه مما يعاني من آلام فيقول :

غشاؤك يذكى لهيباً بصدري	وما هو إلا نواح الأسير
لقد كنت مثلك إذ طُل أسري	ومثلك كنت أود أطمير
وكنت إذا ما نظمت فريضاً	يقولون عني أسير طرير
وشعري يفيض من القلب فيضاً	وما الشعر إلا دموع اقلوب
أراك بريئاً وقد كنت أيضاً	أسيراً بريئاً عديم الذنوب
فصرت إذا ما سمعتك أدري	لشجوك معنى يهيج الضمير

تقرأ هذه المقطوعة فلا تحس حرارة النجوى ولا تدع الألم  
وإذا افتقر الشعر العاطفي الوجداني إلى الحرارة فماذا عسى أن  
يكون !

ثم يختم هذه المقطوعة بقوله :

يذكر نفسك نفسي مضيقاً	بذكره تذكر نار النجيم
فقلبي لقبلك أضحى شميم	وهاج بحزنك حزني القديم
لك الله أني أراك خليفاً	بعطفي وأنني الشفيق الحميم
إذا ما أهاجك يا طير شعري	فشعرك أذكى فؤادي الكسير

وجملة هذه الأبيات تنفّر فيما عدا ذلك إلى البناء السليم ،  
فهني أبعد ما تكون عن صفاء الديباجة وهي تشعر أن صاحبها كان  
قد عانى كثيراً في جمع شذنها على هذا النحو الذي لا يدعوك إلى  
مسامحة . ثم انه لا يملك مادته اللغوية على الوجه الصحيح . ألا تراه قد  
استعمل « أهاج » رباعياً مزيّداً وكان عليه أن يستعمل الثلاثي في  
هذا المعنى ، لأن الرباعي لا يؤدي معنى « هاج » فقد قالوا : أهاجت  
الريح الثبت أي أبسته . وهذا الاستعمال من الدارج المشهور في  
اللهجة العامة حملاً على « أثار » مما هو في معناه .

ويحب الشاعر وطنه فيشرح هذا الحب بأسلوب هو أسلوب  
الغزل فيقول :

يرى الحب جسمي فكيف العمل	وهل للآسى من حميم شفيق
يعيد إلى القلب ميت الأمل	فينجي من الفرق جفني الغريق
أنا الحب لكن غرامي عجيب	أحب المزاحم في ذا الغرام
وأهوى الذي بات يهوى الحبيب	ويحرم مثلي لذيد المنام
فأمزج حزني ودمعي الصبيب	بحزن ودمع له في السحيم
فقلب بنار الغرام اشتعل	بعمري أراه لقلبي شفيق

قلت انه يحب وطنه ولكنه لم يكن له أن يجلو هذا الحب في  
لون أنيق جميل . ويرى الشاعر أن الخمر أم الشر وأصل البلاء،  
فيقول في هذا المعنى :

أفكارنا تضطرب ممن نراهم كلبوا  
فالجرم أضحي هينا أنواعه تركب  
والخمر هو السبب

ان البلايا كثر والاشقياء انتشرت  
كم من رموس كسرت من يد قوم شربوا  
والخمر هو السبب

هذا قيل مرئى قد عام ليلا في الدم  
فتش عن المجترم وابحث تجده يشرب  
والخمر هو السبب

ما دام في الناس الخمر شيئا مباحا كالفلطور  
والأمن قد طار بخور لا تنتهي ذى النوب  
والخمر هو السبب

نقرأ هذه الايات فلا نرى حاجة الى صوغ هذه المعاني بهذا  
 القالب الشعري وما أغنانا عن سماع هذه الافكار التي لا يمكن أن  
 تسمى شعرا ، والتي جاءت أقرب الى اللون العامي منها الى الفصح .  
 ألا ترى أن الوزن لا يستقيم الا بتشديد « الواو » في « هو » على  
 الاسلوب العامي ، ولكن ما العمل فقد حال افتقر الشاعر الى الشعر .  
 والشاعر لا يعلو عن هذا المستوى فكأنه ينقل بكلام معرب ما  
 يتحدث عنه الناس اذا اضطربوا سخابة يومهم . ومن هذا الباب  
 قوله في وصف حفلة :

ليلة قالوا حوت كل سرور	واشراح
بينات الخبث ربات الفجور	في ارتياح
وأنا كنت كتور يفسود	للصباح
دارت الخمرة ما بين الرجال	والاوانس
واذا القوم تولاهم خيال	أو مجانس
فلت ويلي انني وسط جمال	بالبرانس
وبينات الدار ينظرون العجب	بانسبابك
حاسدات ربة الحلي الذهب	والسنابك
قل لرب الدار ذا داء الكلب	قد أصابك

أقول هذا كلام عامي وان جاء فيه شيء من الأعراب الفصيح وهو من  
 غير شك نظام بارد ضعيف لا ترقى مادته الى مستوى الكلام المقبول .  
 وله قصيدة نمرح فيها « عجائب السجن » بأسلوب قصصي ، والذي  
 نلاحظه في هذه القصيدة ان الشاعر قد استعمل فيها الالفاظ التي يستعملها  
 السجناء في مطلع هذا القرن في تونس . وهذه الالفاظ فرنسية أكسبها  
 الاستعمال المحلي لونا خاصا فاندست في العربية الدارجة التونسية .



هو السجن ان اسعدت يوما بزوره  
عجائبه ما جاء عصر بمنله  
ثلاثة أعوام قطعت بحورها  
الى ان يقول :

دنا خادم مني وظل مفتشا  
جيوبي وما فيها الى الحجر صائر  
وناولني من بعد ذلك نمر  
حديدا لها حد حكنه البوائر  
فقلت اذا للقطع يستعملونها  
نوامر قوم عند قوم خناجر  
وسلمني ذلك (القريف) لحارس  
تبع خطاه تغريبي الهواجس

فالشرة تعني قطعه معدنية محفور عليها رقم يخص به الجاني عند  
حبسه وجمعها نوامر لأنها عريت على هذا النحو من الاستعمال . والقريف  
هو اللفظة الفرنسية Greffier يطلقها السجناء على الكاتب .

ثم يقول :

فظمنا الكبران ، متى وبعض  
توقى بتدليل له وهو صاحب  
فأخرجت متديلي وقلت لمن معي  
مئادل قوم عند قوم سحاب

وفي هذين البيتين قرأ « الكبران » . وما أظن القاري يستطيع رد  
هذه الكلمة الى أصلها بسر ولكن النظر فيها يهدي الى أنها لفظة  
فرنسية هي Caporal وتعني ضابط السجن . وفي البيت الثاني شيء  
من الاستعمال المحلي الذي لا نعرفه نحن او لمشاركة ، فالسحاب جمع سحابة  
وهي لا تنصرف للمعروف من معناها الفصيح وإنما تعني الفصيح وإنما  
تعني ما تطلق عليه « شمسية » وهي الاداة التي تستعملها توقيا من الشمس  
والمطر .

ويصف الشاعر في هذه القصيدة كيف أخذ جماعة من كتاب السجن

في تحرير الرسائل للمسجناء كما يصف طرفا من حياتهم فيقول :

وقد وزعوا الأقلام جميعا عليهم	عدا واحداً أضحي برى وهو حاتم
ولكنه قد شد بالخيط ريشه	بمعرفة جاءت براعب بالام
فقلت وذاك الخيط حبراً قد ارتوى	مصارف قوم عند قوم بالام
وقد كان بين القوم شاب مطربش	أقام الى أن حكنه التجارب
رأى ذات يوم أن طربوشه الثوى	وأعوزه التحديد والأمر واجب
فأدخل من جراء ذاك « قبيلة »	لطر بوشه كيما تسوى الجواب
فقلت وقلبي ضاحك أسفاً معاً	« فوامل » قوم عند قوم قواب

فهو يصف كيف يتهاى الكتبة ليحرروا رسائل للمسجناء ، فالكتاب يشد ريشه بالخيط والريشة معروفة وهي الاداة التي يكتب بها والريشة هذه قد شدت « بمعرفة » والمعرفة كلمة افريقية تعنى ما نطلق عليه الملققة ، وهي من الادوات المعروفة عند الاكل . ثم ان هذه « الريشة » صارت براعباً ، وهذه « المغارف » « بلاتم » ، وما أظن ان القاري يهتدى يسر الى مدلول هذه الكلمة الاعجمية ، وصورتها تشير الى أنها جمع غير مفرد ، وهي جمع « بلومة » على نحو ما ينطق بها التونسيون وهي تعريب Porte-Plume الفرنسية .

وبعرض الشاعر في منظومته هذه لشيء آخر فيقول : انه كان بين اقوام شاب مطربش وان طربوشه قد رث من طول العهد ، وأعوزه « التحديد » والتحديد كلمة عامية تونسية وتعنى « الكي » الذي تعالج به الملابس لتجني مرتبة أنيقة ، والكي يتم بالاداة الحديدية المعروفة ، اما اصطلاحهم « التحديد » فهو ترجمة للكلمة الفرنسية فالمكواة التي تعالج بها الملابس تسمى بالفرنسية « Fer » وهي تعنى أيضاً مادة الحديد . ويعرض الشاعر لهذه الطريقة فيذكر ان « التحديد » قد تم بوضع الطربوش في « قبيلة » وهذه أخرى لا نستطيع أن نردها الى اصلها يسر وهي تعريب

للكلمة الفرنسية Gammel وهي اثناء يحمل فيه الماء وقد تم تعريبها  
فجاءت أيضا مجموعة على « فوامل » .

ومثل هذا استعماله « بوانت » جمع « بونته » وهي عقب « السيكارة »  
وهي كلمة اعجمية فهو يقول :

تخطفتها الايدي سراعاً وهكذا « بوانت » قوم عند قوم سكار

ومن الشعراء التونسيين في هذا العصر الشيخ صالح النيفر<sup>(٥)</sup> ولا بد  
أن نعرض لشيء من شعره فترى قصيدته « اردنا السلام » التي يقول فيها :

باض الهلال وقتني المحيط	على عزمتنا من الشاهدين
أردنا السلام وراموا الجسام	فكنا على سله قادرين
وقالوا القيلة لتأديبنا	وسيل الدماء يرينا اليقين
ورمنا اعتدلاً وراموا الشططاً	وكنّا على حقنا مذنبين
وأعظم بجرم مدبهم أنا	لترية أجدادنا طالبين
فكم جيشوا من طعام اوحوش	وكم من لجين لهم باذنين
وأكر بعض الحلال الربوع	وبعض تولى مع الهاربين

واجتري بهذا القدر من قصيدة عدتها عشرون بيتاً تشرب على هذه  
الوتيرة الباردة فانت لا تجد فيها عناية بالشكل ، كما لا تلمس في أبياتها  
عمقاً في الأفكار . وهي خلو من خصائص ال اثر الفني . ولا اشك ان  
القارىء النافذ لا يحس ان صاحب الايات مجهد متعب يفش عن مادته  
اللفظية فلا يظفر منها بشيء ذي بال ، وهو من بعد هذا يلم هذا الشئيت  
المتأخر الذي يفتقر أحياناً حتى الى المشهور المعروف من معاني الالفاظ

(٥) الشيخ صالح النيفر من علماء الزيتونة المشهورين ، وهو من  
شعراء الحماسة فقد هنم بديوان عنقرة . وشعره الحماسي جزل الالفاظ  
متين العبارة .



وصورها ، ويبلغ به الجهد الى ان يتجاوز على المشهور من قواعد النحو  
والصرف ، والا فكيف تحكم على متأدب لا يعرف القلمي فيذهب الى « الخطباء »  
وهي مادة لا وجود لها في مقلان اللغة .

ولا أريد أن اترك هذه الآيات دون أن أقف على قوله :

ولولا القنوت تبين الحقوق لما كان القوي الأمين

تدرك هذا الضعف الواضح الذي لا يهين « الشاعر » لصاحبه .  
ويذكر الشاعر النيفر في قصيدة عنوانها « الصدر أو القبر » أشار بها  
الى اطلاق الشيخ عبدالعزيز النعالي زعيم الحركة الدستورية في تونس في  
رمضان من سنة تسع وثلاثين والى المهجرة فيقول :

حمدنا السرى إذ طالع صبح يفخر	وسمنا المعالي والثبات لها مهر
وطنا السمان فضع الشهب للذي	نحاول وليس مع بنا نرتجى الدهر
لأبائنا جيل فخاراً مكمل	لهم منه كل ير له ذكر
لهم عز مات طاولوا الشهب دونها	فهل عزمنا يوهى وانا البنو انفر
فلا والذي تجرى النجوم بأمره	ستثبت لو ان زلزل البر والبحر

ربما من حقه ان يفخر ومن حقه أيضاً ان يشيد بمآثر قومه فيزهي  
بها ويثبه على ألا نجور على الفن بسبب من هذا الفخر الذي لا يخرج  
عن دائرة النظم . وربما نهياً لكثير من النظامين شيء يفوق هذه الآيات .  
ويحب الشاعر وطنه ويشجى هذا الحب في شعره كثيراً ، ولكن هذا  
الحب لا يتلجج في نفس الشاعر فتأجج حماساً ينساب في قصيدة عامره ،  
ولكنه لا يفارق أسلوبه ومنهجه . واذا كان أسلوب الشاعر مرآة تظهر  
فيها نفس الشاعر مرآة تظهر فيها نفس الشاعر متجلية بارزة ، فليس غريباً  
ان نرى ضالة القدر الفني في قصيدة النيفر « وطني » التي يقول فيها :

وطني اليك فان كل حيواني      وقف عليك ون أمت فرفتني  
 اني بلوت السدھر في جريته      فوجدت كل الفوز في العزمت  
 ووجدت ليس الحق جانب نهجه      بل ما بدا من جانب القوات  
 فانوا التمدن شرعة اليوم اني      تقضى بنسب نجبر السادات  
 وتآلف الملل العديدة بالآخ      والسعي للمجموع لا اللذات

وفي مثل هذا الموضوع يقول الشاعر في « بث شكواه » ، وبث الشكوى  
 ونداء الوطن من الموضوعات العاطفية التي تتيح للشاعر أن يجيد فيها وأن  
 يقبس من الفن قيسات لو أنه رزق الشاعرية الاصلية ، غير ان صاحبنا الناصر  
 لم يخرج عن طريقة النظامين ولم يخرج عن نطاق التقليد والحفاظ على  
 القديم وها هو يقول :

لي مستكى فأنه      سماء مغشاة غصير  
 فإيك تونس ما أرى      لو أنها الذكرى تير  
 فلكم أنا مسائل      أين الماشع يذا المسير  
 وأخاف ان لبي المنور      بنو البلاد فلا نشور  
 أقميت الأحياء بن      مانت مشاعره تشور  
 الى أن يقول :

أفليس في خضرانا      شهم على المعنى غيور  
 أو من أبي أدوع      بعلاج كبوتها خير  
 أو من همام صادق      دم حب وطنه يقور

وهكذا لم يوفق الناصر في بث شكواه ففجأت باردة جافة مبشرة في  
 مبانها ومعناها .

ومن الشعراء التونسيين في مطلع هذا القرن الشاعر محمد الفاضل (٦)  
من شعراء القيروان وهو كسائر الشعراء التونسيين في هذه الفترة لم  
يخرج عن القديم في أفكاره ومعانيه ، ولكنه تميز عن غيره من شعراء تونس  
في تصرفه بجوار الشعر مفيداً من الموشحات .

وأخذ مما ابتكره السوريون والمليانيون المهاجرون في الدنيا الجديدة .  
ثم انك اذا قرأت شعر الشاعر وجدت فيه شوب العاطفة ، وفي ذلك وفي  
كثيراً من أقرانه من حيث صدق العاطفة ، والاصالة في التعبير عنها واليك  
شيئاً من « خطراته » :

يا رياض الترجس في الربيع الناظر  
- فتقى في مجلسي وابغى من خاطري

نفحات الزهر

نائرات والنحات

غاديات

وسط ذاك المحفل

وكؤوس الراح في كف ذاك الاغيد  
طرحت من أسفي عبأة عن كدي

وغدت في نظري

زاهرات حفلات

باسمات

عن حجاب العسل

---

(٦) الشيخ محمد الفاضل شاعر تونسي ولد في مدينة القيروان سنة  
١٩٠٢ م عاصمة افريقية منذ الفتح الاسلامي الى سنة ٢٠٣ . نشأ فيها  
وقرأ في كتاباتها ثم حل في العاصمة التونسية ودخل الجامع الاعظم سنة  
١٩٢١ وبعد تخرجه اشتغل بالتعليم .

يا قوام البان قم غنّ باللحن الشجي  
وانل هاتيك النعم لا تخف من حرج

فنبات الفكر

خاطرات موحيات

بالحياء

مثل عهد الموصلي

ومثل هذا المعب بالنسك الذي يذكر بابتكارات شعراء المهجر قصيدته  
« خلني اندب » التي يقول فيها :

خل جفني باكياً في سهري	وصباحي
لا تعنني فيما في كدري	خير لاحي
وانل في لوجي سطور الخبر	عن كفاحي
حالي ابكي جدودي العربا	في تشيدي
التي ان نبت ربح نصبا	بالقسود
خلتها تبكي حياة النجبا	من جدود
أعلى الرمضاء بات الشعب ام	في هناء
أترى ندفع خطباً ان ألم	باليكاء
كم تقاسي من خطوط وألم	في شقاء

ثم اذا سمعت قصيدته « على قبري » تبينت صدق العاطفة الذي يشيع  
في شعره في لفظ رقيق ومعنى قريب الفهم :

قف على قبري اذا خلّفتني	اهل ودي وتولوا زمرا
واسفه من صيب الدمع كما	كان دمعي سابقاً منهمرا
وانر الزهر حواليه وفل	هكذا كنت تحب الزهرا
و«حش» عندك واشك له	عادي الدهر اذا ما استكرا



واذا اعوزك الصبر فم	وترقب زورتي عند الكرى
اني اهواك في رمسي فلا	تخش سلواني بذياك الثرى
اذا هرولت الشمس الى	خدرها فاستجدها ان تصبرا
وار الورق تغنني كم	كنت من قبل اغني اشعرا
وخذ القصن بكفك وفل	ها هنا غصن ودادي هصرا

كما يظهر هذا اللون العاطفي في شعر الشاعر وهو يحس بما يعاينه  
وط. الحبيب فيقول في « صوت تونس » :

أتصبر بعد ما اتصرم الشباب	وتفريك التواهد والكعاب
وتطرب والاسى وقف علينا	ونحن على المصائب لا تناب
فسمر والتفت يوماً قليلاً	الى ما كاد تبلغه الخراب
ربوع العلم ويحك دارسات	وربع المهن ناطحه السحاب
جئنا الآباء في خلق الزوايا	وهذا المنى فارقه انصواب
فما لك خادر الاعصاب يوماً	ونحوك قد تطاولت الرقب
لند عاف الجهالة كل شعب	وهب كأنه اسد غضاب
مزقت الشعوب على يديها	فيود الاسر وارتفع الثقاب
تهيب بنا فهل من مستغفر	وخوفي صوت تونس لا يجاب

ويبدو التقليد في الادب التونسي في مطلع هذا القرن فيترسم نثر من  
الشعراء التونسيين خطي المشاركة فهذا الهادي المدني<sup>(٧)</sup> الذي اعجب بجميل  
صدق الزهاوي فصار يحكيه في طريقة النظم السهلة وفي طريقته في تسخير  
النظم لمعالجة ما جد في الحياة من أفكار وما ابتدغ من وسائل ، كأن يتحدث  
عن الكهرباء وسره ومسألة الجذب والدفع فيقول في قصيدته « خواطر » :

انما هذه الحياة خيال      سوف يبدو حقيقة بعد حين

(٧) الشيخ الهادي المدني من الشعراء التونسيين \* ولد سنة  
١٢١٨ هـ وتخرج في جامع الزيتونة سنة ١٢٤٠ هـ .

الحجج الكهربائية في هذه الدنيا جنين مستمع بجين  
الما نحن كهرباء بها نشي وإن كان أصل من طين  
وأرى في دم الشرايين فكراً ثم يزل في مواطن التخمين  
خلق هذا الوجود تلقى قوى تبدو لفكر البعثة المستبين  
إن المبدد في البسيطة تأثيراً خفياً وقد بدا لعيوني  
وأرى الدفع على الجذب فالدفع إذا أصل قوة التمكن  
نيس يلفسي نسيء الحب إلى نفسي وأهوى أراه مثل يقين

هذه الأبيات ذات فائدة في توضيح منهج الشاعر التقليدي ، فإنت نحن  
أن صاحبها قد اتخذ من شاعراً الزهاوي مثلاً يجذبه فهو يعرض لأفكاره  
ولما سرح به من نظريات كقولها في مسألة الدفع وإن قوة الدفع هي الغلبة  
لا كما قالوا بالجذب . ولولا أنني أخبرتك أن هذه الأبيات هي للمدني  
المدني لقطعت من غير شك بنسبتها إلى الزهاوي فهي زهاوية مبنى ومعنى .  
ثم لا تترك هذه القصيدة دون أن تعرض للمقطوعة الأخيرة فيها التي  
تبحث في مشكلة المرأة ، ومشكلة المرأة من « الزهاويات » أيضاً ، فالمعروف  
أن الشاعر الزهاوي كان من أنصار المرأة ، وله في ذلك شعر كثير ، وقصيدة  
السيد المدني هذه « زهاوية » في الشكل والمضمون . أقول : « في الشكل »  
لأنها لا تشعر بجودة البناء واتسجام البناء مع الموسيقى الشعرية . ونسمع  
السيد المدني في هذه الأبيات :

وأرى للنساء صوتاً سيبدو له في الخافقين أي رنين  
علموهن علموهن أن المرأة اليوم ذات رأي نسين  
انظروا للنساء في الغرب كيف اليوم أصبحن في قرار مكين  
علموا المرأة العلوم تروها بعد حين لكم كحصن حصين  
لقدوها الآداب تثبت لكم خير شباب يزهو بفكر متين  
لقدوها مجد الجدود نروا أبناءها كالأسود عند العرين

أفهموها ان التباهي بالعملة لا بالافراط في التحسين  
نوزلوا عقلها والا فأنتم لا تزالون في ضلال مبين  
ان من شل عضوه عامداً حق عليه سوط العذاب الهون

ولا بد ان نتعقب هذه الطريقة الزهاوية في شعر السيد المدني ، وهي  
واضحة في أكثر قصائده . والطريقة الزهاوية تعتمد على تقرير أشياء  
مفهومة بأسلوب حكائي يفتقر الى الفن الأصيل . وهناك قصيدة شاعرنا  
النونسي التي أسماها « أتري » :

أتري يعود المجد مجد بلادي	ام هكذا تبقى على استبعاد
أتري نهب نيل حق ضائع	ام هكذا تبقى كقتل جماد
أتري بني الخضراء تنهض للملا	ام هكذا تبقى كقتل جماد
أتري بني الخضراء تنهض للملا	فتعيد بعض الروح للأجساد
وتنيل تونس سودداً ومكانة	وتزيل أرجلها من الأصفاد
وتنيل فخرأ احكمت بنيانه	ايدي إباء قادة امجساد
ام هكذا ترضى حياة مذلة	جلت مخازيها عن التعداد

هذه الأبيات ليس فيها من الشعر غير هذا الوزن الموسيقي . فلم يأت  
صاحبها الا بالانطاف التي وصلت ببعضها قبحات موزونة تفتقر الى عناصر  
عدة لتكون شعراً . أنظر استعمال الشاعر للإشارة « هكذا » في غير حاجة  
الى ذلك ، فقد أتى بها كما يأتي الرجل يتوكأ عليها ، وهي تشبه قول  
الزهاوي في تحية العلم :

عش هكذا في علو ابها العلم فانما بك بعد الله نعتصم

وهذا اللون الادبي يفتقر الى الكثير من عناصر الشعر الحي ، وهو  
نظم ليس غير .

ونستطيع ان نلمح شيئاً من طريقة الرصافي الشاعر العراقي في الادب

التونسي وذلك في شعر الشاعر محمد المكي بن الحسين<sup>(٨)</sup> وذلك في الشعر الاجتماعي كأن يقول في « مكارم الاخلاق » أو يتحدث عن الفضيلة باكية راثياً . وقد تثيره الحال في تونس وما آلت اليه من زوال مجدها القديم وحضارتها المشرقة .

لنسمع الى محمد المكي بن الحسين يقول في « مكارم الاخلاق » .  
 نبغى العلا ونعادي الفضل والادبا      خنت النهي ورضيت الذمام والريبا  
 فكر بنفسك هل شمت الثناء على      سوى كريم تحرى البر مصطحبا  
 ان المعالي اذا ضلت معالمها      فبيع الفضيلة تستوضح لك السميا  
 أثبت على حبها الأبناء من صغر      فقد كفاهم حلالها الدر والذهبا  
 لا تشرفن المساعي والطباع في      سود انطباع وماء الوجه قد نصبا  
 وان تر العلم زين المرء فاخلق الزاكي      يزين الفنى والعلم والنسبا  
 والى آخر هذه القصيدة التي لا تبعد كثيراً في أفكارها عما أسلفناه  
 وهو ما يدخل في الحديث عن الاخلاق الحميدة وفضل العلم والادب .  
 قلت اننا نلمح في شعر محمد المكي بن الحسين شيئاً من منهج شاعرنا  
 الرصافي ، وأنا واثق أنك حين تقرأ هذه الايات تستذكر الكثير من شعر  
 الرصافي في هذا الباب وربما لم يفكك ان تذكر قصيدته :

هي الاخلاق تبت كالنبات      اذا سقيت بماء المكرمات  
 ولا بد من العود لشاعرنا التونسي نقرأ قصيدته « دعة على الفضيلة » :  
 قفا نيك من شجو يشن به الصدر      و هو حل في سحر لذاب به الصخر  
 شجون غدت ترمى القواد نبالها      تباعاً وما أبلى معاقلها عصر  
 خطوب بها امسى الحشام جمع الاسى      ومحمر دمعي لا ينهيه الزجر

(٨) ولد الشيخ محمد المكي بن الحسين سنة ١٣٠١ في مدينة نفطة من مدن الجنوب التونسي المواجهة لصحراء الجزائر وقد نشأ في زاوية أبيه ثم دخل « الزيتونة » وقد هاجر مع أسرته الى دمشق سنة ١٣٣١ واشتغل بالتدريس في المدارس الاهلية ، ثم رجع الى تونس سنة ١٣٣٨ .



ولست على غير الفضيلة بأكياً      انوح لنأها وقد عدم الصبر  
اقول على رسم لها غير باخل      بدمع به يخضل من وبله العمر  
يجدد تذكاري لها كلما بدا      لعيني رسم او دهي مسمعي نكر

في هذه الايات شي من ديباجة صافية تستد على الادب القديم .  
ومثل هذا كثير في شعر الرصافي الذي تشيع فيه أوابد الايات القديمة بأبي  
بها على سبيل الاقتناص اللطيف لا التضمن الواضح .

ومثل هذه الديباجة الصافية نلاحظها في شعر السيد علي النيفر<sup>(٩)</sup>  
من شعراء تونس في مطلع هذا القرن . غير أن صفاء ديباجته شيئاً من  
الادب القديم ، فإذا قرأت شعره خيل اليك انك تقرأ لشاعر من شعراء  
الاعصر الخالية .

ومن أمثلة هذا التأثير بالقديم التزامه بالمعارضة على عادة الشعراء  
المحافظين ومن ذلك قصيدته « في الليل » التي عارض فيها « الحصري  
النيرواني » :

الحقن هواك يسهده	من يسعده او يجده
والقلب نخوف راحته	شجن بالنفس تروده
والجسم يذوب عليك جوى	ونبا بي الليلة مرقده
با بدر دجى في غصن نقاً	يسبي الرائين تأوده
الله نسدتك في كلف	دنف ملتته عوده

وفي هذه الايات يبدو الشاعر في منهجه التقليدي في هذا الغزل  
المصطنع . ثم نقرأ قصيدته « دع ملامي » فيطالعنا شي من الديباجة البحرية  
الصافية فيقول :

(٩) وقد ولد الشيخ علي النيفر سنة ١٣١٨ ونشأ في أسرة  
اشتهرت بالفضل والعلم وقد التحق بالجامع الاعظم وقد تخرج فيه بعد  
سنت سنوات واشتغل بالتعليم .

دع ملامي على الهوى فهو دأبي      ليس أمر العذول فيه مطاعاً  
أنت لم تدري ما الهوى فدع اللو      م الى أن تزيج عنه القناع  
خلفي اذكر الليالي الخوالي      وارجي لا تسهن ارتجاسها

ومثل ذلك قوله في قصيدته « صوت من وراء حجاب » :

بنفسي صوت قد غدوت به صبا      أسيخ له مني المسمع والقلبا  
له موقع في السمع موقع عارض      لدى ظامي، اهدي لقلبي شربا  
إذا بلبل يشدو على فرع أيكه      يرنح عظمي من يصيح له عجبا  
بلى صوت من اهوى على غير موعد      ملا اذني درأ يساقطه رطبا

وفي مثل هذا المنهج التقليدي نقرأ للسيد مصطفى آغە (١٠) من شعراء  
تونس البارزين في مطلع هذا القرن ولكنه يعيد الى سمعت الشاعر القصصي  
الذي عرفته لدى الرسافي الشاعر العراقي في قصائده « اليتيم في العيد »  
و « ام اليتيم » و « المطلقة » وغيرها . وعلى هذا النحو نقرأ للسيد مصطفى  
آغە قصيدته « حياة البغي » :

حدثتها عن لعوب معصر      أنسات جئتها للسرور  
قلن « ربا » يا « رباب » مالها      من حليل طبق ذاك الخمر  
بل بغي احزرت منزلة      عظمت عند العظيم الموسر  
أكبروها مذ رأوها قمرأ      برزت في حلة من صفر

في مثل هذا الحوار الذي يقوم على السؤال والجواب والحديث  
والاعراب ، يستمر الشاعر في عرض حكاية فتاة نصبت لها الجبال فججي .

(١٠) ولد مصطفى آغە في مدينة « الكرم » وهي مدينة صغيرة  
بالتقرب من حاضرة تونس وهو حفيد مصطفى آغە الكبير مؤسس العائلة  
الشهير بطلوته ووزير الحربية للمملكة التونسية في عهد الحسينيين  
سنة ١٢٩٤ هـ . وهو من أصل مملوكي .

بها من عفاف وظهر الى حياة الرذيلة والعهر .

وهذا النمط الحكائي كثير في شعر مصطفى آغا ، وحديثه يدخل في باب الادب الاجتماعي . ومن ذلك قصيدته « البرى » المضطهد ، وقصيدته « الزواج » اني يعالج فيها اغراء المدينة ومشكلة المهر الذي لا يطيقه طالب الزواج وفيها يقول :

سئل من رمت مهج الوردى احداً فيها	عما لقي من غدورها عشاقها
كم أحرفت كيداً بنار صباية	قد حل في سرع الهوى احراقها
فافت لواحظها سهام كثانة	بين الوغى وقد البرى فواقها
كسدت بضاعة صونتها لكنما	راجت بحسن ظاهر اسواقها
فمن الخداع حياتها وغناؤها	اغراؤها ونفاقها انفاقها
ان القلوب اذا هوتها كلما	زادت خفوقاً زادها اخفاقها

وانت من غير شك واجد في هذه الايات العتمة الواضحة في العذبة بالشكل مما لا يطيقه ذوق هذا العصر ، وهي من مخلقات الماضي القريب .

## الجديد في الأدب التونسي

### أبو القاسم الشابي

ليس أبو القاسم الشابي مشكلة من المشكلات • لقد رزق أبو القاسم الشهرة ، شاع صيته • وكثير على امرئ أن يرزق الشهرة ولم يسألج من العصر في هذه الدنيا القافية إلا ربع قرن • اذن لابد أن يكون لهذا الفتي مكان هيباً له هذه الشهرة الفائقة وذلك الصيت الذائع •

صاحبنا السيد أبو القاسم شاعر تونسي ، وفي تونس شعراء كثيرون وإن قلنا - أن نعرف - نحن المشارقة - الكثير منهم • ولكن هذا الفتي الناحل قد بدأ جبهة هؤلاء ، فلم يعرف في حيز هذه الخضراء التونسية حسب ، بل سيقت اسمه الى أقاليم عدة وربما قرأ له أو سمع به قوم لا يعرفون من حانه الا الشيء القليل • وأنا لا أشك في أن كثيراً من هؤلاء لا يعرف • الشابي • من أعمال الجنوبي التونسي ، ولكنه سمع الشاعر الشابي في صوت إحدى مغنيات هذا العصر مرودة : اذا الشعب يوماً أراد الحياة • ولا يريد أن أسير الى أن هذه القصيدة كانت سبباً في هذه الشهرة التي أصابها الشاعر ، ذلك ان الشاعر قد اوتي هذه النعمة قبل أن تهب شفتا المغنية بالنغم المطرب •

وفد : قلت ان في تونس شعراء كثيرين ، ومن عجب انهم لم يصيبوا ما أصاب السيد الشابي من ذبوع الاسم في تونس نفسها احياء أو أمواتا • قد تقول ان هذا الشابي قد سعى لنفسه ودعا لها وإنه قد مل ما كان الخوم يضربون فيه من مادة الأدب فيفيض له أن يعرف جماعة • ابولو • في مصر فوجد فيهم شيئاً يظرب له ويصبر اليه ، فشق شعراءه على صفحات مجلثهم المعروفة منذ نحو ثلاثين سنة • وكانت هذه الزمرة من « الأبوليين » حاملة



رأية التجديد في الادب ، وداعية الى الجديد ، فكان لهذه الدعوة انصار  
يؤيدون ويعضدون ، وآخرون وجدوا فيها معول عدم لهذا التراث العتيق  
الذي نفخر به العربية بين اللغات •

ولعل تونس دون سائر الشمال الافريقي ، كانت على صلة بهذا  
المعمان الفكري • والتونسيون انفسهم كانوا بين ناصر للمقديم داع للحفاظ  
عليه ، وآخر يرم بالاساليب العتيقة التي درج عليها المتأدبون بخاصة وأهل  
العلم بعمامة ، فجامع الزيتونة معهد تونس الاكبر يؤمه أفواج كثيرة من  
طلاب العلم تونسيين وأفارقة آخرين • وهو من مفاخرهم وعنوان مجدهم ،  
وكان له أن حفظ للعربية مكانها في تونس التي أجهز عليها المستعمر الاجنبي  
بخيله ورجله وعلمائه • ولكن شيوخ الزيتونة لم ينفوا حولا عما ألفوه من  
أساليب الدرس العتيقة ، وإن الجديد في رأيهم لون من التخليط والعبت •

وهكذا برمت الناشئة التونسية يومئذ بالأدب التونسي بحدوده  
الضيقة ومفاهيمه التي تأتي أي لون من ألوان الجديد • وقد بدأت تنفتح  
لهؤلاء الشبان ألوان جديدة من الادب ومن الفهم الثقافي عامة ، فاتخذوا  
من هذه الواجهة البحرية بابا ينفرج عن العالم الحديث ، او قل عن فرنسا  
التي بهر ادبها العقول والقلوب ، فاما الذين يملكون مفتاح هذا الباب ،  
وهو الفهم الصحيح للغة الفرنسية فقد انصرفوا الى هذا المعين الاوربي  
الجديد متخذين منه متاعا طيبا للعقل والنفس ، وأما من لم تنهأ له معرفة  
بالفرنسية ، وجل هؤلاء من الزيتونيين ، فقد بقى في حدوده ضجرا برما  
بما يقدم اليه من زاد فكري • وكان الشابي من هذا الفريق الثاني المبرم  
ولكن برمه بلغ أبلغ الحدود ، وربما سرى به الى النفرة من الادب العربي  
عامة ، كأن الذي لا يمت الى العربية بسبب • فقد غلا واستبد وبلغ به غرام  
الشباب وطيشه ان يجرد العرب من الادب والفن الرفيعين فقد غاب عليهم  
ضيق خيالهم وانصرافهم للمادة دون العاطفة وإن • خيالهم لا يطير

بجناحين ، وأن يبتهم القاسية الجافية لا يمكن ان تمنح أهلها السمو في التصوير والتلوين ، ومن أجل ذلك لم يدعوا في مادة « الاساطير » ابداع الاغريق والرومان وقدماء المصريين<sup>(١١)</sup> . وهذه فورة من فورات الشباب العارم النائر ، وأن هذا الذي كتبه الشابي عن العرب وادبهم لم يكتبه واحد من الغلاة ، ولم يخطر على بال أحد من الشعوية الاولين . ولكن هذا الفتي نائر ، وثورته قد يكون من اسبابها عدم التثبت ، وعدم الاحراز على الكفاية من مواد البحث . وقد قيل : ان المرء عدو لما يجهل .

وقد تعجب أشد العجب اذا قلت لك : ان هذا الفتي الشاعر لم يحرز على ثقافة اوروبية ، ولم يتها لها أن يعرف الفرنسية لغة وثقافة . أذن فأين درس الادب الحديث في أنماطه الاوروبية فصار يتخذ منه مادة للموازنة والمقارنة ، او قل فصار بسبب من ذلك ينمى على الادب العربي جموده وجفافه وانعدام الصور الحية فيه وافتقاره الى الجانب الانساني ؟

والجواب عن ذلك أنه كان يقرأ ما يترجم من نماذج ادبية اوروبية وبخاصة في المشرق العربي ، في مصر . فقد كانت مجلة الرسالة ومجلة « الرواية » وقبل ذلك بقليل كانت مجلة « ابولو » ، وهذه المجالات قد عرفت القراء بشي . من نماذج الادب العالمي . واذا اتيح للسيد الشابي ان يعرف « لامرتين » من الشعراء الرومانتيكيين الفرنسيين ، فانما ذلك قد تم له فيما قرأ من ترجمة احمد حسن الزيات لقصته « رفائيل » فصار يتحدث عن بحيرة لامرتين .

وفي الحق ان هذه الراءات لا تمكن صاحبها من التزود بالزاد الكافي من هذا الادب الاوربي بحيث يتصدر لمثل ما تصدر له الشاعر الشابي الذي اتخذ من هذا الزاد الفت معول هدم سلطه على الادب العربي ، وهذا من

(١١) انظر الخيال الشعري عند العرب لابي القاسم الشابي ( تونس الشركة القومية للنشر والتوزيع )

سر الثقافة الناقصة يعضدها طيش من شباب مندفع .

لقد قلت ان الشابي لم يجد في تونس شيئا من ادب تستريح اليه نفسه ، ولكنه وجد في ادب اللبنانيين المهاجرين في الدنيا الجديدة شيئا يستهويه فاتخذ منه مادة وغذاء ، ثم وجد في ادب المجددين في المشرق وهم جماعة ابولو شيئا من ذلك . وهكذا تم للسيد الشابي ان يفاجئ « القاري » التونسي بمادة جديدة لم تثبت في « خضرائه التونسية » فهو مجدد ابدا اذا قيس بادباء عصره التونسيين الذين لم يتها لهم أن يقلعوا عن الحفاظ على القديم في أشكاله ومعانيه ، والموازنة أو المقارنة بين أدب الشابي وأدب الجماهرة الكبيرة من شعراء تونس في تلك الفترة تؤيد هذا الذي نذهب اليه . وقد ظل السيد الشابي من المجددين مع غيره من الادباء المشاركة في تلك الفترة .

وقد تقول : انه زيتوني ونهج الزيتونة معروف في الحفاظ على القديم من الثقافة والتمسك بالتراث الاسلامي ، وطبعي ان يكون هذا الحفاظ سري الى الناحية الادبية فالادباء الزيتونيون في تلك الحقبة نقر لم يستقبل الجديد بعين الرضا ، وان أساليب المجددين الوافدة عليهم ان هي الاقوال عقيمة لا تخدم الادب العربي في شيء . وطبعي ايضا ان تبقى هذه المدرسة العتيقة آثارا في أدب السيد الشابي ، والاستقراء يدل على شيء من هذا . والنظر في « أغانيه » يطلعنا على نماذج قليلة تبين فيها القدر الذي تأثر به مما أملتته عليه نشأته الاولى ، فاذا قرأت هذه « اللقطات » وجدتتها بين « أغانيه » فلم تلبس لبوسها ، ولم تتحل بحليتها . وهي مادة تعيد الى ذهنك ابيات المتنبي في ارساله الحكمة السائرة ، وفرائد المعري في التفاته الى سر من اسرار الحياة ، شامخة بوقارها وبهائها . أنظر مقطوعته التي أسماها « المجد (١٢) » :

(١٢) اغاني الحياة ص ٥٢

يود الفتى لو خاض عاصفة الردى      وصد الخميس المجر والأسد الورد  
ليدرك أمجاد الحروب ولو درى      حقيقتها ما رام من بينها مجدا  
فما المجد في أن تسكر الأرض بالدما      وتركب في هيجائها فرساً نهدا  
ولكنه في أن تصد بهمة      عن العالم المرزوء فيض الأسي صدا

ومن غير شك أنك تحصى في هذه الايات مادة لغوية هي ليست من  
آلات السيد الشابي في ديوانه ، وربما عاد الى ذهنك شيء من شعر المتنبي  
في وصف معارك سيف الدولة « فخوض عاصفة الردى » و « صد الخميس  
المجر » و « الأسد الورد » ادوات لم تألفها في شعر هذا الفتى الحزين  
الناحل الذي يعني الحياة ويبكيها ، وما أظنك غير ذاكر قول المتنبي :  
ولا تحسبن المجد زقا وقينة      فما المجد الا السيف والفتكة البكر  
وتضريب اعناق الملوك وأن ترى      لك الهبوات السود والعسكر المجر

ومثل هذا كثير في شعر المتنبي \*

ونعود الى هذه « اللقطات » فنقرأ قوله « سر مع الدهر » (١٣) \*  
سر مع الدهر لا تصدنك الأهوال ، او تفرعنك الأحداث  
سر مع الدهر كيفما شئت الدنيا ولا يخدعنك النفاث  
فالذي يرهب الحياة شقى      سخرت من مصيره الاحداث

وهذا نمط آخر من ارسال الفكر على نحو ما عرفناه في شعر المتنبي  
واضرابه ممن ارسلت الحكمة في شعرهم ارسال الامثال كأبي تمام والمعري \*  
والترام « الدهر » شيء واضح في الادب القديم ، والامثلة كثيرة في مختلف  
العصور الادبية \*

ولم يستطع الشاعر الشابي أن ينفلت من الوزن ، فلم يتصرف بالموسيقى  
الشعرية تصرف شعراء المذهب الجديد من انصار جماعة « ابولو » مثلا \*

(١٣) اغاني الحياة ص ٥٢



وربما كان يرى في الحفاظ على الموسيقى الشعرية ابقاء على اهم ما يتصف به الشعر العربي . وقد تبلغ به المحافظة على الوزن أنه يعمد الى لون من ألوان المعارضة فأنت حين تقرأ قصيدته « صفحة من كتاب الدموع »<sup>(١٤)</sup> ومطلعها :

غناء الأمس وأطربه      وشجاء اليوم فما غده  
لا بد أن تعود الى ذاكرتك قصيدة الشاعر الحصري القديم المشهورة  
التي مطلعها :

يا ليل الصب متى غده      أقيام الساعة موعدة  
ومن عجيب ان هذا الوزن اوسيقى من بحر المتدارك قد شغف به الشعراء . والاعجب من ذلك أنهم لم يكلفوا به الا بعد قصيدة الحصري المعروفة ، فكان الحصري قد نبه الاسماع الى هذا النغم الراقص . وما اظن أن قصيدة الحصري على رقتها وأناقته قد لفتت الشعراء اليها لبلوغها مراقي الفن الاصيل ، والذي أراه ان خفة الوزن واطرابه قد يسرا لهذه القصيدة أن تظل عالقة في اذهان الناس من قديم الزمان الى يومنا هذا وقد شاعت معارضتها وذلك معروف . يأتي السيد الشابي فيدلي دلوه في الدلاء ويعارض ولكنه لم يكن مقلدا بل جاء مخلصا لفنه وأدبه باكتساء قصيدته هذا الثوب الجديد الذي يشيع في شعر شاعرنا الشابي ، ولكنك لا تعلم أن تقرأ في هذه الجودة الممتعة شيئا من أدب قديم فانظر اليه كيف يتحدث عن الايام فيقول :

يا للأيام فكم سرت      قلباً في الناس لتكمد  
هي مثل العاهر ، عاشقها      تسقيه الخمر وتطرده  
يعطيك اليوم حلاوتها      كالشهد ليلبسها غده  
فأنت اذا قرأت هذه الابيات وكان لك بصر بالأدب القديم عرفت أن

(١٤) المصدر السابق ص ١٠٦

السيد الشريف الرضي قد قال في رثاء أمه شيئا في قصيدته الباكية التي  
مطلعها :

أبكيت لو نفع الغليل بكائي      وأقول لو نفع المقال بدائي

• • • •

وخلائق الدنيا خلائق مومس      للمنع آونة وللإعطاء  
طورا تبادلك الصفاء وتارة      تلقاك تنكرها من البغضاء

وقد اسلفت ان الشاعر قد شغف بشعراء المهجر ، ولا بد أن يكون  
هذا الشغف قد أثر في أدبه ، ومن غير شك أن الانصراف الى الطبيعة  
والركون اليها على النحو الذي عمر به شعر الشابي كان نتيجة هذا التأثير  
الجديد ، وعلى هذا فليس لمؤرخ الادب الحديث الا أن يضع السيد الشابي  
مع هذه الزمرة الجديدة من مهجريين وآخرين كجماعة « ابولو » \* واستقراء  
« أغاني الحياة » يدل على هذا المنحى الذي يجمع بين الشابي واضرا به من  
دعاة الجديد .

وأنت لا تقرأ « أغاني الحياة » الا عادت اليك صور من ميخائيل نعيمة  
وجبران وإبي ماضي وغيرهم من شعراء المهجر ، فاذا قرأت معي قصيدته  
« جدول الحب بين الأمس واليوم » التي يقول فيها \*

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة

واليوم قد أمس كأمساق الكهوف الواجمة

ويستمر في هذا النغم الباكي الممتع على طريقته . أقول تقرأ هذا  
وتعود الى « النهر المتجمد » لميخائيل نعيمة فتحص أن شيئا متقاربا يجمع  
بين صاحبنا التونسي وشعر ميخائيل الذي قال في « النهر المتجمد » قصيدته  
باللغة الروسية ثم ترجمها الى العربية قائلا :

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخريف

أم هل هزمت وخار عزمك فانقطعت عن المسير

ولكن النغم يتدفق كموسيقى وترية عندما يسيل النهر في فصل  
الربيع كما يقول جورج صيدح<sup>(١٥)</sup> ، ثم يقارن بين النهر وبين قلبه الذي  
يتنظر الربيع عبثاً :

يا نهر ذا قلبي أراه كما أراك مكبلاً

والفرق أنك سوف تنشط من عقالك وهولا

هذا مثل من كثير من الأمثلة التي زخر بها شعر السيد الشابي والتي  
تعيد إلى سمع القاريء صوراً مهجرية يستدل منها إلى أن بين الشاعر  
الشابي وشعراء المهجر صلة الفن الذي يجنح في طريق واحد .

وبعد فالشابي من شعراء العربية الكبار الذين رزقوا الشهرة لما قدموا  
من روائع الأدب ولما انصرفوا إليه من إجادة الفن والخلوص إليه ، والفناء  
فيه ، والنظر في ديوانه « أغاني الحياة » يسعف على تأييد هذا القول ،  
والأفهام عساك أن تقول وأنت تسمع الشابي في « صلواته في هيكـل  
الحـر »<sup>(١٦)</sup> قائلاً

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد  
كالسماء الضحوة كالمليحة القمر كالأورد كالبسمام الوليد  
يا لها من وداعة وجمال وشباب منعم المود  
يا ابنة النور أني أنا وحدي من رأى فيك روعة المعبود  
فدعيني أعيش في ظلك العذب وفي قرب حسنك المشهود  
عيشة للجمال ، والفن والالهام والطهر والسنا والسجود  
عيشة الناسك البتول يناجي الرب في نشوة الدهول الشديد

(١٥) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ص ٢٤٧

(١٦) أغاني الحياة ص ١٢١

لاشك انك تقرأ لشاعر اوتي الشاعرية فأصاب من ذلك بسهام عدة  
وان كنا نأخذ عليه انه استعار مادة لا تمت الى بيئته الاسلامية ، الا ترى ان  
الهيكل من مصطلحات العمارة في الكنيسة النصرانية . وما ارى ذلك الا من  
تأثره بهذا النمط المهجري الذي اسلفنا الكلام عليه . ولا أدري كيف جمع  
بين « الناسك الذي يتاجي الرب » و « البتول » ذلك ان « البتول » المرأة  
التي انقطعت عن الأزواج او التي انقطعت لله تعبدا وتنسكا فهي العذراء التي  
أخلصت لله فهي صفة لمؤنث . ومثل هذا التجاوز اللغوي كثير في شعر  
السيد الشابي ، الا تراه في القصيدة نفسها يقول :

خطوات سكرانة بالاناشيد      وصوت كرجع ناي بعيد  
فاستعماله « سكرانة » مأخوذ من المستعمل المؤلف غير الفصيح ذلك  
ان الوجه فيه ( سكرى ) ، وما اظن ان الشاعر استعمل الكلمة جريا على  
لغة بني أسد في اجازتهم تأنيث « أفعل » على « فعلانة » .

وعلى هذا النحو من التجاوز جاء قوله في قصيدته « الغاب » (١٧) :  
والى اناشيد الرعاة مُرَقَّة      في الغاب ، شادية كسرب يمام  
فقد التجأ الى « مرققة » مريدا بذلك « رافة » واستعمال الرباعي من هذا  
الفعل غير وارد ، والثلاثي هو المعروف المؤلف ، اما التجاوز للرباعي فلم  
يكن الا مراعاة للوزن وهذه الهنات لا تضير بناء السيد الشابي الانيق المنسجم ،  
ونماذج الادب الجميل في شعره كثيرة اجتزأت منها بهذا القدر اليسير في  
هذه اللمامة الموجزة التي لم أرد منها ان تكون دراسة مسهبة وافية علما مني  
أن مادتي لا تعين على ذلك فينبغي أن يكون من ادواتي شيء آخر افتقر اليه  
في هذه اللمامة القصيرة ورحم الله الشابي .

ومن آثار الجديد في الادب ما نلمحه في شعر السيد سعيد ابو بكر (١٨)

(١٧) اغاني الحياة ص ١١٨

(١٨) ولد سعيد ابو بكر في مدينة « المكنين » على الساحل الشرقي  
التونسي سنة ١٨٩٩ ولم يتهاى له ان يتثقف ثقافة عالية ولكنه زود  
نفسه بالمعارف التي حصل عليها بدورته وجدته .



من الشعراء التونسيين في هذه الفترة •

اقول : الجديد في الادب التونسي ولا اريد بالجديد الشيء الذي ابتكر في الادب التونسي ولكني أقصد بالجديد ما قصده في الكلام على شعر ابي القاسم الشابي ذلك ان صاحبنا أبو بكر قد أحب اللون الجديد في الادب المهجري وتأثر به كما حصل لصاحبنا الشابي •

ويبدو هذا التأثير في موشحات أبي بكر التي خرجت عن المؤلف المحافظ من الادب التونسي في هذه الفترة ولنستمع الى قصيدة الشاعر « ايها الليل » :

فوق هذا التل عن هذي الرمال	في انفرادي
ها انا ما بين فرسان الخيل	عن جوادي
ارمق الليل بعين الاندھال	وهو هادي
انت يا ليل حبيبي وأنا	في ارياحي
ان لي فيك سويحات هنا	واتشراح
ولذا أبـدو اذا كنت هنا	غير صاح
	انت تدري
هكذا ارنو بعيني للسماء	نحو بدري
فاستمع مني حديثاً عندما	ضاق صدري

وفي هذا النغمات تأثر واضح بالاسلوب المهجري في نجوى الليل مع الالتزام بهذه العناية في النظام •

ايه يا افق الرزايا والنقم	لا تخن عهدي
هنا وحدي اناجيك نعم	هنا وحدي
أنت شوك ناعم في لسه	طبّب الاوجاع
انت يوم مطرب في حسه	شف الاسماع
انت موت مخرج من رسمه	ميتاً قد ضاع

ان يكن فيك انتقالي للعدم      والها بعدي  
هنا وحدي اناجيك نعم      هنا وحدي  
ثم اذا قرأت قصيدته « الغصن المجرد » بدا لك هذا التأثر بالاسلوب  
المهجري :

يا غصن كم غنت عليك بلايل الروض الجميل  
من نعمة فيها ارتياح للمقيم والليل  
يا غصن كم لعب النسيم بسا ليدك من الورق  
فلعبت مثله بالعقول تغتياً وبدون حق  
الا ترى انك ذاكر قصيدة ميخائيل نعيمة في « النهر المتجمد » التي  
يقول فيها :

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخريف  
ام قد هرمت وخار عزمك فانتثيت عن المسير

وبعد فهذا جهدي في استقراء ما زال مفتقرا الى اشياء كثيرة ، والكمال  
معوز ولكني ماض في هذا السبيل املا في المزيد من البحث والاستقصاء في  
استجلاء الادب في هذا الجزء من المغرب العربي .

ويبدو هذا التأثر في موشحات ابي بكر التي خرجت على المألوف  
ربما انصرف ذهن القاري الى اني سأتكلم على اللغة العامية الدارجة  
في تونس ولكنني لم اقصد الى هذا ، وان كانت هذه الالوان العامية حرة  
بالدرس والبحث عملا بالمنهج العلمي في درس اللغات دراسة تاريخية تعين  
على فهم شيء من تاريخ فصيح العربية .

وقد تهيأ لي ان افضي في تونس ما يقرب من سنة كاملة ، فكان لي  
ان المت بشيء يتصل بأدب القوم وطرف آخر من معارفهم وأسلوبهم في  
الكتابة ولم اقتصر على النظر في هذه الامور فقد استوقفني لغة الصحافة  
اليومية بما فيها من خبر سياسي ، وآخر يتعلق بما يجري بين الناس في

معاملاتهم وشؤونهم الخاصة وما يعرض من امور . ولم تقتصر كذلك على النظر في هذه الابواب في هذه الفترة التي نباشرها من تاريخنا المعاصر بل تخطيتها الى النظر في الصحف والمجلات التي ظهرت في عهد ما قبل الاستقلال .

وهذه الفترة الاخيرة مفيدة لنا نحن المشاركة الذين ضرب المستعمر بيننا وبين اخواتنا في الشمالي الافريقي . وقد قلت اني وقفت على أشياء كثيرة تنصل بلغة التونسيين فرأيت ان اسجلها واشير اليها خدمة للتاريخ اللغوي . ولم ارد ان اسلك في هذا البحث مسلك التخطئة فادل على مكان التجاوز للفصح في هذه الاستعمالات التونسية ، ذلك ان هذه الاستعمالات التونسية فصيحة وان عرض لها شيء بعدها عن الفصح المشهور فقد اتصفت بلون من الاقليمية أو قل المحلية . ولهذا أسباب سأعرض لها عند الكلام على هذه الاستعمالات . ولا اريد ان انهي هذه المقدمة القصيرة دون ان اشير الى ان هذه العربية التونسية قد حفلت بشيء من الفصح القديم الذي ندر استعماله في بلاد المشرق .

يشيع في هذه اللغة صيغ عربية لم تجر على نحو ما نصت عليه كتب اللغة او على نحو ما جرى الاستعمال به في غير هذه الديار فمن ذلك :  
« الفعل حجر » فالمعروف ان استعماله ان يجيي « ثلاثيا مجردا والقاعدة اللغوية تجر على انه اذا سمع المجرد فلا يلجأ الى المزيد الا لفائدة مقتضاة .  
ولكن التونسيين يستعملون هذا الفعل بصيغة التضعيف فيقولون مثلا .  
« حجرت » الحكومة الافطار العلني في خلال شهر الصوم » .

او انك تقرأ على لافتة في الطريق « وقوف السيارات محجر هنا »  
ومعنى هذا ان صيغة المضعف من هذا الفعل هو الفصح الجاري عندهم فهم يستعملونه كما يستعملون سائر الصيغ التي تأتي منه كاسم المفعول مثلا .  
هذا هو الاستعمال التونسي اما الفصح المشهور فان الفعل « حجر »

الثلاثي المجرد يعني « منع » الحجر هو المنع وفي لغة التنزيل : « ويقولون حجرا محجورا » أي حراما محرما فقد استعمل الثلاثي المجرد في صيغة اسم الفعل ومنه قولهم « حجر القاضي بحجر حجرا » إذا منعه من التصرف في ماله . وفي حديث عائشة وابن الزبير : « لقد هممت أن أحجر عليها » هو من الحجر المنع ، ومنه حجر القاضي على الصغير والسفيه إذا منعها في التصرف بمالهما .

وينبني من هذا الفعل وزن « تفعل » فيقال تحجر على ما وسعه الله . أي حرمه وضيقه وفي الحديث « لقد تحجرت واسعا » أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك وقد حجرة وحجره .

وينصرف المضعف من هذا الفعل إلى معان أخرى فيقال : حجر القمر إذا استدار بخط دقيق من غير أن يفلط ، وكذلك إذا صارت حوله دائرة في الغيم . والتحجير أيضا أن تسم حوله عين البعير بميسم مستدير ومن هذه الاستعمالات التونسية الفعل « تحصل » على وزن تفعل وهي تدخل في الباب المتقدم الذكر . يستعمل التونسيون هذه الصيغة ولا يفتنون إلى أن المجرد يعني عنه ويسد مسده ، وليس من ضرورة استدعي اللجوء إلى هذه الصيغة فهم يقولون مثلا « تحصلت الحكومة على النتائج الباهرة في مقاومة التخلف الاقتصادي » فيعدون الفعل بـ « على » كما تعدى الفعل المجرد حصل بهذا الحرف نفسه . وهذه الصيغة غير معروفة على هذا النحو في الفصح المشهور ذلك أنهم يقولون « تحصل الشيء » بمعنى تجمع وثبت وهذه الزيادة في هذا الفعل قد نقلت الفعل إلى معنى آخر . ومن هذه الأفعال التي ترد في الاستعمال التونسي على نحو خاص الفعل « وقع » . ولا بد من النظر في هذا الفعل فقد كثر استعماله بشكل يدعو إلى التأمل كان يقال « المسألة التي وقع بحثها » ولا يقال المسألة التي بحثت . ويقولون : ( المشكل الذي وقع النقاش فيه ) وانت واجد مثل هذا الاستعمال



في الصحف والمجلات والكتب العلمية وهو من الكثرة بحيث يجب الوقوف عليه . وأظن ان هذا الاستعمال قد حصل في العربية التونسية بسبب التأثر بالاستعمالات الفرنسية واللغة الفرنسية ذات اثر في الاستعمال التونسي كما ستبين .

ومن هذه الأفعال أيضا الفعل « اطرده » والتونسيون لا يستعملون المجرد الفصح المشهور الذي يعني عن هذه الصيغة المزيدة فيقولون مثلا : « اطرده العامل من عمله » وفي الفصح المشهور الطرد الأبعاد والرجل مطرود وطريد اما الفعل « أطرده » فله استعمال خاص فيقال « أطردت الأبل » أي امرت بطردها ، وفلان اطرده السلطان اذا امر باخراجه عن بلده قال ابن السكيت : « أطرده اذا صيرته طريدا وطرده اذا نفيت عنه » وقلت له : اذهب عنا . وابن شميل يقول اطردت الرجل أي جعلته طريدا لا يأمن . فأنت ترى ان صيغة « اطرده » تفيد فائدة وهي تؤدي خصوصية معنوية لاتأتي من المجرد « اطرده » ومن هذه الاستعمالات التونسية قولهم « أقبيل » فخامة الرئيس الموقد التجاري على الساعة العاشرة صباحا ، وفي هذه الجملة نجد الفعل ( اقبيل ) فيشير استغرابنا ، ذلك اننا لم تألف هذه الزيادة في الفعل ( قبل ) والمراد منها ( استقبل ) المشهور الشائع وفي كتب اللغة : ( اقبيل ) امره اذا استأنفه فالاستعمال التونسي استعمال خاص لم تذكره معجمات العربية وكتب اللغة الاخرى .

ثم انك تلمح في هذه الجملة شيئا اخر ذلك هو استعمال حرف الجر « على » للدلالة على الظرفية ، والمشهور المعروف ان الحرف « في » هو الذي يؤدي هذه الظروف الزمانية وليس لنا ان نلجأ الى التأويل فنقول ان الحرف « على » تضمن معنى « في » فنقول بالتضمن الذي يشيع في حروف الجر ذلك ان الخروج التضميني لم يؤيده السماع .

ومن هذه الأفعال التي يتجاوزون في استعمالها الفصح المشهور الفعل

« أبهر » ويريدون به الثلاثي « بهر » فيقولون مثلاً « ابهرت » بما شاهدته في التقدم العلمي « وكان الاصوب والارشق أن يقال بهرت » .

وزيادة الهمزة في هذا الفعل تنقل الفعل الى معان اخرى كما تنص على ذلك كتب اللغة ، فالفعل « أبهر » استغنى بعد فقر ، وأبهر تزوج سيده وهي البهيرة ، وأبهر الرجل اذا تلون في اخلاقه دماثة مرة وخبثا اخرى .

وقد نقرأ في الصحف التونسية ولا سيما ما ظهر منها قبل الاستقلال قولهم : « ذكرت الرصيفة التريا خبر استقالة الوزارة » وفي هذه الجملة بنوا من الفعل « رصف » لى « فعيلة » للدلالة على ما تستعمل في عربيتنا السائرة في ايامنا لفظة « الزميلة » وهو استعمال خاص بهم لا يدرك الا بهذا التوسع في دلالة الفعل « رصف » .

ومن الفاظهم الاصطلاحية كلمة « التصير » وهي كلمة تدل على الوان من الوان الصناعة الحديثة وهو اصطلاح لا تعرفه في المشرق وانما تستعمل ( التعليب ) ومعناه خزن الفواكه واللحوم والخضر في الصفائح المعدنية واستخدامهم هذا الاصطلاح لا يخلو من اساس لغوي معروف فاصل الصبر الحبس وكل من حبس شيئا فقد صبره ومنه الحديث : نهى عن المصبورة ، ونهى عن صبر ذي الروح والمصبورة التي نهى عنها هي المحبوسة على الموت . وفي حديث آخر في رجل امسك رجلا وقتله آخر : اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أي احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت كفعله به . قال عنترة :

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع

فانت ترى انهم بنوا مصطلحهم من فكرة الحبس الذي يؤدي بالفعل « صبر » كما ان ( التعليب ) في استعمال المشاركة جاء من ( علبة ) والعلبة في اللغة قدح ضخم من جلود الابل . وقيل العلبة من خشب كالقدح الضخم يحلب فيها . وما زال العراقيون يستعملون العلبة لالاء الذي

يضعون فيه اللبن الخائر ، وهي من خشب •

وانت تقرأ في كتبهم الفقهية مثلاً « يجوز لمسوغى اراضي الدولة ان يصنعوا بالفوائد التي تضمنها فصول القانون » والمتسوغ من مصطلحاتهم القانونية فهو المستاجر ويبدو ان هذا الاستعمال قديم في لغتهم •

و « الفصول » عندهم تقابل « المواد » القانونية في اصطلاحنا •

وتأخذ الصحيفة اليومية فتقرأ في الصفحة الاولى : « خطاب الممثل القار للجمهورية التونسية في ندوة الامم المتحدة » • وتعيد قراءة هذه الفقرة فتقف على كلمة « القار » فتلمح فيها شيئاً لم تألفه ، ثم تعرف ان التونسيين يريدون بالقار كلمة « الدائم » أي الممثل الدائم • فقد بنوا من الفعل « قر » على وزن فاعل للتعبير عن هذا المعنى وما أظن ان هذا الاستعمال يوصلهم الى ما يريدون يسر • وهذا لون من الوان التوسع في الاستعمال •

وربما يدفعك حب التطلع فتقرأ الاخبار القضائية فتقرأ فيها : « القرار المخدوش فيه » ويريدون بالخدش على سبيل المجاز لظعن كما في استعمالنا « القرار المطعون فيه » •

وللقوم اساليب خاصة في التعبير عن شؤونهم وما يضطربون فيه وهذه التعابير وان كانت عربية فهي موسومة باقليمية محلية فأنت تقرأ في الصحيفة التونسية « ازدان فراش السيد فلان وعقيلته بمولود ذكر اسمياه محمدا » فهذا اللون من التعبير لا نجده الا في الصحف التونسية •

وقد نجد في هذه العربية التونسية شيئاً آخر هو ان المادة العربية الفصحى استعملت في دلالة جديدة لا تمت الى الاصل بسبب او قل ان المادة الفصيحة قد احوالها الاستعمال الى مادة عامية دارجة • ومن ذلك مادة ( شبح ) فينونونها الفعل ( شاح ) واسم الفاعل ( شايع ) لتدل على الجفاف واليبس فاذا قالوا : لحم شايع فيريدون به ( جاف ) وشاحت الفاكهة جفت ويبست •

وإذا رجعنا الى كتب اللغة نجد مادة « شح » ودلالاتها على الحذر  
والجد والشائح والشيخ والشح هو الحذر الجاد ولا نعلم وجها للتقريب  
بين الفصح والمستعمل الدارج .

وقد تقرأ من استعمالاتهم ما ينبغي على اصول قديمة ولكنهم  
استخدموه بشيء من التوسع لاغراض جديدة ومن ذلك ما نجد أحيانا في  
الصحف من استعمالهم ( الوسق ) بمعنى التصدير للبضائع . والوسق  
بالفتح الموار وكسرهما هو حمل البعير ، وهو ستون صاعا ، والوسق وقر  
التخلة ، ووسقت الشيء أسقه وسقا اذا حملته . وفي لغتنا التجارية التصدير  
للبضاعة ويقابله الاستيراد ، ولكن التونسيين يعدلون عن الاستيراد الى  
التوريد . قال ابن سيده تورده واستورده كوردة .

وتقرأ في هذا الباب قولهم « وردت الحكومة البضائع الى ثبنت  
صلوحيتها » ( للاستهلاك ) ويريدون بالصلوحية الصلاح ، والمصدر من  
( صلح ) صلاح وصلوح وليس من حاجة الى المصدر الصناعي « صلوحية »  
لان هذا المصدر اكثر ما يلجأ اليه في المصطلح الفني .

وهناك الفاظ ذات مدلولات تونسية اصطلاحية غير معروفة عند  
المشاركة مثلا ومنها : « التربص » ويراد به ما يراد بالكلمة الفرنسية stage  
وما يصطلح عليه « بالدروة التدريبية لاكتساب الخبرة والتجربة في فن من  
الفنون . وليس من سبيل الى استعارة « التربص » في هذا المعنى الا بالتوسع  
البعيد . ومثل هذا المصطلح : « المناظرة » بمعنى الاختبار والامتحان للحصول  
على السابق في النتيجة وفي هذا مجاوزة وابتعاد عن الامتحان والاختبار اللذين  
يراد بهما النجاح ليس غير . على ان في أخبار الادب القديم ما يشبه استعمال  
التونسيين لهذه الكلمة كالمناظرة بين الكسائي وسيبويه مثلا .

وتقرأ في الصحف التونسية « السلم العالية » و « استتب السلم » وهو  
خلاف المشهور من تذكير السلم في لغة المشاركة وكتب اللغة تشير الى جواز



هذا الاستعمال فقد جاء في لسان العرب السلم بفتح السين وكسرهما : الصلح يذكر ويؤنث . وقد وردت هذه الكلمة في لغة التتريسل فجاءت بكسر السين في سورة البقرة كما جاءت بفتح السين في سورة الانفال . وان جنحوا للسلم فاجنح لها . وقد جاء ضمير الغيبة الذي يعود للسلم مؤنثا في هذه الآية . كما جاءت بفتح السين واللام في اربع لغات اخرى في سور مختلفة . وترى التونسيين يستعملون الفاظا لا نجدها في استعمالنا المشرقي ولكنها فصيحة تنبت معجمات العربية فانت تقرأ في صحيفة من صحفهم : ان التاجر الفلاني يزف البشري الى ( حرفائه ) والحرفاء جمع حريف وحريف الرجل معاملة في حرقة . والحريف يقابل الزبون في لغة المشرقة وجمعت على زبائن كما هو الدارج المؤلف واستعارة الزبون لهذا المعنى شيء مولد ، وكتب اللغة لا تثبت هذه الدلالة فالناقة الزبون وهي التي تدفع حالبها . والفصح القديم كثير في اللغة التونسية فهم يطلقون ( الشارح ) على الطريق الضيق الواسع ( والنهج ) على الطريق الذي دونه و ( الزنقة ) على الطريق الضيق الذي لا ينفذ ( Impasse ) واكبر الظن ان هذه الكلمة الاخيرة تقابل الزقاق في استعمالنا وهي قريبة منها في الاشتقاق . والزقاق بضم الزاي السكة يذكر ويؤنث وقبل الزقاق الطريق الضيق دون السكة على ان ( الزنقة ) قد وردت في فصح العربية وهي ميل في جدار في سكة او عرقوب واد ، والزنقة السكة الضيقة وفي حديث عثمان من يشترى هذه الزنقة فيزيدها في المسجد .

ويستعملون ( الاحواز ) جمع حوز للدلالة على الجهات القريبة من المدينة الكبيرة كما نستعمل ( الصواحي ) او ( الارباض ) او ما شابه ذلك فيقولون مثلا ( تونس والاحواز ) يريدون العاصمة وما جاورها . والحووز في كتب اللغة ما انضم الى الدار من المرافق ، والمنافع وفي الحديث : فحمى ( حوزة الاسلام ) أي حدوده ونواحيه . وهكذا

استعملت الكلمة التونسية بشيء من التوسع للاستفادة منها في هذه الدلالة الجديدة . وفي التنظيمات الادارية تجد ان المدينة الكبيرة يطلق عليها « الولاية » وصاحب الولاية « هو الوالي » والولاية والوالي من الكلمات التي استعملت قديما وظلنا مستعملين الى العهود القربية الماضية وكان على الولاية قبل فترة الاستقلال « القائد » ويأتي بعد الولاية في التنظيم الاداري ( المعتمدية ) وهي اصغر من الولاية ومعنى ذلك ان الولاية يتبعها ( معتمديات ) عدة ، وصاحب المعتمدية هو ( المعتمد ) وهذا من المصطلح الجديد الذي لا نراه في غير تونس وكان على هذه الشبهة من التنظيمات الادارية في عهد الحماية التونسية ( الكاهية ) ثم تأتي ( المنيخة ) المقصبة الصغيرة وصاحبها هو الشيخ . وقد تسمع في تونس وغيرها من الشمالي الافريقي الفاظا في هذا الباب لا تعرف لها اصلا ومن ذلك : « المشرة » للمجاعة الصغيرة المستوطنة في مكان معين وهي لا تدخل في التنظيمات الادارية الرسمية ومنها « المداشر » في المعنى نفسه للمجتمعات الصغيرة . ومن المناسب ان نعرض للالفاظ المتعلقة ( بالوظيف الحكومي ) ونقول الوظيفي الحكومي وليس الوظائف الحكومية كما هو المسموع عادة . وفي هذا الباب مادة كثيرة لم نعرفها في غير أقطار الشمالي الافريقي بصورة خاصة ولا بد ان نأتي على هذا الجانب من هذه المادة اللغوية وهو :

١ - مدير المراسيم لرئيس الجمهورية هو الموظف الكبير الذي يكلف امورا معينة كاستقبال ضيف كبير او ما اشبه ذلك وهي تقابل عندنا مدير التشریفات أو شيئا يشبه ذلك .

٢ - كاتب الدولة وهو منصب معروف في تونس و ( كاتب الدولة ) عندهم هو ( الوزير ) عندنا . كأنهم عدلوا عن الوزير وهو كلمة واحدة الى هذا التركيب الاضافي تقليدا وترجمة للكلمة الفرنسية في هذا الباب ( Secrétaire d'Etat ) وعلى هذا الاساس ايضا لم تكن لفظة الوزارة

في جسدول مناصبهم الرسمية فهي ( كتابة الدولة للتربية القومية ) •  
وأود أن أنبه الى ان الوصف بكلمة ( القومية ) أو ( القومي ) ورد  
كثيرا في اسماء الادارات الرسمية وشبه الرسمية نحو ( الصندوق  
القومي للمضمان الاجتماعي ) • و ( الجامعة القومية لاتحاد النقابات )  
وهذا الوصف لا يرمز الى شيء من معناه المتعارف عندنا من الديار  
الشرقية فهو مقابل للكلمة الفرنسية (National)

٣ - كتابة الدولة للفلاحة ، والفلاحة عندهم هي ( الزراعة ) في الميادين  
الرسمية وفي اللغة العامة ، و ( الفلاح ) عند التونسيين هو غسير  
العامل في الارض كما هي الحال عندنا ، فهو المالك للارض والمنفعة  
منها والمستثمر لها فلا يقولون : ( زارع ) او ( ذراع ) او كما تقول  
في استعمانتا الشائع اليوم ( مزارع ) وهكذا جاءت ( الفلاحة ) في  
كثير من مصادرهم التاريخية القديمة وقد استعمل ابن خلدون في  
المقدمة ( الفلاحة ) ولم يستعمل ( الزراعة ) مثلا •

٤ - ( مصلحة الاستخلاص ) نجد لفظة ( الاستخلاص ) مستعملة كثيرا  
لغرض فني فالمراد بها ( الاستحصال ) للرسوم والضرائب مثلا ، كان  
تقرأ ( استخلاص الاداءات القارة ) وقد تقرأ ( قباضات الاداءات  
القارة ) و ( القباضة ) تعني المكان الذي تسلم فيه ( الاداءات )  
والاداءات هي ( الضرائب ) التي يجب ادائها ، أما ( القارة ) فقد  
مرت بنا واسلفنا الكلام عليها • وقد تكون « القباضة » الادارة التي  
يستلم منها الموظفون مرتباتهم الشهرية •

٥ - ( المكتب الجهوي لجراحة التقاعد ) والمسراد ( بالمكتب الجهوي )  
المكتب الذي ترجع اليه شؤون الجهات والاقاليم غير العاصمة وقد  
يطلق على هذه ( الجهات ) ( الافاق ) كما يقال : فلان من محامي  
الافاق ) أي مختلف الجهات ما خلا العاصمة •

( والجهوي ) نسبة الى ( جهة ) . وهذه النسبة غير معروفة في الفصحى المشهور فكانهم ردوا الى الكلمة المحذوفة وهو الواو ، والفصحى فيها عدم رد المحذوف اذا كان المحذوف فاء لا لاما فانسبة الى ( عدة ) ( عدي ) ومثل هذا التجاوز ما نرى من النسبة الى ( وحدة ) في ايامنا هذه فيقولون : ( فلان وحدوي ) أي من انصار ( الوحدة ) للوحدة بين الدول العربية ، وزيادة الواو قبل ياء النسب لم تجر على الوجه الصحيح ، والفصحى هو ( وحدوي ) أما ( الجراية ) فهي المصطلح الذي لم يشع في عصرنا فهو المعين المرسوم من نقد او عين .

٦ - ( القيم العام ) وهو ما يقابله في الفرنسية Surveillant general وهو مسؤول في المدارس الثانوية عن النظام وعن أمور اخرى وهو يساعد ناظر المدرسة في ذلك .

٧ - ( المتفقد ) هو ما يقابل عندنا ( المفقش ) وعندهم متفقد التعليم الثانوي ومثله للتعليم الابتدائي وغير ذلك مما يمس دائرة التفقيش في مجالات عدة .

٨ - ( الحجرة التجارية للحاضرة ) وقد عدلوا عن ( الغرفة ) التي يستعملها اهل المشرق في هذا الامر . وما اظنهم ارادوا التمييز بين الحجرة والغرفة من حيث الاصطلاح اللغوي . ( والحاضرة ) عندهم هي مدينة تونس دون سائر المدن الاخرى فاذا اطلقت فهم المراد من لفظة ( الحاضرة ) ولم يختلط الامر بالحواضر الاخرى .

٩ - ( الرائد الرسمي ) وهي الجريدة الرسمية سميت بهذا الاسم تمييزا لها من كونها تختلف عن الجرائد الاخرى .

١٠ - ( الصبايحي ) وهو من اعوان الوالي يقوم بشؤون الوالي نحو سجن الموقوفين او غير ذلك .



١١- ( المطلب ) ويقابل ( العريضة أو الطلب ) عند أهل المشرق وربما كان من اثر الترجمة من الفرنسية فهو (Demande) وهم يقولون مثلا : ( على المترشحين للمدارس الثانوية ان يعمروا المطالب الضرورية ) ولفظ ( التعمير ) يقابل ( التحرير ) عندنا وهذا شيء لا نعرفه مسن معنى التعمير .

#### اللقاب العسكرية

ما زالت هذه الالقاب تحفل بالدخيل الاجنبي من تركي قديم الى فرنسي جاء به الحكم الاستعماري . ومن ذلك مثلا ( الشاوش ) و ( الباشا شاوش ) و ( الامير الاي ) . ( واليوزباشي ) و ( انقائم مقام ) و ( الكوميسار ) وغير ذلك .

#### مصطلحات الجامع الاعظم

( هو جامع الزيتونة ) الشهير في التاريخ التونسي وهو صفحة من الصفحات المشرقة ، والمعهد الاول لتونس . ولهذا المعهد مصطلحاته وألقابه فعهدهم :

١ - ( الشيخ ) ويطلق على خريج الجامع الاعظم وعلى من يباشر التدريس فيه .

٢ - ( الاهلية ) وهي شهادة الدراسة الابتدائية في المعهد .

٣ - ( التحصيل ) وهي شهادة الدراسة الثانوية وتقابل البكالوريا .

٤ - ( العالمية ) وهي شهادة الدراسة العالية وتقابل الليسانس في الانظمة الحديثة .

#### المصطلحات القضائية

للتونسيين مصطلحات خاصة بهم في هذا الباب لابد من تسجيلها ومن ذلك :

١ - ( محكمة التعقيب ) التي يطلق عليها في جهات عدة من الشرق ( محكمة التمييز ) او ( محكمة النقض والابرار ) كما في مصر .

Le Tribunal correctionnel

٣ - ( سابقة الاضرار ) من الالفاظ الاصطلاحية في القضاء التونسي ويقابله ( سبق الاسرار ) في اللغة القضائية في المشرق العربي .

٤ - ( تهمة التمعش بالخنا ) ويراد بالتمعش الاحتراف أي العيش بالخنا وفي صوغ هذا المصدر توهم بأصالة الميم مع حذف الياء . وقد جاءت الميم من المصدر ( ممشة ) ولا تعرف لهذا التوهم وجها وليس يستعمل الا في هذه القرارات القضائية التونسية ، والعربية في غنى من الوقوع في هذا الدرك .

٥ - ( التدليس ) وهذا من الالفاظ التي ترد في الاحكام التونسية كأن يقال : ( حكم على فلان بجريسة ( التدليس ) في الشهادة او ( التدليس ) في الحساب مثلا ، والمراد بالتدليس هنا ( التزوير ) الذي يشيع في اللغة القضائية في المشرق واستعمال التدليس فصيح قديم في هذا الباب والذي نعرفه ان من كتب ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ رساله في ( طبقات المدلسين المسمى تعريف اهل التدليس بمراتب الموصوفين بالتدليس ) .

٦ - ويقولون مثلا : ( تركبت الهيئة العليا للمحكمة من ستة اعضاء ) واستخدام التركيب في هذه الجملة مما لم تألفه نحن المشارفة ذلك انا نقول ( تألفت الهيئة العليا ) .

٧ - ومن هذه المادة ما نقرأه في الصحف من الاعلانات ، ومن ذلك ( يعلن السيد ... ان بنة كراء مخزين على ملك احد المعمرين ستم يوم الجمعة ٢٠ ففري ) . وفي هذه الفقرة نعرف ان ( مناقصة ) باصطلاحنا المشرقي لا يجاز مخزين ستمهي في التاريخ

المذكور ، ثم ان المخترين ( على ملك احد المعمرين ) أي ان المالك  
لهما احد المعمرين والمعمرين هم Les Colons في الفرنسية أي الفرنسيون  
الذين استوطنوا تونس فعمروا لانفسهم المزارع الكبيرة والمتاجر  
الضخمة .

### الأسلوب المترجم في اللغة التونسية

تأثرت العربية التونسية الحديثة بالاساليب الفرنسية في التعبير ولم  
تكن العربية التونسية بدعا في هذا التأثير ، ذلك ان العربية الحديثة بصورة  
عامة قد اكتسبت شيئا نتيجة هذا الاسلوب المترجم .

وهذه الترجمة تبدو بوضوح في لغة الخبر السياسي الذي نسمعه من  
المذيع وفي كثير من الاساليب الصحفية .

فاذا أصغيت الى المذيع التونسي وحين وقت اذاعة الاخبار سمعت  
المذيع يقول : والان تستمعون الى الجريدة الناطقة . ويريد بالجريدة  
الناطقة ( نشرة الاخبار ) والجريدة الناطقة نقل للتعبير الفرنسي .

ثم نسمع في هذه الاخبار ان ( الجند الفرنسي قد اعتدى على احراب  
التونسي ) ويراد ( بالتراب ) الارض التونسية أي ان الاعداء قد حدث في  
الارض التونسية . واستعمال ( التراب ) مقابل للتعبير الفرنسي Territoire  
وفي هذه الاخبار ايضا : ( ان الرئيس قد قام بمسعى لفائدة السلم  
الجزائر واستعمالهم ) لفائدة السلم ( يريدون به ( من أجل السلم ) ومجيء  
الفائدة جاء من ترجمة للفرنسية

ثم نسمع المذيع يقول : ( اتصل الرئيس ببرقيات من طرف تعااضديات  
للفلاحين والصناعية .. ) واستعمال الفعل ( اتصل ) على هذا النحو شائع  
في اللغة التونسية وربما كان لترجمة عن الفرنسية . ثم ان استعمالهم  
( من طرف ) ويريدون به ( من لدن ) او ( من قبل ) كان نقلا للتعبير  
الفرنسي de la part . والتعااضديات استعمال تونسي مقابل لـ Coopérative

وهي التعاونية في اصطلاحنا . اما الصناعية فهي جمع يريدون به الصناع  
وهذا الجمع لم نسمعه في غير تونس من اقطار العربية .

ثم نسمع ايضا ان ( الوزير قد قابل طائفة من الاطارات الحزبية )  
فستقرب كلمة ( الاطارات ) ونراها جديدة على سمعك ولم تدر انها ترجمة  
للتعبير الفرنسي cadres ونقطة Cadre تعني الاطار في معناه الحسي وهي  
الآلة المعروفة . ولكن الفرنسيين يتسعون في دلالاته فينقلونه مجازا الى معنى  
آخر ويريدون به الأفراد المعلمين القيين الذين يؤلفون العناصر الضرورية  
في التنظيمات الاجتماعية بصورة عامة وهكذا فان التونسي ينقل اللفظة  
الفرنسية فيجد اللفظة المقابلة لها في العربية في معناها الحسي . ولا يكفي  
بذلك بل يتوسع في هذه العربية على طريقة المجاز كنوسع الفرنسيون في  
لفظهم وهذا شيء لا تسبغه العربية كثيرا فلكل امة مجازاتها وطرفها  
الخاصة في التعبير .

ومن هذا الاسلوب المترجم جاء في العربية قولهم ( كوتغولي ) و  
( ملوغولي ) في النسبة الى ( الكونغو ) والى ( الطوغو ) من الاقطار الافريقية .  
واللام في هاتين النسبتين ليست جارية على قواعد النسب العربية فهي زائدة ،  
وهي غريبة ، وهي من الفرنسية . ومثل هذه النسبة استعمالهم ( الكرونيكية )  
في قولهم ( آلات الكرونيكية ) فالكاف الثانية في الكلمة من Electronic  
الفرنسية في والصحيح ان تكون الكلمة في العربية من دون الكاف الاخيرة  
التي جيء بها في الفرنسية للموصف الذي هو مثل النسب في افادته للموصفة  
فيقال ( آلات الكرونية ) .

ومن هذا الاسلوب المترجم استعمالهم للظرف ( أين ) في تفسير  
الاستفهام مثلا ( سيقام الاحتفال في بطحاء الحكومة أين يخطب الرئيس ) .  
والصحيح ان يستعمل الظرف ( حيث ) ولكنهم تأثروا بالظرف المستقبل  
في الفرنسية في مثل هذه الحال وهو Ou



## ما يتعلق بالزراعة والنبات من الالفاظ

نلمح في هذا المجال مادة لغوية خاصة جديرة بالتسجيل والنظر ، ذلك ان تونس بلد زراعي يعتمد على الزراعة الاعتماد الكلي . فمن هذه المادة اللغوية ما تعلق بالارض المزروعة فالارض الكبيرة المعدة للزراع يسمونها ( هنشير ) ولا نعرف في مواد العربية شيئا من هذا . وربما كانت الكلمة من المخلفات اللغوية القديمة فقد حفل التاريخ التونسي ببلغات عدة كالرومانية والفنيقية واللهجات البربرية . وقد حدثني العالم الجليل السيد حسن حسني عبدالوهاب ان الكلمة كانت تطلق على المواقع التي هي مكان للمعاديات والنفائس العتيقة ثم استعملت الاستعمال الاخير الشائع .

ويسمون الارض المعدة للزراع والتي تسقى من بئر تنصب عليها واسطة لا يصل الماء ( السانية ) وهذه الكلمة ذات أصل فصيح فالسانية في معجمات اللغة الغرب وأداته . والسانية الناضجة وهي الناقة التي يستقي عليها . وفي المثل سير السواني سفر لا ينقطع . وعن الليث : العانية وجمعها السواني ما يسقى عليه الزرع ، والحيوان من بعير وغيره . وقد سنت السانية تسنو سنوا اذا استقت . وها نحن نرى ان السانية الغرب وأداته ثم توسع فيها في فصيح العربية فصارت تطلق على الحيوان الذي يستقى به ، ثم توسع التونسيون فيها فصاروا يطلقونها على الارض التي تسقى بهذه الطريقة .

ومن هذه لفظة ( الكرد ) في العراق وهي مادة غير عربية ومعناها الاداة التي تنصب على بئر أو حفرة يجتمع فيها الماء الذي مصدره النهر ثم يستعان بالحيوان على ادارة عجلة هذه الاداة فيرمى بالماء في أوعية مربوطة بالعجلة . أقول توسع في مدلول هذه الكلمة فأطلق ( الكرد ) أو ( الكروود ) بصيغة الجمع على الارض التي تسقى بهذه الطريقة ثم صار المشتغلون بهذه الارض ( كراودة ) على صيغة المبالغة .

ويزرع التونسيون ( الزيتون ) وقد اشتهرت تونس بزيتونها  
منذ أقدم العصور . وفي تونس من اصول الزيتون ما يرجع الى عدة قرون وهم  
يسمون ما يظهر منه من دون ان ينعهده الانسان بالزروع ( الجالي ) والمادة  
عربية فصيحة ولكننا لا نعرف هذا الاستعمال في مدلولات الكلمة الفصيحة .  
ويسمون حاصل الزيتون ( الصابة ) وربما كانت ما يصيبه الفساح  
من هذا الثمر المبارك .

واشتهرت تونس في كونها تنتج الفواكه الحمضية كالليمون والبرتقال  
وغيره وهذه الثمار تدعى ( الحوامض ) في الديار الشامية والعراقية ويدعوها  
المصريون ( الموالح ) أما التونسيون فيسمونها ( القوارص ) وهي المصطلح  
العلمي والتجاري عندهم على ان لفظ ( القارص ) يطلقونه على الليمون  
الحامض citron دون غيره . أما الليمون الحلو فيسمونه ( الليم ) .

ومن فاكهتهم ( العوينة ) لما يدعى بالفرنسية prunes على ان التونسيين  
قلما يستعملون لفظ ( الفاكهة ) أو الفواكه وإنما يعدلون عنها الى ( الغلة )  
أو ( الغلال ) بصيغة الجمع ، فإذا قيل عصير الغلال فالمراد به عصير الفواكه  
وانصرف ( الغلة ) الى هذا المعنى استعمال تونسي وتخصيص للكلمة  
بشيء دون غيره وحقيقة ( الغلة ) في كتب اللغة : الدخل الذي يحصل  
من الزرع والثمر والمبني والاجارة والتاج ونحو ذلك وجمعها ( غلات )  
وفلان يغل على عياله أي يأتيهم بالغلة .

ومن الملاحظ ان ( الفاكهة ) عندهم قد تنصرف الى ما يجفف من  
أصناف الفاكهة . ومن أسماء ( التين ) عندهم ( الكرموس ) أو ( الشريجة )  
ولا نعرف لذلك وجها .

ومن أصناف الفاكهة ما يدعونه ( بوصاع ) لما يسميه الشاميون  
( ايكبي دنيا ) و ( ويني دنيا ) .

أما الخضروات Legumes ففيها شيء آخر خاص بهم ومن ذلك « القنارية »

لما يدعى بالفرنسية Artichaut ولم يثبت P.J. Bellot هذه الكلمة في معجمه الصغير الفرنسي العربي واكتفوا بذكر ( شوكي أو أرضي ) ولا أدري من أين جاء بهذين الاسمين ولعله اخذهما مما هو مستعمل في لبنان وقد فاته ان الخفاجي في ( شفاء الغليل ) قد ذكره وعده من المدخيل ولم ينص على أصله الذي جاء منه . قال انشهاب الخفاجي : القنارية هو بالمغرب نوع من الخس ومنه نوع يسمى ( الخرشف ) وخس الكلب والكنكر قال ابن المعتز : -

وقد بدت فيها نمار الكنكر كأنها جماجم من عنبر  
على ان التونسيين لا يلفظونها بالقاف بل بالكاف الشديدة على نحو  
ما ينطق المصريون بالجيم .  
ومن خضر وانهم ( السفارية ) ويريدون بها الجزر ومنها ( الجلبان )  
بكسر الجيم وهي ما نوعوه ( بالبراليا ) أو ما يدعى بالفرنسية Petit Pois  
والكلمة ذات أصل فصيح وان تغيرت صورتها فالجلبان بضم الجيم واللام  
مع تشديد اللام نوع من القطناني . قال أبو حنيفة : لم أسمع من الأعراب  
إلا بالتشديد وما أكثر ما يخففه قال : ولعل التخفيف لغة .  
ويسمون القنار أو الخيار ( فقوسا ) و ( الفقوس ) من اسمائهم المحلية  
الشائعة في كثير من أقاليم الشمال الأفريقي .  
أما ( البامية ) المعروفة في المشرق فلها اسم غريب عند التونسيين  
لا يعرفون غيره هو ( القناوية ) بتشديد النون .  
ويطلق التونسيون على بعض ( الحيوان ) أسماء لم اهتمد إلى أصولها  
المقوية فالخروف الصغير يدعونه ( علوش ) بتشديد اللام وهم ينطقون  
بالواو كما ينطق الحرف اللاتيني  
ومن ذلك ( العتروس ) للمعز ، و ( السردوك ) للمديك و ( الحلوف )  
للمخزير .

# الأقليمية والنقد الأدبي

حضرتني الى الكتابة في هذا الموضوع تعليق نشرته مجلة « الفكر » (١) على مقالة نشرتها في مجلة [ الأديب العراقي ] عنوانها [ اشارة للشعر وأمير الشعراء ] ، وأمير الشعراء في هذه المقالة هو الشاذلي خزنة دار من شعراء تونس الكبار . وقد عرضت في هذه المقالة لشعر الشاعر وقلت فيما قلت : انه لم يبلغ من روعة الشعر ومستوى الابداع ما يجوز به مبايعته أميراً للشعراء ، ولم يأت منه الاوصاف القواني بعضها الى بعض ..... وقد قلت ان اخوانا التونسيين لا يؤمنون بالقول المشهور : « منا أمير ومنكم أمير » وكانهم يرون في انفسهم الوجه البارز المعبر عن أفريقيا الشمالية ، وربما ارادوا ان يقولون للمشاركة : اتنا مثلكم أو خير منكم .

وقد بويح هذا الشاعر الأمير على هذه الامارة كما بويح أخ له من قبل ، ذلكم هو أحمد شوقي أمير الشعراء المشاركة . أما صاحبنا الشاذلي خزنة دار فقد بايعه مواطنوه التونسيون وفيهم شاعر القيروان محمد الفائز . ولا أدري كيف خلص الاستاذ رئيس تحرير « الفكر » الى قوله : اني اتهم التونسيين بالغرور والصلف والتظاهر بالسبق في كل المجالات . وأنا أريد أن ادفع هذه التهمة ، ومعاذ الله أن أرمي قوما بالذي جاء على صفحات المجلة أو اغمرهم بشيء لا يرضونه وقد لمست فيهم الخير والفضل ، وكيف اتهمهم بمنزل ذلك وقد خیرتهم فوجدت فيهم الصديق الكريم والسيد الوفي والعالم الجليل .

وقد أبي المعلق الفاضل ان تنسب مبايعة الفائز القيرواني الى شيء من التعلق والتزلف ، وفاء لروح الشاعر الصادق الرقيق محمد الفائز الذي



لم يعرف عنه انه كان ميلاداً للتملق والتزلف .

أما أنا فسأعود الى شعر السيد خزنة دار ليقف القاري على قيمته الفنية وعلى قيمة مبايعة شاعر القيروان اياه بالامارة .

ولابد من التوجه بالشكر للسيد رئيس تحرير «الفكر» الذي حفزته مقالتي فعلق عليها خدمة للتاريخ ، ووفاء للنقد الادبي ، وأشهد اني قد افدت منه نصائح من وهم دفعت اليه فنسبت الشاعر الى زمرة الوزراء ولم يكن له أن عرف هذا المنصب . . ولكنه على أي حال من طبقة عليا ومن أرومة عليا تصل به الى البيت المالك وان لم يبعده مقام هذا البيت عن الانتماء في صفوف الشعب .

وكان السيد المعلق لم ترضه الاحكام التي وردت في مقالتي في حق أمير شعراء الخضراء فمضى يقول : « فما رأي الاساتذة : الفاضل بن عاشور وزيين العايد بن السنوسي والصادق مازين ومحمد الحليوي والهادي ذعبيدي ومصطفى خريف والهادي العامري وعثمان الكعك .

وأنا أريد ان أشرك هذه الزمرة الفاضلة في الذي سأعرضه من شعر الشاعر ولكنني استنتني من هؤلاء السيد العامري الذي طلع علينا في العدد السادس من مجلة الفكر لهذا العام بمقالة عنونها « أمير شعراء الخضراء الشاذلي خزنة دار » استجابة لنداء المجلة في عددها السابق . وكأني به قد أمسك بالقلم والغضب قد ملك عليه كل شيء على هذا [ التجني والكذب ] الذي لحق بأمير شعراء الخضراء فلم يشأ الا ان يغمس هذا القلم في الخل فيزعم اني كتبت ما كتبت عن قصد سيء ، ولا ادري كيف جوز لنفسه هذا الزعم الباطل .

وقد سررت بادىء ذي بدء بنداء المجلة في العدد السابق واستطلاعها آراء السادة الافاضل ، حتى اذا طلع العدد القابل ورايت السيد العامري مستجيباً للنداء توقعت الخير وظننت انه سيصحح خطأ ويرأب صدعا وأن

له من اصوله ومواده وأدواته ما يعين على بلوغ هذه الغاية فقرأت المقالة  
 آملا أن أجد فيها نماذج تغير من رأيي في شعر الشاعر الذي بينته في المجلة  
 العراقية ، ولكني لم أجد شيئا من ذلك وأنا آسف أشد الأسف . وسأعرض  
 للموضوع كله ذاكرا النماذج التي اعتمدتها أنا والتي اقتبستها من كتاب  
 « الادب التونسي في القرن الرابع عشر »<sup>(٢)</sup> للسيد زين العابدين السنوسي  
 أحد السادة الذين استطلعت « الفكر » رأيهم فيما قلت في شاعر الخضرء الأمير ،  
 كما سأعرض لنماذج السيد العامري لأطلع هؤلاء السادة الأكرمين ، ولأطلع  
 جمهور القراء الذين يعرفون الشعر فيقدرون قدره ، على القيمة الفنية ،  
 لأدب الشاعر الأمير . وأنا آسف أيضا ألا تكون مقالة السيد العامري قد  
 خدمت النقد الأدبي بقدر ما أُرِضت هوى وعاطفة فدفت تحجيا لحق بالأدب  
 التونسي كما توهم السيد العامري في مقالته الغاضبة .

وانت ايها القارىء ربما تعجب من عنوان مقالتي هذه فأقول لك : اننا  
 معاصر العرب مشارفة ومغاربة مازلنا نعاني هذه الاقليمية ، هي افليمية  
 تغطي على أحكامنا في السياسة والاجتماع والأدب ، وليس من غاييتي ان  
 اتكلم في السياسة والاجتماع فلم أتهيا لذلك ، ولكني أريد أن أشير الى هذه  
 الاقليمية التي تسود النقد الأدبي فيما تصدر من أحكام ، فيما زلنا نلصق  
 النعوت المجلجة والالقاب المدوية بشعرائنا فهذا شاعر العرب الكبير ، وهذا  
 شاعر القطرين ، وهذا شاعر العراق الأكبر ، وهذا أمير الشعراء ، وهذا  
 شاعر النيل . وانت تعرف ان هذه النعوت لم تخدم النقد في شيء ، وأن كثيرا  
 من أدب هؤلاء لا يرقى عن مستوى الرصف الذي تقتضيه مناسبة عابرة ،  
 يقتصر الى القيمة الفنية افتقارا أصيلا كما يقول النحاة ، ولا يحتفظ الا بالفائدة  
 التاريخية . وبعد أليس هذا من دواعي هذه الاقليمية الضيقة . ولنعد الى

(٢) الادب التونسي في القرن الرابع عشر لزین العابدين السنوسي

تونس ١٣٤٦ .

أمير الشعراء وشعره لنقول فيه الكلمة الأخيرة معتمدين على مختارات السيد السنوسي والمختارات التي جاء بها السيد العامري .  
أما مختارات السيد السنوسي فمنها قصيدة عنوانها «الحر»<sup>(٣)</sup> فلنستمعه يقول :

الحر من لا يستكين لمرهق	فعليك خضيك إمّ ويحك تنقي
واصدع بحقك في الأداة ولا تقل	• ان البلاء موكل بالمنطق
فلى م تستجدي وحقك بين	شلت يد تمتد للمتصدق
تباً لمن ألق الخنوع لغاشم	ما تلك الا شيمة المملوق
أولى وأحرى أن يبيت على ظما	من ظل من ماء المهانة يستقي
فيم احتمالك والكوارث جمة	ممن يراك بنظرة المتفوق
حسّ وعمي ساخرين تطاولاً	منا كأننا في الوري لم نحلق

وعلى هذا النحو يستمر الشاعر في هذا النظام الذي تموزّه وحدة البناء والاتساق بين المعاني بحيث تأتي وكأنها قد أفرغت في وحدة متماسكة ، ولكن الشاعر يملك شيئاً من الأفكار العامة يوزعه على عدة هذه الأبيات فيلتزم طابع الموعظة واسلوب النصيحة ، وما أظن أن في ذلك شيئاً يمس الفن الرفيع . وارسال الفكرة على هذا النحو شيء يعرض للنظامين فضلاً عن الشعراء المبدعين .

ثم انك اذا فحصت القصيدة بيتاً بيتاً وجدتها تفتقر الى عناية في البناء والا فهل لك أن تسيع بناء هذا البيت :

أولى وأحرى أن يبيت على ظما من ظل من ماء المهانة يستقي  
وأنا أسائل هؤلاء السادة الذين استطلعت الفكر رأيهم ليقولوا ان كانت هذه القصيدة من شعر أمير للشعراء ام من النظم الذي لا يرقى بصاحبه الا الى رتبة النظامين .

ثم تعال معي أيها القارىء لنستمع الى قصيدة الشاعر « نداء » التي

يقول فيها :

نادت بينهما الديار بالله أين المصير  
هذا علي يغار وذا علي يغمر

⊙ :

التونسي بني أضحي بحقي ينادي  
لكما ذو الغي رآه أعدى الأعادي  
حيث اعتدى في الحي يقول هذي بلادي  
وحق هذا الأبي قامت به الأنار

الى ذوبها تشير

⊙ :

من يرتضي بالدنايا ثم يفكر بالمعالي  
عش سيداً في البرايا معزراً بالرجال  
كم في الزوايا خبايا فانهض بها في الحال  
وخض غمار المنايا فما هي الأعمال  
وهل لها تأثير

كن مؤمناً بالله لا مؤمناً جفرا في  
في يظلمة واتبعاء كالسادة الأسلاف  
ما في ارتكاب المناهي كالسادة الأسلاف  
الا كبار الدواهي الا الدواهي الكبار

والاندحار الكبير

إدأب عليه وطالب به الخصوم الألد  
لم تأت - والله غائب - يا صاحب الحق إذا  
لا سلب يبقى لسالب مهما طغى وتعسدى



كن بالعزيمة جالب ما تبتغيه الديار  
فأت فيها الخير

نقرأ هذه القصيدة في افكارها الوطنية فلا تحس الحماس المنقذ ، ولا  
نستطلع زحمة الصور الشعرية التي تترجم هذا الحماس ، وانما نرى نغما  
باردا ينداح على هذا النمط الحكائي في سرد الافكار التي تشغل بال  
العامة ، والتي يتحدثون بها سحابة يومهم في زمن طغى فيه المستعمر أيضا  
طغيان .

نقرأ هذه القصيدة فلا تلمس فيها ماء ولا رواء كما يقول النقاد  
الاقدمون ولكنك لا تعدم أن تجد عناية في الرصف ، ألا ترى أن الصدور  
قد بنيت على قواف متسقة كما بنيت الأعجاز على شيء من ذلك .  
على أن في هذه العناية ما يذكر بأساليب المتأخرين من شعراء الفترة  
المظلمة . انظر الى قوله :

هذا علي يغار وذا علي يغسر

تدرك هذه العناية المفضوحة في « الغيرة » و « الاغارة » . وهذا  
والتجانس لم يحدث عن غير قصد .

ومن هذه العناية على نحو ما جاء في شعر المتأخرين قوله :

ما في ارتكاب المناهي ما بين ياد وخاف  
الا كبار الدواهي الا الدواهي الكبار

فقوله « الا كبار الدواهي » ثم اعادته العبارة نفسها في العجز بالتلاعب  
في المضاف والمضاف اليه اسلوب مرذول مبتذل وهو من باب « رد العجز على  
الصدر » ثم ان استعماله « المناهي » لا يؤدي « المنهي عنه » فهو جمع  
« منهي » مثل « مسمى » والمراد هو زنة اسم المفعول ، وهو يبدأ اربعة

الآيات هذه بقوله :

كن مؤمناً بالله لا مؤمناً جغرافياً

وهو يريد « بالمؤمن الجغرافي » كما نلمس في البيت ، المؤمن بالطبيعة والمنكر لله ، وما أرى أن استعماله « جغرافي » يسعفه في ترجمته هذه الفكرة .

ولا أريد أن أترك هذه المقطعات قبل أن أشير إلى أن الشاعر قد نقل فيها شيئاً فيه مسحة من العامية الدارجة ، ألا ترى في قوله : « فما هي الأعمار وهل لها تأثير » شيئاً من هذا التأثير بالعامية في استعماله « وهل لها تأثير » .

ثم انظر إلى قوله :

إدابٌ عليه وطالب به الخصوم الألداء  
لم تأت - والله غالب - يا صاحب الحق إذا

فقوله « والله غالب » عبارة تلوكها السنة العامة كل يوم وإن كانت من مادة فصيحة وهذه العبارة يعرفها التونسيون دون سواهم . ولست أرى وجهاً لمجاوزة الشاعر ، أو قل أمير الشعراء للفصح المشهور في قوله : ( وطالب به الخصوم الألداء ) فالألد صفة المفرد وهو الخصم ، أما الخصوم فينبغي أن توصف بالجمع ، فكان يلزم أن يقول « الخصوم اللد » جرياً على قوله تعالى : « وتندر به قوما لدا » فاللد بضم اللام جمع الألد .

وماذا عسى السيد العامري أن يقول في هذه التجاوزات ! أهـي هنات من حقها ألا تذكر أم هي مراعاة اقتضاها الوزن ، وكيف لا يحاسب بعد أمير الشعراء في ارتكاب شيء من ذلك . هون عليك أيها القاري . - ولا تضق ذرعاً فسأطيل عليك لاوطئك على هذا النغم « الخزنة داري » . يبكي الشاعر في قصيدة « ضحايا » المجاهدين الأبرار فيقول :

نبكي لفرقتهم وهم أحياء      سبعا بكتهم تونس الخضراء  
 ما كان في كفي الحسام وإنما      من تحت فكي حية رقطاء  
 أرسلتها حصبا على مغالهم      فتريه ماذا يفعل الشعراء  
 ساهز من قومي الذين بلوتهم      ما ترتضيه الهممة القعساء  
 عربية الاحساس في نخواتها      لله تلك النخوة العرباء

\* \* \*

دعهم يريقوا يزهقوا يستنزفوا      يفنوا يبيدوا يفعلوا ما شاموا  
 في هذه الايات يبكي ضحايا الوطن ، فالموضوع جليل ، وكان  
 يستدعي من الشاعر قصيدة عامرة غير هذه الايات ، يستوفي فيها ما  
 تقتضيه هذه المناسبة الكريمة . غير ان الشاعر لم يستطع أن يتخلص من  
 طريقته في ارسال الافكار بصورة لم يمسها الفن تصويرا وخيالا وعاطفة .  
 نقرأ مطلع هذه المقطوعة فنجدته مثقلا بتجاوز نحوي فقد قال « وهم  
 احياء » ثم جاء بالعدد على هيئة التذكير « سبعا » وليس لنا أن نقول ان  
 « سبع » تتبع « الضحايا » عنوان القصيدة ، ذلك ان عود العدد على المعداد  
 القريب « نبكي لفرقة م وهم أحياء » .

قد نقول : هذا شيء هين ، وأنا أقول معك : انه هين لو نهيا للشاعر  
 ان يبلغ في مقطوعته شيئا من الاجادة الفنية .

أقول : موضوع القصيدة جليل وخطير ، ولكن هذه الخطورة لم  
 تنس الشاعر اللعب بالالفاظ ، ألا ترى الى الجمع بين « كفي » و « فكي »  
 في البيت الثاني مما يذكرك بصناعة المتأخرين المبذلة . ومثل هذا قوله :

عربية الاحساس في نخواتها      لله تلك النخوة العرباء

وهذه أيضا صناعة مبتذلة ، ألا ترى الى التكرار في عجز البيت فهو  
 يكاد يكون اعادة للمصدر وهنا ما أسموه بالمرصود من القوافي . وماذا  
 يقال في شاعر يحرص على هذه الألاعيب البديعية !

ثم انظر الى البيت الاخير :

دعهم يريقوا ينزهقوا \* \* \* \* \*

ألا ترى ان « الاراقة » غير واقعة في حيز الطلب ، فلم تكن جواباً  
للفعل الامر « دع » وعلى هذا فليس من الحق ان تجزم كما توهم الشاعر \*  
وأعود اليك - ايها القارىء - لأخبرك ان صاحبنا الأمير ممن عالجوا  
باب المعارضات وباب المعارضة تقليد محض ، فقد حلا له ان يعارض  
ايها نواس في خمريته المشهورة :

حامل الهوى تعباً يستخفه الطرب

كما عارضها أحمد شوقي وغيره ، أما قصيدة خزنة دار فهي :

راحة النهى الطرب هاتها فلا عجب  
الدنان مترعة والخمور تسكب  
والكووس جارية طاف فوقها الحبيب

الى آخر هذه القصيدة الطويلة التي لا تخرج عن اطار القديم في

ميناها \*

ويصف الشاعر واحدة من الانسيات من « بنات العفاف » فيقول :

بين المزارع والحقول طفقت بمفردها تجول  
طوراً على هام الصخور وقارة بين السهول  
كالظبي في فلواته ألف التسلق والتزول

فرئت شبحي دنو الظبي بالطرف الكحيل

تقرأ مطلع القصيدة فتجد استعماله « بمفردها » وما اظنك مستملاً

لهذا الاستعمال فو يريد أن يقول « وحدها » وهذه أخف وارشق ، ثم  
تقرأ هذه القصيدة الطويلة ، فترى الشاعر لم يخرج عن اسلوب القدماء  
في التشبيهات وارسال المعانسي ، وأنا أحيلك على هذه القصيدة في كتاب



السيد السنوسي ولكنني لا اترك القصيدة دون أن أشير الى البيت الاخير فيها وهو :

فلتهنأ الأزواج ما اذ سرت بربات الحجول

وأظنه أراد « ربات الحجال » فالحجال جمع حجلة ، هي قبة تضرب للنساء لها أزرار تشد عليهن ، كما جاء في إحدى خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب : « يا أشباه الرجال ولارجال ، حلوم الاطفال ، وعقول ربات الحجال » . أما الحجول « فشيء غير هذا » فهو جمع الحجل بكسر الحاء أو فتحها وهو الخلخال .

ويختم السنوسي منتخباته بقصيدة في وصف « دقة » المدينة الرومانية العتيقة ، والقصيدة من جيد شعر الشاعر لما اشتملت عليه وصف رائع فهو يقول :

اطلال دقة والرسوم خوال ما للمباني الخاويات ومالي  
عبث الزمان بها كما عبثت به فكلاهما في صدمة ونزال

الى آخر هذه القصيدة التي يأتي فيها على وصف معالمها التاريخية في تأمل حالفه الفن . وأعود الآن للسيد العامري الذي أشكر له نصحه « بمراجعة بيان شعر أمير الشعراء الخضر » فأقول له متلطفاً : ان النماذج الشعرية التي جاءت في مقاله لا تعين كثيراً على تغيير الحكم الذي أسلفته في شعر الشاعر .

ذكر السيد العامري<sup>(٣)</sup> : أن شاعر الخضر وأمير شعرائها قد عاش مرهقا مبعدا محروما من عطف البايات ، فكان بمنزل عنهم وهو القريب منهم ، وغاية ما ناله على عهودهم ( خلة وظيف ضابط شرقي ) بالرغم عنه . فلم يثمالت عن الاصداغ بالحقيقة فقال :

---

(٤) انظر مقالة السيد العامري عن أمير شعراء الخضر في مجلة الفكر العدد السادس ٣ ، و ١

ها انني بالرغم غني قائد      ما بينهم لكن بدون عساكر  
 ما لي بها الا الحسام علامة      وتحية جبراً أجل بالخاطر  
 لو بت تسألني على أحوالها      لشفيت قلبك بالجواب الحاضر  
 قد كنت أحمل ذلّة لا خطية      حتى تراني خاجلاً من ناظري  
 تلك النجوم حقيقة في نفسها      كبرى وتصغر في عيون الباصر

يسوق السيد العامري هذه الايات على أن الشاعر لم ينله من جلال  
 البيت المالك النعم العريضة ، وأنا أقر وأعترف له بذلك وأشكره على  
 تصحيح شيء مما ذهبت اليه ، ولكنني أقيد من الايات فائدة اخرى وهي  
 أنها ليست من شعر الشاعر النفيس ولا تقوم دليلاً على ان قائلها صاحب  
 امارة بين أقرانه على فائدها التاريخية .

وهنا ادلك على مواضع في هذه الايات لترى أنها تشكو ضعفا في  
 التأليف فقله : « وتحية جبراً أجل بالخاطر » من هذه المواضع الضعيفة  
 في البناء ، الا ترى أن « الجبر » لا يكون « بالخاطر » بل « للمخاطر »  
 ثم ما مقام حرف الجواب « أجل » في هذا التركيب ، فهو تكسأة اعتمد  
 عليها صاحبها لاقامة وزن ليس غير .

ثم يقول : « لو بت تسألني على أحوالها » وكأن الشاعر لا يعرف أن  
 « السؤال عن أحوالها » لا « على أحوالها » وهذا من عمل شيطان الوزن  
 أيضاً وفي قوله : « حتما تراني خاجلاً من نظري » تجاوز للمألوف المعروف  
 وهو « خجل » بفتح الاول وكسر الثاني ، ولم يسمع الوصف منه على  
 « فاعل » وان صحت قياسته واذا ثبت السماع بطل القياس كما هو معلوم ،  
 ألا ترى انك لا تقول « فارح » من « فرح » ولا « حازن » من « حزن »  
 بل تقول « فرح » و « حزين » .

وقد اضطر الى ان يذيل البيت بقوله ( من ناظري ) والفصح الملتح  
 ان يقول « من ناظر الي أو في » ذلك ان تعدية الفعل لا تصح الا بأحد

الحرفين وفي ذلك دفع لوهم ربما وقع فيه من قرأ « ناظري » ،  
ربما يقول السيد العامري - حفظه الله - : ان هذه هنات ، وأنا أقره  
على هذا القول بأن هذه هنات ، ولكني أقول : انها لا يتقاضى عنها في شعر  
شاعر مغمور ، فضلاً عن أمير الشعراء .

ويعقب السيد العامري على هذه الايات بأخرى في الموضوع نفسه  
يبدى الشاعر فيها عزوفه عن هذه « الخطة » التي لا تشرف ، والتزامه  
بسمته ووقارة وطيب معدنه ، وانصرافه عن هذه التوافه وتعلقه بوطنه  
الحبيب ، وفي كل ذلك فوائد تاريخية .

قلت : سأعقب نماذج السيد العامري لنخلص منها الى فائدة فتبنت  
حقاً ، وتدفع وهماً . ذكر السيد العامري فيما ذكر « ... بل هو  
أول شاعر تونسي نادى بترقية الشعور وادراكه وتحريكه في الجماهير  
... » وجاء لذلك بقصيدته التي سنشير اليها دليلاً . يقول الشاعر :

وحسبك بالشعور اذا ترقى	وأجرى سلسيله في المجاري
فكم بعث بالحياة الى نفوس	فأرجعها وكانت في احتضار
وقلدها شريط العز فخراً	فبات الشأن مرفوع المنار
وكم نفتت به الابواب سحراً	وكم أجرى ببحره من جوار
وكم رضعت لبانه من شعوب	صغار فارتقت به للكبار
وكم رفعوا به للحق صوفاً	فأصبح لابساً تاج الوقار

... ..

ودونك من دنائه كأس راح	تنوب لديك عن كأس العقار
وخصّص من بنات الفكر جوقاً	فشاق الرواية في انتظار
وحافظ على كيانك في وجود	ولا تنظر له نظراً احتقار
وبادر في الرياض لقطف زهر	فان العود أصبح في اخضرار

يعقب السيد العامري على هذه الايات فيقول : « أوليس من الغبن

الفاحش أن يقال لشاعر الشعور أنه ملفق أو ناظم ، \* أما أنا فأشهد أنني  
أم أقل ، ملفق ، ولكني قلت أنه « ناظم » والابيات التي ساقها الكاتب  
الفاضل كما هي مثبتة في هذه المقالة تعين على هذا الرأي فنقول ان صاحبه  
نظام ، لا يمكن أن يرقى الى طبقة أمراء الشعر . وانا أريد أن أشهد  
محبي الشعر والعارفين بنقده أن يقولوا ما يرون في هذه الابيات ان كانت  
شعرا قد حاز على الخصائص الفنية من ابداع في التصوير وروعة في  
الخيال واحتدام في العاطفة ، ام نظما جرى فيه صاحبه في ارسال الافكار  
ارسالا على نحو ما يفعل كثير ممن رزقوا القدرة على النظم .

فالشاعر في هذه الابيات يحكي فائدة الشعور وأثره في حياة الناس  
في نمط تقريرى والتقرير أبعد ما يكون عن اسلوب الشعر الذي يعتمد  
اللمحة الخاطفة والالتفات البارة . وفي هذا التقرير اسلوب يقرب من  
العامة والا فكيف تشعر بغير التعبير الدارج في قوله :  
وقلّدها شريط العز فخرأ فبات الشآن مرفوع المنار  
فالشعور هو الذي « فلد النفوس شريط العز » على نحو ما يقلد  
الملك قائده المنتصر وسام الشرف فيحلي بذلك صدره « فخرأ » ليكون  
« الشآن مرفوع المنار » .

ثم قرأ قوله :

وخصّص من بنات الفكر جوقاً فعشاق الرواية في انتظام  
فهو يتخذ من « بنات الفكر جوقاً » ذلك ان شهود « الرواية » بل  
« عشاقها » « في انتظار » لها واللجوء الى عرض « بنات الفكر في هذا  
الثوب الخلق اهانة للشعر وابتذال لبنات الفكر .

ولن أدع هذه الابيات دون أن أشير الى ان الشاعر في هذه الابيات  
قد جاء بشيء تجاوز فيه الوزن ، ولم أرد أن أشير الى هذا لولا أنني  
علمت مما كتبه السيد زين العابدين السنوسي من أن للشاعر معرفة أكيدة



بالعروض ، وعليه تخرج الكثيرون في هذا الفن . وها أنا مشير الى هذا التجاوز الذي لا يحتمله الوزن ، ومن ذلك : قوله « وأجرى سلسيله في المجاري » ألا ترى أن ضمة الهاء في « سلسيله » زيادة على الوزن ، فاليست من الوافر والوزن يقتضي حذف الضمة واسكان الهاء وتقطيع البيت على النحو الآتي : -

وأجرى	سد	سلسيله	مجاري
مفاعلتن		مفاعلتن	فحول

ومثل هذا التجاوز قوله « وكم أجرى ببحره من جوار » وقوله « وكم رضعت لبنه من شعوب » وقوله « ودونك من نانه كأس راح » ففي هذه الأبيات زيادة في الوزن اقتضتها حركة الهاء في « ببحره » و « لبنه » و « دنانه » .

واصعب من ذلك أن يأتي قوله « وحافظ على كيالك في وجود » فهذا خروج واضح لا تطيقه موسيقى البيت .

وبعد فهل أثبت كذبا ، ولفقت باطلا على « شاعر الشعور » .  
فيأتي السيد العامري بأبيات يفخر فيها أمير الشعراء بمقامه في الشعر و « منبره » في « المشاعر » وأنه « يجر وراءه من القوافي عسكرا » زهاء نصف قرن خدمة للحق واعلاء للوطن فيقول :

خدمت به الخضراء والحق والهدى      وصنته عما بالفضيلة يزدرى  
رفعت به أيام لا صوت سوطه      ونددت بالتقريع عن كل منكر

تقرأ البيت الاول فتجوز على الوزن في قوله « وصنته » ثم تترك هذا البيت وتأتي للذي يليه فيبدو لك شيء من الألاعيب المتأخرة في الجمع بين « صوت » و « سوط » . وبعد فماذا تقول في شاعر « يجر هذه القوافي عسكرا » غير اخلاصه للقديس . فطريقته قديمة وفهمه للشعر قديم ومادة بنائه قديمة أيضا .

والشاعر معجب بشعره ، مزهو به وقديما قيل « كل فتاة بأبيها  
معجبة » ولكن اعجابه قد جاوز الحدود فهو يقول :

لو شاء ربك للكتاب زيادة لأضاف آياتي الى تنزيله  
- رحمك الله - يا ايها الخزنة دار فقد جرت عن القصد ، وسلكت  
غير الحق ، وأي ضمير في ذلك والشعراء يقولون مالا يفعلون ، فقد جاء  
من ذلك قول ابي الطيب المتبي :

وكل ما خلق الله وما لم يخلق محقر في همتي كشجرة في مفرقي  
ويختم السيد العامري مقالته فيأتي بقصيدة للشاعر كان قد أهدها  
اليه يهنئه فيها بولادة طفل ، والسيد العامري معجب بهذه القصيدة اعجابا  
لا حد له ، ومن حقه ان يعجب وان يطرب ، وأن يحفظ للشاعر عاطفته  
الكريمة ومنزلاته العالية . والقصيدة من « المتقارب » وهي : -

ولادة طفل وعام جديد وهذا لعمرى قران سعيد  
وللعامري من الخزنداري تهاني الودود بهذا الوليد  
وكان الشاعر يعث في الوزن عن قصد منه فما أراه يجهل هذا  
الامر فهو يقول : -

شقيق « عياض » محمده وطالع يمن وعيش رغيد  
و « هاديه » للخير والدم له أمل في الصبي وطيد  
ألا ترى ان في صدر هذين اليتيم وفي عجز البيت الثاني شيئا  
لا ينسجم مع الوزن ، ومثل هذا الخروج عن الوزن قد وقع في أبيات  
عدة من القصيدة نفسها . ثم اقرأ قوله :

هو اليوم في الدوح خشف وديع وفي الغد ليث هصور عبيد  
لترى مقام مقام « الخشف » في نظم الشاعر « فليس « الدوح » مقاما  
للخشف كما هو معروف . ويختم الشاعر هذه القصيدة مؤرخا على نحو ما

شاع عند المتأخرين من باب التاريخ في منظومهم • والقصيدة على طولها  
لا تخدم مكانة الشاعر الفنية فليرجع اليها القارىء •  
وبعد فانا ادعو السيد العامري ان يعود الى ما كتب ، فيعيد النظر ،  
وينقي عني سوء القصد واصطناع الخبر وقلة الاستقراء •  
ولا اريد أن اختتم هذه المقالة قبل أن أعود الى مسألة بيعة شاعر  
القيروان محمد الفائز للشاعر خزنة دار فاذا ذكر القارىء بهذه المسألة  
وبقيمة هذه البيعة ، بعد الذي عرضت من البحث في شعر الشاعر ليحكم  
في هذا الامر وليرده الى أصوله ودوافعه خدمة للحق ، ووفاء للتاريخ  
وعملا بقواعد النقد التي تأبى المحاباة بسبب من اقلية او قرابة أو أي  
صلة اخرى •

# قطوف من تونس

لن أحدثك - صديقي القاري - عما ينزل بالتونسيين من خطوب في هذا الأيام ، فقد جاءك نبأ القوم في تلك الديار وعرفت عن المدينة الباسلة الصابرة ، وكيف نازلت جيش فرنسا البغيض ، ولكني أود أن أنقل اليك « قطوفا » من تلك الأرض الطيبة ، واخصك بها ، فما أغنى التونسي عن هذا الذي سأسوقه اليك ، وأنا لا يضيرني أن يقول اصدقائي التونسيون : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » كما قال أسلافنا من ذي قبل ، وهأنا أوترك بهذه القطوف لتعرف شيئا عن تلك الديار التي انقطعت عنا أو قل انقطعنا عنها ، ومازال فينا نحن المشاركة حاجة أن نعرف عن اخواتنا « المغاربة » .

والمشاركة هم أهل المشرق عند التونسيين والمغاربة عامة ، ولا ينصرف المشرق إلا إلى الديار الواقعة إلى الشرقي من برقه وطرابلس الغرب من عالمنا العربي ، وقديما كان أهل المغرب يقصدون هذه الديار في موسم الحج ، حتى إذا انتهت مناسك الحج ، القوا عصاه الترحال فطاب لهم المقام يتزودون من علم المشرق في بغداد أو دمشق أو في القاهرة ثم يتصدون للتدريس ، فلما أن يقيموا إقامة دائمة ، واما أن يقفلوا إلى ديارهم .

ومن أجل هذا كثر بينهم الرجالون كالأدرسي الشهير وابن جبير وابن بطوطة والتجاني وغيرهم .

ولا تعجل علي - حفظك الله - متسائلا اين هذه القطوف ، ولسم وصفت هذا الذي أقوله بالقطوف ، وما اظنك جهلت أن تونس قد وسمت بالخضرة ، وانها استعقت من أجل ذلك أن تسمى بالخضراء ، والخضرة



صفة واضحة المعالم في تونس التي احبها التونسيون فقال قائل منهم :  
تونس دار الانس .

والذي سأثله اليك هو الوان شتى من لغة وادب وتأريخ ، وقد  
سميتها « قطوفا » لاني اقتطفتها من هذه الديار الانيقة التي امتلحت  
بالخضرة ، وعقبت بالزهر ، وازدهت بالظلال . وما اراك تجهل ان هذه  
الديار بلد الزيتون الذي بورك شجرته ، ولا ارى في حاجة ان اعيد  
اليك قوله تعالى « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها  
مصباح المصابيح في زجاجة الزجاج كانتها كوكب دري يوقد من شجرة  
مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » .  
وانه خص بالشرف العظيم فكان من اشجار الجنة مع النخيل والاعناب  
والرمان في غير موضع من التزيل ، ألا ترى ان الآية قد اقسمت بالتين  
والزيتون ، وان التين قد سبق الزيتون في القسم الشريف لحاجة لفظية  
يقتضيها نظام تأليف الجمل على هذا النسق المنسجم الموسيقى ، وما اظن  
ذلك خافيا عليك . والزيتون في تونس خير وافر تكتسي به البقاع  
الفسيحة ، ومن هنا جاءت الكلمة عندهم بصيغة الجمع فقالوا ( زيتاتين ) ولم  
تألف نحن اهل المشرق جمع هذه الكلمة على هذه الصورة لانعدام الحاجة  
الى هذه الصيغة ذلك ان هذه الشجرة غير معروفة عندها بهذه الكثرة  
العجيبة . والزيتون في تونس قديم جدا ترجع اصوله الى العصور التي  
سبقت العصور القديمة ، فأنت تجد بين اشجاره الجذوع النخرة التي  
تحدث الدهور وسخرت بالاحداث . وقد اهتم التونسيون بهذه الشجرة  
المباركة التي افادوا منها الخير العميم ، فاعتنوا بزراعتها والفوا في ذلك  
الكتب ، ومن ذلك كتاب « العقد الثمين في تأريخ غرسة الزيتون » لاحمد  
الكعك . وتونس كما اسلفت بلد يزدهي بالخضرة ، واهله يشتغلون  
بالفلاحة ، وفاتني ان اسجل هنا أن كلمة « الفلاحة » هي الشائعة في هذه

الديار ، وهذا الاستعمال قديم فقد ذكرت الفلاحة في « مقدمة ابن خلدون » عدة مرات وهو يريد بها ما يريد التونسيون اليوم ، وهي تؤدي ما تؤدي عندنا كلمة الزراعة ، فوزارة الزراعة مثلا تكون عندهم « كتابة الدولة للفلاحة »<sup>(١)</sup> ، على ان التونسيين لم يفيدوا من هذه الشجرة المباركة على نحو ما أفاده اللبنانيون الحذاق من شجرة الارز ، فقد تفنن هؤلاء اللبنانيون بالدعوة لهذه الشجرة المباركة عندهم ، والتي جاء ذكرها في اسفار العهد القديم ، والتي تغني بها الادب القديم في تلك الديار الانيقة ، ثم جاء الجيل الحاضر فأكبر هذه الشجرة وعظمها واحاطها بكل رعاية وعناية ، وصارت اشجار الارز القليلة ، مكانا يقصده المصطافون الا ترى ان العلم اللبناني يحمل صورة الارز الشامخة ، ولكن شيئا من هذا قد حصل عند التونسيين ، فأتت تسمع بالجامعة الزيتونية وهي فسي جامع الزيتونة الكبير والذي سيأتي ذكره .

وقد اسلفت ان قطيعة وقعت بين المغرب والمشرق ، وان هذه القطيعة كانت بعد زوال الدولة الاموية في الشام ومجيء العباسيين سنة ١٣٢ للهجرة ومنذ ذلك الحين اخذ الولاة في القيروان يتمتعون بشيء من الاستقلال ، بسبب بعد مركز الخلافة العباسية عن هذه الديار ، والانشغال العباسيين بالثورات والفتن في الاقاليم التابعة لهم ، ولان كثيرا من دعاة الخلافة من ادراسة وهاشميين وأمويين قد حلوا في القيروان ، فكثرت الطامعون بالخلافة ومن اجل ذلك حاول احفاد عقبة بن نافع هذه المحاولة كما حاول ذلك غيرهم .

ولكن هذه القطيعة لم تغير نظر الناس الى ان المشرق دار العلم والمعرفة ، وان لابد لطالب العلم من التزود بهذا الزاد الاصيل على الرغم من ان المغرب كان له علماء في مختلف العلوم والفنون ، وانهم كانوا

(١) : وتعني لفظة « كتابة الدولة » الوزارة في الاصلاح الشرقي .

هذا الاستعمال جاء عن ترجمة الكلمة الفرنسية .

يستقدمون المشاهير من علماء المشرق ، وأن جامع عقبة من مراكز العلم المشهورة ، وأن المغاربة كانوا يقصدونه من كل مكان ، وربما قصده الاندلسيون من الاندلس في العصور المتأخرة .

وصلة الاندلس بالمغرب قائمة في مختلف العصور ، فلما انتهى الحكم المغربي في الاندلس ، هاجر المسلمون الاندلسيون الى المغرب واستقروا في هذه الديار ، وكان لهم في تونس مراكز خاصة بهم .

وقد اهتموا بالفلاحة ، ولاسيما الزيتون منها . ومازال في هذه المراكز حتى يومنا هذا أسر اندلسية تحمل اسماءها الاولى مثل اسرة ( مروش ) وهي من الاسبانية Moros أي اهل الاندلس الذين بقوا في اسبانيا بعد سقوط غرناطة ومثل اسرة الشاطمي وهي منسوبة الى ( شاطبة ) وقد حدث ابدال بين الباء والميم .

ولقد هاجر الاندلسيون الى تونس في فترات مختلفة ، فقد كان اول العهد بذلك في ايام صنهاجة ، واشهر من هاجر منهم امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الذي جاء بالموسيقى الاندلسية الى تونس ، والتي تحتفظ بها تونس حتى يومنا هذا ثم كانت الهجرة الثانية على عهد الحفصيين ، ولا سيما ما كان منها بعد سقوط اشيلية ، ومالقة ، وبطرنة ، فهاجر منهم حازم القرطاجني صاحب ( المناهج الادبية ) وهو من اجل كتب النقد الادبي ، والذي اعتمد فيه على المناهج الاوربية في هذا الباب ، وهو صاحب المقصورة التي شرحها الشريف الغرناطي ، في مدح السلطان الحفصي المستنصر بالله الذي بنى الحنايا الشهيرة لجلب الماء سنة ٦٤٠ هـ - ٦٥٠ ، وقد جاءت ترجمته في نفح الطيب مع ذكر شيء من شعره ، وكما ذكره ابن سعيد المغربي .

ثم هاجر الاندلسيون بعد سقوط غرناطة ، على ان المهم من هذه الهجرة ما حدث منها حينما اجلى فيليب الثالث ( الموريسكو ) سنة ١٥١٧

للهجرة والموريسكو هم المسلمون الذين بقوا في اسبانيا بعد زوال الحكم العربي ، وكان ذلك على عهد عثمان داي في تونس .

ولقد اسس الاندلسيون مراكز خاصة بهم كما اسلفنا ، وهي نهريه على شواطئ الانهار ، وجبلية في الجبال ، وسهلية في السهول .  
وهكذا جاء الاندلسيون فكانوا عامل نشاط وجد في تكوين هذا البلد من عدة وجوه .

ويؤلف البربر طائفة كبيرة من التونسيين ، وقد استوطن البربر منذ اقدم الازمنة في ديار المغرب جميعها ، فنحن نلاقي البربر في كل عصر من اعصار المغرب ، والبربر من الشعوب الاسلامية التي لعبت دورا اساسيا في تاريخ الاسلام ، وحسبك ان تعرف ان طارق بن زياد قد فتح الاندلس بجيوش العرب والبربر ، وان عبد الرحمن الغافقي الذي انطلق في فرنسا فاتحا كان يقود جموعا بربرية ، وان دولا كثيرة قامت معتمدة على هذا الشعب العريق الذي اسلم واحب الاسلام فامتزج بالعرب امتزاجا كلياً حتى ان كثيرا من افراده وجماعاته قد استعرب ، غير ان البربر لم يعاملوا معاملة الموالي في المشرق . ذلك انهم اهل هذه البلاد قبل ان يدخلها العرب فاتحين . ومازال قسم من هؤلاء محتفظا ببربريته على شدة اتصاله بالاسلام والعرب . وربما وجدت فيهم من لا يعرف العربية ولا سيما اولئك الذين يسكنون في المغرب الاقصى وفي جهات من الجزائر العربية .

وقد اسلم هؤلاء منذ سنة ٢٧ للهجرة أي منذ فتح العبدلة اثر وقعة سيطرة في الجنوب الغربي التونسي ، وتم اسلام جميع البربر في اواخر القرن الاول الامن قل منهم ، وحسن اسلامهم ، وصاروا من كبار المناسرين للاسلام والمسلمين ، قال ابن خلدون :

« وأما اقامة البربر لمراسم الشريعة ، وأخذهم بأحكام الله وتصرفهم لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله نصيانهم والاستفتاء في



الفروض لأعيانهم ، وإبغاء الأئمة للصلوات في بواديهم وتدارس القرآن  
بين أحيائهم ، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم<sup>(١)</sup> وقضاياهم . واصفائهم الى  
اهل الخير والدين من اهل عصرهم التماسا للبركة في آثارهم وسؤالا  
للدعاء من صالحهم . . . . .

ولهؤلاء البربر تقاليدهم وعاداتهم واساطيرهم وأديبهم ، كما ان لهم  
لغتهم التي نستطيع ان تبين فيها لهجات متعددة . وبقيت هذه اللغة بعد الاسلام  
ولكنها صارت تكتب بالرسم العربي . وقد الف في هذه اللغة المصنفات التي  
تناولت تعاليم الاسلام دين البربر الجديد ، ولهم فيها مؤلفات تؤرخ الفنون  
الادبية عامة من شعر ونثر ونوادر وحكايات واساطير . واعتنى اصحاب المجاميع  
النباتية من الغافقي الى ابن الجزار الى ابن البيطار بأيراد التسميات البربرية  
للنباتات التي وصفوها . ثم ان هذه اللغة كانت لغة الاسر المالكة ، البربرية  
من صنهاجين وحفصيين ومرابطين وموحدين ، وقد استعملها عبدالله الشيعي  
في دعوته للمفاطميين بجيل القبائل وفواوة ، كما كان الممز الفاطمي  
استعملها في صلاته مع امراء صنهاجة ، كما تكلم بها المهدي بن تومرت في  
دعوته بين العروش والعشائر البربرية . ومن اجل ذلك كان التراث  
البربري قد ابقى آثاره في الثقافة العربية في هذه الاقاليم . ثم اتيج للغة  
البربرية في العصر الحديث ان توجد لنفسها نحوا وادبا مكتوبا ، فألف  
كتاب للنحو البربري وصنفت المعجمات البربرية ووضعت مجاميع النوادر  
والقصص ، ودفع الفرنسيون البربر الى العدول عن الحروف العربية التي  
كانوا يستعملونها الى الحروف اللاتينية هروبا بالبربر من العرب والعربية ،  
على ان ذلك لم يتم لهم فخابت هذه المساعي .

غير ان شيوع العربية وانتشار التعليم قد ادى بالبربرية الى ان

( النازلة ) من الالفاظ الاصطلاحية التونسية ، وما زالت مستعملة  
حتى يومنا هذا ، وهي تعني « الدعوة الحقوقية او الجزائية » التي تنظر  
فيها المحاكم .

تكش على نفسها وتصبح لغة ضيقة غزتها العربية من عدة نواح ، وقد حدث معظم ذلك ابان غزو الهلالين من شبه الجزيرة في اواخر القرن العاشر للميلاد .

وكان للغة العربية والثقافة العربية الاسلامية ان كتب لهما الفوز ، وقدر لهذه ان تأتي على ما كان من امر لغة البربر ومن بقايا لهجاتها وثقافتها لولا نكبة هذه الديار بالغزاة الفرنسيين ، وتشجيعهم للغة البربرية والثقافة البربرية ، ووقوفهم ضد تقدم العربية وتطويرها ، ثم انهم جعلوا الفرنسية اللغة المعتمدة في الادارة والمعاهد الثقافية ولغة الشؤون العامة ، . وكان من نتائج ذلك ان ضعفت العربية الفصيحة ، وان العارفين لها قد قل عددهم ، وانها بقيت في لونها الدارج الذي لا يصلح ان يكون وسيلة نافعة للنهوض ومسايرة ركب العالم المتحضر . وربما كانت المشكلة في تونس اقل منها خطرا في الجزائر والمغرب ، ذلك ان في تونس معاهد قد تمسكت بالعربية وتعصبت لها وقاومت المستعمر الغازي الذي يريد ان يمسح طابع الثقافة العربية في تونس . ومن هذه المعاهد العريقة الجامعة الزيتونية الزاهرة التي ثبتت تجاه المستعمر وكانت عاملا مهما من عوامل ازدهار الثقافة العربية الاسلامية . وجامع الزيتونة معهد للتعليم العالي ، وقد بناه عبدالله بن الحبيب سنة ١١٤ للهجرة تخليدا لذكرى انتصاراته في الديار المغربية . واتم بناءه على الشكل الحالي ابو العباس محمد بن الاغلب في عهد المعتصم العباسي وصار معهد افريقية العلمي في عهد ابي زكريا الاول الملك الحفصي في اوائل القرن السابع . وندب اليه الاساتذة من طرابلس مثل عبد الحميد بن ابي الدنيا ، ومن صقلية مثل آل الصقلي الاطباء ، ومن الاندلس مثل ابن عصفور النحوي وابن سعيد وابن الآبار المؤرخين ، وحازم القرطاجني وابن ابي الحسين الاديبين وابن القصصار والبطرني الفقيهين ، وحسبك ان تعرف ان عبد الرحمن بن خلدون كان

قد درس في هذا المعهد العظيم وتصدى للتدريس فيه .

وهكذا أقامت الجامعة الزيتونية بدور فعال في نشر الثقافة العربية ،  
ودام ذلك طوال الاحتلال الفرنسي ، حتى اذا جاء عهد الاستقلال الجديد  
واخذ التونسيون مقاليد الأمور ، وجدوا ان لا فائدة في بقاء هذا النوع من  
التعليم ولذلك عملوا على انهاء واستبدال التعليم الحديث به . والتعليم  
الحديث يستند على النظم الفرنسية وربما كان للغة الفرنسية فيه نصيب  
كبير ، والتونسيون يشكون في اصلاح التعليم القديم ، وهم غير متحمسين  
الحماس الكافي الى زحزحة هذه الفرنسية عن الميدان ، واحتلال العربية  
محلها او قل تعريب التعليم كما يقولون هم ، . فما زالت المواد تدرس  
بالفرنسية ، في المدارس الثانوية وربما استعين بالفرنسيين على القيام بهذا ،  
وقد تجد شيئا عجيبا ، ذلك ان مادة التاريخ الاسلامي تدرس بالفرنسية ،  
وربما كان مدرس هذه المادة فرنسي لا يقيم العربية اقامة جيدة . وقد  
فيض لي ان اناقش نفرا كبيرا من التونسيين كان من بينهم من يضطلع  
بالمسؤولية في هذه المشكلة الخطيرة ، غير اني لم اجدهم شاعرين شعورا  
كافيا بخطورة الامر وعندهم ان لا ضرر على العربية على الثقافة العربية  
في ظل هذا النظام وان تعريب التعليم لا بد ان يتم ولو كان ذلك في خطى  
متباطئة ثقيلة . ولكن النتيجة هو ان العربية قد خسرت وأن حملة القلم  
في هذه الربوع والمتصددين لشؤون الادب يواجهون مشكلة التعبير الفني ،  
ومن اجل ذلك حفلت اساليبهم بالالوان الاجنبية المترجمة مما هو موجود  
في الفرنسية ، والمتقف فيهم يترجم هذه الاساليب ويدرسها في عربته شعر  
ام لم يشعر بذلك . على ان طائفة منهم كان لها اساس متين في بناء عربي  
قويم ولذلك سلم اسلوبها من هذه الرطانات ، وهؤلاء من الباقيين على العهد  
القديم ، ومازال فيهم شوق للكتاب العربي ، والكتاب العربي هو المطبوع  
في المشرق بصورة عامة ، وهم يقرءونه فيتأثرون بذلك ويظهر ذلك فيما

يكتبون • ولكن طائفة أخرى قد استهوتها الثقافة الفرنسية بأدبها وفيها ،  
وجرها ذلك الى المزج عن الثقافة العربية الاصيلة وعندهم ان لا فائدة  
مرجوة من الاتصال بالشرق ثقافيا ما دام هذا المشرق متأخرا في ثقافته  
معتمدا فيها على الاوربيين •

فعلى مؤرخ الادب التونسي الحديث بعد ذلك ان يتبين هذا الاختلاف  
بين انصار الثقافة العربية ، والداعين للثقافة الاوربية الحديثة او قل بين  
انصار القديم وانصار الجديد على زعمهم •

وانصار الجديد من التونسيين لم يشعروا بخطورة الامر كما بينا ،  
وهم يقرءون الصحيفة اليومية ولا يضيرهم ان تكون مملوءة بأساليب غير  
عربية ، كأن تقرأ ان فخامة الرئيس يخطب في الاطارات والقاريء الشرقي  
يستغرب هذه الاستعمالات وربما استغفلت عليه ، ويريدون بالاطارات  
مجموع المنظمات والمؤسسات التي تخص الحزب القائم • ولفظ الاطارات  
ترجمة لكلمة Cadres الفرنسية وتدل الكلمة في معناها غير الحقيقي  
وهو المجازي هذه الدلالة ، غير ان الكلمة في العربية لا تنتقل هذا  
الانتقال المجازي •

وتقرأ ايضا مثل تونس القار في المنظمة العالمية ، ولفظ « القار »  
يعني في اصطلاحهم الدائم ، وكأنك لا تجد كلمة ( زبائن ) عندهم جمعا  
لثوبون ، فهم يستعملون بدلا منها ( حرفاء ) جمعا لحريف وهي من الفصح  
القديم الذي زال استعماله •

وهناك الفاظ واستعمالات لا تقع عينك عليها الا عرفت ان صاحبها  
تونسي او مغربي او جزائري ، فالعام الماضي او المنصرم كما نقول ، يكون  
عندهم العام القارط والصفية القارطة للمصيف الماضي • وتقرأ كل يوم ان  
هيئة من الهيئات تنظم تربصا لطلابها او لاتباعها ، وقد استغلق علي الامر  
حين قرأت هذه العبارة لولا ان اسعفني احدهم فأوضح لي المراد بالتربص



وهو التمرين والتدريب ، ولا اعلم من اين حمل ( التريض ) هذا المعنى ،  
وكان تقرأ ان الاحتفال سيقام في موضع ما اين يخطب الرئيس في  
الاطارات ، واستعمال الظرف ( اين ) مكان حيث غير صحيح ، وهو من  
آثار الترجمة للأساليب الفرنسية وهو يقابل Ou الفرنسية التي يراد  
بها ( حيث ) •

هذا غيض من فيض أقدمه للقارىء تعريفا بهذه الثقافة العربية المغربية •

## علم اللغة بين علماء القرية وابن خلدون

الاهتمام باللغة امر تستدعيه ضرورة قائمة • ذلك ان المشكلة اللغوية من المشكلات الخطيرة • ومن اجل ذلك نشطت المجامع اللغوية في الاقطار العربية في العمل على حل هذه المشكلة القائمة • وتبرز المشكلة في ان العرب في يومنا هذا لا يتكلمون بالفصحى من العربية • فالعامي الدارج هو المستعمل • وامر العامي مشكلة من المشكلات ايضا • فهناك لهجات مختلفة باختلاف البلاد ثم ان البلد الواحد مشتمل على لهجات وطرائق في التعبير مختلفة ايضا • وربما صعب على العربي من شمالي العراق ان يفهم من فروي من سكة القسم الجنوبي من العراق •

والبحث اللغوي التاريخي في العربية صعب جدا • وصعوبته آتية من افتقار الباحث الى كثير من المواد الضرورية لهذا البحث • والذي نعرفه ان العربية وصلت اليها ناضجة كل النضج ولغة القرآن تشهد على المستوى العالي الذي بلغته العربية •

ومن اجل ذلك فلا نعرف كثيرا عن نشأة هذه اللغة وتطورها في مراحلها الاولى التي سبقت عصر القرآن • وانا لم ارد أن أخص القرآن بالمثل الوحيد على هذا الرقي • ومن اجل ذلك ايضا استعملت مصطلح ( عصر القرآن ) لادخل في هذا الشأن ما صحح من الشعر الجاهلي وسائر فنون القول المعروفة •

ولابد ان اخلص من هذه المقدمة القصيرة الى الحديث عن علم اللغة عند الباحثين الاقدمين ثم كيف كانت نظرية العلامة الشهير ابن خلدون في هذا الموضوع •

ولقد كان لعلماء اللغة في القرن الرابع الهجري وقبل ذلك بكثير اقوال في علم اللغة • غير ان هذه الاقوال لم تنته الى بحوث علمية واسعة •

ويجدر بنا ان نعرض لراي ابي الحسين احمد بن فارس احد ائمة اللغة في القرن الرابع الهجري ، فهو يعرض في كتابه الذي اسمه « بالصاحبي » الى رايه بقوله :

باب القول على لغة العرب بالتوقيف ام اصطلاح ؟

وهو يجيب عن هذا السؤال قائلاً : اقول : ان لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله - جل ثناؤه - « وعلم آدم الاسماء كلها » . فكان ابن عباس يقول : علمه الاسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وحيار واشياء ذلك من الامم وغيرها .

وظل ابن فارس يسط القول في هذا الراي متمسكاً به اخذاً بالآية الكريمة التي اشرنا اليها . ولم يسلم ابو الفتح عثمان ابن جني من القول بهذا الراي فقد قال بالتوقيف في اصل اللغة ثم عـاء الى القول بمبدأ الاصطلاح كما جاء ذلك في كتابه المشهور « الخصائص » .

ولم يقتصر قول ابن فارس بالتوقيف على اللغة وانما قال بذلك في موضوع الخط فقد جاء في الصاحبي ما نصه « والذي نقوله فيه ان الخط توقيف ، وذلك لظاهر قوله عز وجل : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » وقال تعالى « والقلم وما يسطرون »

ولم يكن المسلمون اول من قال بالتوقيف في هذا الموضوع معتمدين على الآية الكريمة ، فقد جاء مثل ذلك في سفر التكوين من العهد القديم وفحوى ذلك ان الله علم آدم اسماء المخلوقات جميعها . والنتيجة التي نستخلصها من قولهم بالتوقيف مفسرين الآية كما يشاؤون ، هي انهم جمدوا على العربية الفصيحة ولم ياخذوا ما سواها ، وانهم لم يتقيدوا بالاستعمال ، وتطور هذا الاستعمال في اللغة ، فقد رسموا لانفسهم صورة للغة لا يحدون عنها ، وحملوا بذلك ما خالف هذا المرسوم المتفق عليه

على الخطأ واللحن ومجاورة الصحيح • وقصة عبدالله بن أبي نسيح  
 الحضرمي مع الفرزدق دليل على هذا ، فقد قال الفرزدق في قصيدة له :  
 وعرض زمان يا ابن مروان لم يدع      من الناس الا مسحتا أو مجلف  
 فقال النحوي : على أي شيء ترفع « مجلف » فقال الفرزدق : على  
 ما يسوؤك • وليس الحضرمي بدعا بين اللغويين ، فقد ذكر أبو حاتم  
 السجستاني : سألت الأصمعي : اتقول التهديد ( ابرق وارعد ) قال :  
 لا ، لست أقول ذلك الا اني ارى البرق واسمع الرعد ، قلت قال الشاعر  
 الكميت :

ابرق وارعد يا يزيد      فما وعيدك لي بضائر  
 قال : الكميت جرمقاني من اهل الموصل ليس بحجة ، ولكن الحجة هو  
 الذي يقول :

اذا جاوزت من ذات عرق ثنية      فقل لابي قابوس ما شئت وارعد  
 وهو شاعر جاهلي ، وشاعرك هذا متأخر لا يؤخذ بقوله • قال أبو  
 حاتم فأتيت أبا زيد الأنصاري ، وقلت له : كيف تقول من البرق والرعد !  
 فعلت السماء ؟ قال رعدت وبرقت ، قلت : فمن التهديد ؟ قال : رعد  
 وبرق وارعد وابرق ، فأجاز اللغتين ، ثم سألت أعرابيا فصيحا فأجاز  
 اللغتين ولم يجز الأصمعي الا لغة واحدة •

وكان الأصمعي ينكر كلمة « زوجة » ويقول « زوج » ويحجج  
 بقوله تعالى « امسك عليك زوجك » فيقول ، له ان الشاعر ذو الرمة  
 يقول :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة      أراك لها في البصرة اليوم ثاويا  
 فقال ذو الرمة ليس بحجة ، اذ طالما اكل البقل والمالح في حوانيت  
 البقالين وقد عرف عن الأصمعي هذا التشدد والخرج ، فهو يابى كلمة  
 خالفت لغة التثنية ، وهو من اجل هذا لم يرض لنفسه ان يبحث في لغة



التنزيل على نحو ما فعل أبو عبيدة وابن قتيبة مثلاً . ويقول ابن جني : كان الأصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس وأنه معروف بقله اتباعه في النظر وتوفره على ما يرى ويحفظ .

وهكذا ظل علم اللغة سائرا في هذه الطريق التقليدية ، في اعتبار كل تغير في اللغة خروجاً عن سنن الفصاحة . وحسبك أن تعرف أن اللهجات السائرة وهي الحية المستعملة قد اعتبرت عند هؤلاء العلماء الأقدمين من طرائق التعبير المذمومة . وما هو ابن فارس اللغوي الذي أشرنا إليه قد اعتبر هذه الأنماط الكلامية من اللغات المذمومة . وهذا النظر في اللغة لم يفد البحث اللغوي ذلك أن الحقيقة اللغوية قد ضاعت ، وإن نماذج من القول قد اعتبرت مما لا يستحق التسجيل ، وهذا ما لا يقره علم اللغة الحديث . فالبحث العلمي الحديث ينظر إلى أن اللغة ذات مظهرين أساسيين متكاملين وهما : المظهر الجامد Syneronique والمظهر المتحرك Diacronique ومن هذين المظهرين تبين أن اللغة صورة وليست مادة كما يقول بذلك اللغوي السويسري Caussure على أننا لو تخطينا الزمن وجاوزنا القرن الرابع حتى نصل إلى عصر ابن خلدون نجد هكذا المفكر ينظر إلى اللغة نظر العالم الاجتماعي فيقول بالتطور ، ويرد اللغة إلى أنها ظاهرة اجتماعية تتأثر سلباً وإيجاباً بالزمان والمكان . وهو من أجل ذلك لا يرتضي أحكام اللغويين والنحاة ونشدهم في هذا الأمر ، فيقول : « وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ، ولا تلتفتن في ذلك إلى خرشفة النحاة أهل صناعة الأعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وإن اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الأعراب الذي يتدارسون قوانينه ، وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم والقاهها القصور في افتدئهم ، والا فنحن نجد اليوم الكثير من الألفاظ لم تزل في

موضوعاتها الأولى ، والتعبير عن المقاصد ، والتعاون فيه بتفاوت الأمانة  
موجود في كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر  
موجودة في مخاطباتهم ، وفهم الخطيب في محافلهم ومجامعهم ، والشاعر  
المفلق على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك .  
ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الأعراب في أواخر الكلم  
فقط الذي لزم في لسان معبر طريقة واحدة ومهيأ معروفاً ، وهو  
الأعراب وهو بعض من أحكام اللسان . \*

ولابد من الإشارة إلى استعمال كلمة « خرشفة النحاة » وهو  
استعمال يريد به التكلف الشديد الذي أدى إليه البحث العقيم في مسائل  
منطقية مجردة لا تستلزم الحقيقة اللغوية بسبب . ولابد من الإشارة أيضاً  
إلى تقريره أن فقدان الأعراب في أواخر الكلم لا يفقد اللغة صفاتها الأخرى  
التي تكون منها عنصراً حياً جميلاً ، فالأعراب على حد قوله بعض من أحكام  
اللسان العربي . وابن خلدون يذهب إلى أكثر من هذا وهو يقرر أن الاستفراء  
الشامل الوافي في لغة عصره ربما يهدي الباحث إلى ضوابط تعني عن قوانين  
النحو المقيد المعروف فهو يقول « ولعلنا لو اهتمنا بهذا اللسان العربي » لهذا  
العهد « واستقرت أحكامه نفاذ عن الحركات الأعرابية في دلالتها بأمور  
أخرى موجودة فيه تكون بها قوانين تخصصها ولعلها تكون في أواخره على غير  
المنهاج الأول في لغة مضر . . . . . ولقد كان اللسان المضري مع اللسان  
الحميري بهذه المثابة وتغير عند مضر كثير من اللسان من موضوعات اللسان  
الحميري وتصاريف كلماته . \*

وهذا النص يدلنا على أن ابن خلدون العالم الاجتماعي يقول بتطور  
اللغة وأن لكل عصر لغة تتطور فتبتعد عن أصلها وعن لهجاتها . ويعقد  
فصلاً يبحث فيه أن لغة أهل الحضرة والأمصار لغة قائمة بنفسها ، وهو في هذا  
الفصل يعرض لموضوع أن لكل مصر من الأمصار لغة تختلف عن الأخرى ،

وهو يؤكد استعمال كلمة (لغة) دون غيرها ، وهو يقول : وكل منهم متوصل  
بلغته الى تادية مقصوده ، والابانة عما في نفسه ، وهذا معنى اللسان والمعة  
وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم . . . وفي هذه الأقوال الأخيرة يبدو نظر  
ابن خلدون الدقيق الى الحقيقة اللغوية فتبين من ذلك انه مخالف كل الخلاف  
لأولئك اللغويين الأقدمين الذين لم يؤمنوا بالتطور والاستعمال ولم يهتموا  
الى حقيقة الكلمة ودلائلها وانتقال هذه الدلالة Semantique عبر الزمان  
والمكان .

# إمارة الشعر وأمير الشعراء

لعلك لا تعرف غير شوقي أميراً للشعراء ، وإمارة الشعر لم تكن بدعة هذا العصر الحديث ، فقد درج أصحاب الأصناف والصناعات والحرف في مختلف العصور على هذا التقليد ، فكان لكل منهم رئيس أو أمير وربما تجاوز الأمر حد الرئاسة أو الإمارة إلى الملوكة ، فلتتجار ملك يتردد ذكره في حكايات ألف ليلة وليلة مثلاً . ومن الطريف أن تذكر أن أحد التحوين المتأخرين وهو الحسن بن صافي كان يدعى ملك النحاة . إذن فلم لا يكون للشعراء أمير يجمعون على بيعته لما يجدون فيه من أحكام الصنعة ، وإسالة الطبع ، وهم صنف من أصناف المجتمع ؟ ولا أريد أن استعمل لفظة « الفن » فقد عدلت عنها إلى « الصنعة » لا ظل بين أرباب الصناعات فأجعل من هذه الزمرة التي اتخذت الشعر حرفة لها صنفاً متميزاً خاصاً .

وربما غاب عن ذهنك أن هذا اللقب قد عرفته أمم أخرى غير العرب ، ولعل العرب قد أخذوه عن غيرهم من الأمم الأعجمية ، فما زال في فرنسا إلى عهد قريب أمير للشعراء لا تدري كيف حصل على هذا اللقب العظيم ، ومن الغريب أن لطيفة المشردين في فرنسا Clochards ملكاً يتمتع بهذه الملوكة الغريبة وما زلت أذكر منذ سنين خلت أن الصحف الفرنسية أشارت إلى وفاة هذا الملك الغريب ، ونوهت بذكره ، وبشخصه العظيم ، وأنه كان يحتفظ بصداقات الشخصيات الكبيرة والملوك فكان من أصدقاء صاحب تاج المشردين ملكة هولندا وفيصل الأول ملك العراق .

وهكذا فليس شوقي غريباً بين العرب في احتفاظه بلقب « الأمير » فله من مكانته وصنفته ما يبعث على الزهو بالإمارة المصطنعة ، أقول : المصطنعة ذلك أن شوقي من أصحاب الخطوة والجاه ، ومن أرباب الثرف والنعيم ،



وان مقامه بين الملوك والامراء دفعه الى ان يطلب هذا المجد ، وربما اريد له  
أن يكون « الأمير » فأتاه فلان وفلان من معاصريه مهثين ، ولا أريد أن  
أقصر على التهنئة فالامارة تقضي البيعة ، وهكذا فقد جاء اليه حافظ ابراهيم  
من الشعراء المصريين « مبايعاً » :

امير القوافي قد انت مبايعاً ... وهذه قوافي الشعر بايعت معي  
وجاء اليه غير حافظ من الشعراء من هنا وهناك مهثين « مبايعين »  
معترفين بسبقه في الاحتفاظ بهذه الامارة ، ويبدو ان اجماعاً لم يحصل  
على هذه « البيعة » فلم تقر أقاليم العربية جميعها بهذه الامارة ذلك ان بين  
المغاربة من لم يعترف بذلك ، ومن اولئك التونسيون الذين حصل لهم ان  
يعتلي عرش الامارة التونسي يكتسبون امير شعراء المغرب عامة ، ذلك ان  
التونسيين يرون في انفسهم الوجه البارز المعبر عن افريقيا العربية الشمالية ،  
وهم في ذلك يريدون ان يقولوا للمشاركة انا مثلكم او خير منكم ، وقد يما  
كانت المنافسة بين المغاربة والمشاركة ولكن المغاربة لم يأتوا بجديد من افاتين  
المعرفة ، فهي مادة المشرق اعيدت وشرحت ، وكان هؤلاء ارادوا ذلك حين  
قالوا « هذه بضاعتنا ردت الينا » .

وهذا التونسي الذي بويح على امارة الشعر هو محمد الشاذلي  
خزندار وجدير بنا أن نقف عند هذا العلم الذي نعرفه فهو محمد والمغاربة  
عامة ذوو ولع بهذا الاسم عملاً بالمأثور من الحديث « خير الاسماء ما حمد  
وعبد » فأتت تجد الكثرة العظيمة من الرجال قد سميت « بمحمد » ومن  
تعلقهم بهذا الاسم انهم ينادون به عابر السبيل الذي يجهلون اسمه ، فكان  
هذه « النكرة المقصودة » هي « محمد » أو قل كأن هذا العلم يصح أن يطلق  
على أي من المسلمين ممن يحملون اعلاماً مختلفة ، ذلك ان تفتح دليل  
« الهاتف » ولا أقول « التلفون » لان الهاتف هو الشائع المعروف لترى هذه  
الكثرة من الرجال مع اسمهم « محمد » بهذا الرسم ، ومن اسمهم

« امحمد » على الاستعمال العامي الدارج ، وكأن « سي محمد » هو غير « سي امحمد » ، « وسي » هذه مرخمة عن « سيد » على الطريقة العامية المحلية . ونعود الى صاحبنا « الشاذلي » المصدر بالاسم « محمد » فنقول : ان الشاذلي من الاعلام المشهورة في الشمال الافريقي وربما جاء الاسم بهذه الكثرة تيمناً بالشيخ الشاذلي احد المتصوفة ومن اصحاب الطرق ، والطريقة الشاذلية معروفة مشهورة ، وقد غير زمان كان فيه الشمالي الافريقي يعج بالتصوفة وأرباب الطرق وأهل الزوايا ، فقد عمل المستعمر الفرنسي على تقوية هذه النزعات وقد وجد فيهم آلات طيبة تعمل على تمكينه وتقوية نفوذه . اما « خزندهار » فهو لقب الشاعر الذي يشير الى ارومة غير عربية ومن الطريف ان تشير الى ان « شوقي » امير الشعراء في المشرق ينمى الى أصل غير عربي .

ولد صاحبنا محمد الشاذلي خزندهار سنة ١٢٩٩ هـ في بيت نبيل ، ونسب على انرف والنعم في البلاط التونسي وتقلب في اهم المناصب الوزارية ما يقرب من نصف قرن الى ان عزل الامير محمد الناصر فاضطر خزندهار الى تقديم استقالته .

ولم تنه ابهة المناصب عن الانغمار في صفوف الشعب ، ولا أريد أن اعرض لترجمته الا بمقدار ما يخص القاري . من ذلك ، وانا اثبت هذا القدر من ترجمته حرصاً مني على تعريف هذا العلم لجمهوره القراء الذي يجهلونه كل الجهل كما يجهلون العدد الضخم من معاصريه ممن يزخر بهم تاريخ الادب التونسي الحديث فجمهور المشاركة لا يعرف من هؤلاء الا صاحب الحفظ الذائع الصيت ابا القاسم الشابي ، ولا اريد ان ادخل في سر هذه الشهرة فربما كان اشعر التونسيين عامة .

اما صاحبنا الامير فلا اراء بالقدر الذي يؤهله الى الامارة كائنة ما كانت هذه الامارة . وسنعرض لشيء من شعره ليشين القاري . انه لم يكن

الشاعر الذي وهب العرق النابض ، ولا الصانع الماهر الذي يدلك على احكام  
 الصنعة ومهارة الاداء . ولكنه كان صاحب الجاه الكبير والمكانة العالية  
 وانه يمت للبيت الملوكي العامر . ونسب يوصله الى السدة العالية لانه ان  
 يضي عليه ثوب الشرف ووسام الامارة ، ثم انه لما كان يرصف القوافي  
 بعضها الى بعض ، فلابد أن يهينه المنافقون المملقون ويغرونه بعرش اماره  
 الشعر فيعقدون الحفلات من اجل اعلان هذا اللقب الادبي ، كأن يقول  
 مثل منهم هو محمد الفائق شاعر القيروان في بيعة صاحبنا خزندهار بمناسبة  
 ظهور الجزء الثاني من ديوانه :

أمير القسوافي وحارسها	وبلبل تونس شيخ البيان
تقبل هناء يقدمه	لست الأمير فتى القيروان
فهذا المواء بكفك أضحي	يظل الرعية في كل آن
وأنت على التخت تحددو القوافي	فتأنيك طوعاً بدون امتان
فأنت الهزار بخضرائنا	تفاخر مصر يوم الرهان
أفي الصيف أخرجت للشعب روضاً	وعززته اليوم منك بشأن
تفياً ظلمه كل أديب	ويشم العير بذاك الجنان
وظوقت جيد القريض بعقد	تهيم العذارى به والقيان

ولا ادري ماذا اقول تعقياً على هذه الابيات التي . لم تأت طوعاً بدون  
 امتان فقد بدا عليها ان صاحبها يتلقى الأمير خزندهار صاحب المنزلة العلية  
 والرجل النبيل الذي يحله التونسيون ، فلم لا يجمع المجد من أطرافه  
 فيكون صاحب الصناعتين .

وقد عرف عنه ان مقامه والطبقة التي ينتمي اليها لم يثنيه عن التحسس  
 بالقضايا العامة ، ولعل هذه الناحية هي التي اكبرته وجعلت الجمهور ينظر  
 فيه شاعره الكبير المفضل على نحو ما أقاد شاعرنا الرصافي الكبير من  
 مشاعره الوطنية ومواقفه الجريئة في قضايا عدة .

ولا بد أن تعرض لشعره فقد أشرت انه يرصف القوافي ، وما أكثر  
 رصاف القوافي في كل مصر من الأمصار ، ولكن صاحبنا يرصفها بشكل  
 جعلت « محمد الفائز القيرواني » ينعت « بهزار الخضراء » والخضراء تونس  
 كما هو مشهور معروف وأن « هذا الهزار » تفاخر به الخضراء « ارض  
 الكنانة » في « يوم الرهان » اذن فالمسألة مسألة سبق ورهان ، واذا كان من  
 سبق فلا بد من قصب يحرزه السابق والقصب عرش الامارة ، فكأن أخواننا  
 اتونسين لا يؤمنون بالقول المشهور : « منا امير ومنكم امير » \*

ونترجع الى شيء من امير الشعراء خزنة دار نسمعهم يقول في « الحر »  
 قصيدة اسمها ذكرى الزعنين :

الحر من لا يستكين لمرهق	فعليك خصمك مم ويحك تنقي
واصدع بحق في الاباء ولا تقل	« ان البلاء موكل بالمنطق »
فالى م تستجدي وحقك بين	شلت يد تمتد للمتصدق
تبا لمن إلف الخنوع لغاشم	ما تلك الا شيمة المتلوق
أولى وأحرى أن يبيت على ظما	من ظل من ماء المهانة يستفي
فيم احتمالك والكوارث جمة	ممن يراك بنظرة المتفوق
صم وعمي ساخرين تطاولا	منا كأننا في السورى لم نخلق
لا تشكهم ان الشكاة مذلة	والى مراقبي العز وحدك فارتق
مستضعف من بات يرقب منة	من أهله أو من عدو أخرق
اسلك لصالحك السبيل بحكمة	وافتح بحزمك كل باب مغلق
وهما الطريقان السعادة والشقا	فكن السعيد اذا أردت أو الشقي
واحمل بفولاذ العزيمة وفرها	واصعد مع البازي المطل وحلق

ولقد اكرت عليك صديقي القاري - ذلك اني اظنك ضقت ذرعا بهذه  
 القطعة الطويلة التي لم تتوقع ان تكون لناظم خامل الذكر في ايامنا فضلا عن  
 انها لشاعر ، بل أمير للشعراء ، فهذه الابيات اعلق بالنظم والصق بالرصف ،



فلا تقرب من مادة الفن التي تقتضي ادوات وآلات لا يملكها صاحبها كالنصوير والخيال والسير في السيل الذي يعطي طابع الوحدة والارتباط بين اجزاء المقطوعة ، اما السيد الشاذلي خزنده دار فليديه جملة معان مختلفة متباعدة يفرغ كلا منها في بيت من الابيات بطريقة تقريرية حكائية لا تبعد كثيرا عن حديث الناس وما يضربون فيه من أبواب • وقد حصل لشعراء كثيرين شيء كثير من ذلك فانت اذا رجعت الى هذه المقطوعة وجدتها اجزاء منفصلة لا توحى ان صاحبنا قد نظر لموضوع « البحر » نظرة الفنان الذي يريد أن يصنع الصورة الموحية للحر في عالم يشقى فيه • • وأين هذه الصورة التي نريدها من ابياته الاخيرة التي يشفعها بوصيته ونصيحته على نحو الوعاظ • ويعرض الشاعر للموضوعات الوطنية فيعمد الى طريقته الالقاءية التقريرية التي لا تلتزم الا بايصال الفكرة بأيسر السبل فيقول في قصيدته التي اسمها « نداء »

نادت بنيتها الديار	بالله أين المصير
هنا علي يغار	وذا علي يغير
التونسي بني	أضحى بحقي ينادي
لكنما ذو الغي	رأه أعدى الأعداي
حيث اغتدى في الحي	يقول هذي بلادي
وحق هذا الابي	قامت به الأثار

الى ذويها تشير

الى متى تشاكى	والمغندي في انهماك
تسأ لمن يتباكي	تسأ الى المتباكي
من يرتجي لي انفكاكا	لا يتمي لاخراكي
قل والذي سواكا	وانه الجبار

ما في البلاد غيور

ويستمر صاحبنا على هذا النحو في شعر الوطنية الذي يعرض للقضايا العامة ، وما أظنك الا ذاكرا وأنت تقرأ هذه المقطوعة ، « ايقاظ الرقود » للرصافي التي يقول فيها :

الى كم أنت تهتف بالنشيد      وقد أعياك ايقاظ الرقود  
فلست وإن شددت عرى القصيد      بمجد في تشيدك أو مفيد  
لان القوم في غي بعيد  
اذا أيقظتهم زادوا رقابا      وإن أنهضتهم قعدوا وثابا  
فسبحان الذي خلق العباد      كأن القوم قد خلقوا جمادا  
وهل يخلو الجماد من الجمود

على ان قصيدة الرصافي هذه أوضح معنى وأسلم مبنى .  
وقد أشرت الى ان صاحبنا من ذوي الجاه العريض ، وممن نعم بالقصور بظرفها ونعيمها وترفها وتقاليدها ، فلا بد ان يبدو شيء من ذلك في شعره ، ومن ذلك قصيدته « طرب » التي يعارض فيها قول ابي نواس :

راحة النهي الطرب	هاتها فلا عيب
البدنان منزعة	والخمور تنسكب
والكؤوس جارية	طاف فوقها الحبيب
بنت كرمه جلوت	نعم ذلك النسب
رحبوا بأنسة	زفها لنا العنب
وابشروا بطلعتها	فهي للصفاء سبب
عنت بدسكرة	عانس ولا عجب
كلنا بها غزل	كلنا بها نخب

وهكذا يمعن في وصف الخمرة ومجلسها وآلاتها وما يصحب هذا المجلس من انس وقصف ولهو وغناء . وكأن صاحبنا اراد في هذه القصيدة ان يعارض « شوقي » او قل يناقسه ، فأثير شعراء المشرق مولع بباب

المعارضة فقد عارض غير واحد من الشعراء الاقدمين فقد قال شوقي في  
معارضة ابي نؤاس قصيدته المشهورة والتي مطلعها :

حَف كَأَسَسِهَا الْحَبِيبُ فَهِيَ قَضَةٌ ذَهَبُ

وباب المعارضة تقليد محض قل أن يأتي فيه صاحب جديد يستملح +  
والمعجب من هؤلاء المقلدين أنهم لا يفعلون بالموضوع نفسه فيذهبون  
يترسمون نماذج مشهورة فيسيرون على هديها +

وبعد فهذا محمد الشاذلي خزنده دار شاعر تونس او قل امير شعرائها  
الذي ما كنا نعرفه كما لم نعرف سائر معاصريه من الاعلام الافريقية ، فقد  
قطع الاستعمار الفرنسي بين الشمال الافريقي وسائر اقاليم العربية فاصبحنا  
لا نعرف نحن المشاركة عما كان عليه اخواتنا الافريقيون من الناحية العلمية .  
وقد اتح لي ان الم بشيء من ذلك فأطلع عليه واسجل ما بدا لي من  
نظرات في الادب التونسي الحديث +

## عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد

لم يتها لنا - نحن المشاركة - الاطلاع على ما كتب في تاريخ التعليم التونسي بصفة خاصة ، والشمالى الافريقي بصورة عامة ، الا ما كتبه ابن خلدون في « المقدمة » اذ عرض للموضوع في جملة فصول تكلم فيها على المواد العلمية مينا ضرورتها ومكانتها في التاريخ الحضاري ، ووجه الصواب في تعليم هذه المواد وطرق الافادة في ذلك وجملة هذه الفصول تؤلف مادة تربوية جديدة بالوقوف عندها ، والنظر فيها ، وتفهم ما تنطوي عليه من أفكار جديدة ربما لم ينتبه اليها علماء التربية الا في عصورنا المتأخرة . ولم يقتصر ابن خلدون في هذه الفصول على الأقوال العامة ، بل يتجاوز ذلك فيعرض لمسائل تدخل في صميم التربية المدرسية ، كما يعرض لآخرى هي من اختصاص الطرق الخاصة ، أو اصول التدريس في اصطلاحنا التربوي الحديث . فهو يتحدث في الفصل الثامن والعشرين عن « أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل » فيقول : « اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك ، وحيثئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو اكثرها ، ومراعاة طرقها ، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور... » (١) فأنت ترى أنه قد عرض للموضوع بالنظر التربوي الناقد ، فقد تناول مشكلة هي من أخطر المشكلات ، وهي مشكلة الاصطلاح العلمي الذي تعددت الفاظه في زمنه بحيث أصبحت من الامور التي تعسر على المتعلم وتشغل فكره ،

(١) مقدمة ابن خلدون (مصر ١٩٣٠ المطبعة الازهرية) ص ٤٧٠



ثم تناول كثرة التأليف فضرب مثلا « بالمدونة »<sup>(١)</sup> وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللمحي وابن بشير أو غيرها ، وكل ذلك مما يعيق المتعلم عن الوصول الى مادة العلم الصحيح في أمد غير طويل .

وفي الفصل التاسع والعشرين يبين ان « كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم »<sup>(٢)</sup> ، فيقول : « ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم ، يشتمل على حصر مسائله وادلتها باختصار في الالفاظ ، وحشو اقليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم ، وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريرا للحفظ ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه ، وابن مالك في العربية والخوننجي في المنطق ، وامثالهم وهو فساد في التعليم ، وفيه اخلال بالتحصيل ، وذلك لان فيه تخليطا على المبتدئ بالقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستعد لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم كما سيأتي ، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم بتراحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، لان الفاظ المختصرات صعبة عويصة ، فينقطع في فهمها حفظ صالح من الوقت . . . » ثم يؤكد ان النتيجة من التعليم في هذه المختصرات قاصرة .

ثم يدخل ابن خلدون الى موضوع من موضوعات اصول التدريس كما

---

(١) « المدونة » من امهات كتب الفقه المالكي المطولة ، ومن اول ما ألف وجمع في هذا الباب ، وهي مجموعة ما روى وسمع عن الامام مالك والشروح على ذلك ، جمعها الامام ابو عبدالله محمد بن ابي سعيد سحنون ، واسمه عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التتوخي ، مولده في القيروان سنة ٢٠٢ هـ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ (انظر طبقات علماء افريقية ، الجزائر ، ١٣٥٢ هـ ص ١٢٩ .

نصطلح عليه في أيامنا ، فيتحدث في الفصل الثلاثين عن « وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته » فيقول : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلًا قليلًا يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، يقرب له في شرحها في وجه الاجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر هذا الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، الا انها جزئية وضعيفة ، وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرج عن الاجماع ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه ، الى أن ينتهي الى آخر الفن ، فتجود ملكته ، ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويضا ولا مهما ولا مطلقا الا وضحه وفتح له مقمله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته ، هذا وجه التعليم المفيد .... »

ثم ينتقد ابن خلدون المعلمين في عهده فيقول : ان كثيرا منهم يجهلون طرق التعليم وافادته فيحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم « وصوابا فيه ، ويكلفونه رعى ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل ان يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ، ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالامثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ، والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة هي الاستعداد ، ثم في التحصيل فيحيط بمسائل الفن .. (١)

فأنت ترى الى ابن خلدون في هذه الفصول ، معلم يجيد مهنة

(١) المقدمة ص ٤٧١ - ٤٧٢

التعليم ويعرف اسرارها ، وقد اكتشف بما كان له من اطلاع واسع ، وذهن ذكي ناقد ، الطرق التي ينبغي اتباعها في تعليم الطفل . ثم يعرض في الفصل الثاني والثلاثين ، لتعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرفه ، فيقول : « ..... فاما أهل المغرب ( المقصود المغرب الأقصى ) فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، واخذهم اثناء المدايسة بالرسم ومثاله ، واختلاف حملة القرآن فيه ، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ، ولا من شعر ، ولا من كلام العرب الى ان يحذف فيه او ينقطع عنه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة ، وهذا مذهب أهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر امم المغرب في ولدائهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى الشبية ، وكذا في الكبير اذا راجع مدايسة القرآن بعد طائفة من عمره ، فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم ..... وأما الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم الا انه كان القرآن أصل ذلك وأسه ، ومنبع الدين والعلوم ، جعلوه أصلا في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط ، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب ، والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه ، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبية ، وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة ..... »

وأما أهل افريقية<sup>(١)</sup> فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدايسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، الا ان عنايتهم

(١) المقصود بأهل افريقية أهل تونس ، وربما كان تونس والجزائر دون سواهم .

بالقرآن واستظهار الوردان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواه ، وعنايتهم بالخط تبع لذلك ، وبالجمله فطريقهم في تعليم القرآن اقرب الى طريقة أهل الاندلس ، لان سند طريقته متصل بمشايخ الاندلس ..... (٢) وهكذا يستمر في عرضه لطرق التعليم في مختلف الامصار فيعدد امصار المغرب عامة بما فيها الاندلس ، ويجمل الكلام على المشرق بصورة عامة .

فان خلدون في هذه الفصول يعرض للتعليم وطرقه دون ان يدخل في تفاصيل هذه الموضوعات . ونحن لا نملك من مادة هذا الموضوع الا هذه الفصول المجمله ولذا ينبغي أن نعرض لتاريخ التربية في القطر التونسي منذ الفتح الاسلامي لتبين كيف سار التعليم وكيف تطور ، وكيف استحاله في عصوره المتأخرة قبل الانتداب الفرنسي ، وطوال عهد الانتداب الذي دام قرابة ثمانين عاما ، ثم نعرض لما قامت به الحكومة التونسية في عهد الاستقلال منذ سنة ١٩٥٦ .

ولا بد أن نعرض للقيروان التي اختطها المسلمون عند الفتح الاسلامي ، فقد كانت مركز الثقافة العربية الاسلامية ، ذلك ان سفيان بن وهب دخل الى افريقية خلال عام ثمان وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان ، وكانت بها يومئذ كتائب وكان ذلك بعد تأسيس القيروان بربع قرن . حكى بن ابي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمر علينا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه ، (١) .

وقد استعمل عمر بن عبد العزيز اسماعيل بن ابي المهاجر البخزومي

(٢) المقدمة ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(١) ابن الدباغ . معالم الايمان ١/ ١٢٠ عن رسالة المسلمين لمحمد بن سحنون نشر حسن حسني عبدالوهاب تونس ١٣٤٨ .



مؤدب اولاد عبد الملك بن مروان ، على افريقية سنة ١٠٠ للهجرة<sup>(٢)</sup> ، واختيار عمر بن عبد العزيز لاسماعيل السذي كان مؤدبا لاولاد عبد الملك بن مروان ، امر له قيمة خاصة ، فقد ذكر ابن العذاري : « وما زال اسماعيل حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى اسلم بقية البربر بافريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز ، وهو الذي علم أهل افريقية الحلال والحرام ، وبعث معه عمر عشرة من فقهاء التابعين منهم عبد الرحمن بن نافع وسعيد بن مسعود التجيبي »<sup>(٣)</sup> .

ولقد ذكر ابن خلدون ان الولدان كانوا يلقنون القرآن في هذه الكتابيب ، ويروى المقدسي ابو عبدالله محمد بن البناء البشاري لمازار البلاد الافريقية في حدود سنة ٣٧٠ هـ وجدها كلها لا تقرأ الا بقراءة نافع على طريقة أهل مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « وأما القراءات في جميع أقاليم المغرب فقراءة نافع حسب »<sup>(٤)</sup> . كما نقل القاضي عياض في ترجمة ابي العباس احمد بن طالب القيرواني صاحب محمد بن سحنون ما يأتي : « وذكر ابو عمرو الداني في كتابه : ان ابا طالب ايام قضائه امر ابن برغوث المقرئ بجامع القيروان ألا يقرئ الناس الا بحرف نافع »<sup>(٥)</sup> . وقد تحدثوا عن أمور التعليم فتناولوا مسائل كثيرة فقد ذكر الونشريسي : « وسئل ابو طيب عبد المنعم بن خلدون الكندي ( المتوفى في القيروان سنة ٤٢١ هـ ) هل يجلس المعلم من الصباح الى المغرب او عند طلوع الشمس الى عند الاسفار ، فأجاب : أما وقت جلوس المعلم وقيامه

(٢) ابن عساكر ، التاريخ ٣٠٨/٢ .

(٣) ابن العذاري ، البيان المغرب طبعة ليدن ٣٤/١ .

(٤) المقدسي ، احسن التقاسيم (ليند ١٨٧٧) ص ٢٣٨ .

(٥) القاضي عياض ، ( ترتيب المدارك ٢٧٥/١ ) من مخطوطات العلامة

السيد حسن حسني عبدالوهاب .

فبحسب العرف ، وما تعاوده أهل التعليم في بلد (٦) .

وقد تحدثوا عن المعلم وكيف يجب أن يكون وما يلزم أن يتصف به من صفات ، فقد قال الإمام القاسبي : « ينبغي أن يكون المعلم مهيا لا فسي عفا ، لا يكون عبوسا مغضبا ، ولا مبسطا مرفقا بانحسيان دون لين ، وينبغي أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم » (١) .

ومن الطريف أن تذكر في هذا الباب ما أوصى به عتبة بن ابي سفيان معلم أولاده حين سلمهم اليه ، قال عتبة - رضي الله عنه - : « يا عبد الصمد ليكن أول اصلاحك لو لدي اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تعلمهم فيه فيتركوه ، ولا تركهم فيه فيهجروه ، وروهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ولا تنقلهم من علم الى آخر حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في السمع مشغلة في الفهم ، وعلمهم سير الحكماء واخلاق الادباء ، وهددهم في أدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، واسترذني بزيادتك اياهم ، ازدك في برى ، واياك أن تتكل على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك » (٢) .

وفي هذه الكلمات الحكيمة فهم خاص دقيق لاصول التعليم ، وكيف يجب ان يباشرها المعلم ، وكيف يعلم الاولاد فينتقل في تعليمهم من مرحلة الى أخرى ، وماذا يجب ان يهيئ لهم من المواد ، والطريقة التي ينبغي أن يقدم فيها تلك المواد ، كما أشار الى العقوبة وكيفية استعمالها وألا يباشرها قبل التهديد بها ( الادب ) . كما لم يوصوا بالعقاب البدني وشددوا النكير

(٦) الوثريسي ، المعيار ١٥٢/٨ . والامام القاسبي هو ابو الحسن بن خلف المعافري من كبار أئمة الحديث والسنة بالقيروان ، توفي سنة ٤٠٣ هـ .

(١) المصدر السابق ١٥٧/٨ عن كتاب آداب المعلمين .

(٢) الشريشي ، شرح المقامات ٣٤٩/١

عليه . قال سحنون لمعلم ابنه : « لا تؤدبه إلا بالمدح ولطف الكلام » ، فليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف ، (٦) .

وقد عقد ابن خلدون فصلا على هذا الموضوع فأشار الى أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم ، قال : « ان ارهاق الجسد في التعليم مضر بالمعلم سيما في أصغر الولد لانه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالعنف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سيطابه القهر ، وضيق على النفس انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو الظاهر بغير ما في ضميره ، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعليه المكر والخديعة صارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالا على غيره من ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانتقضت عن غايتها ، ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد الى أسفل السافلين » .

ثم قال : « ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ألا يستبد عليهم في التأديب » ، وقد قال : محمد ابن ابي زيد ( وصوابه محمد بن سحنون صاحب رسالة المعلمين ) في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين : لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيئا . (١) .

ونقل ابن خلدون عن مروج الذهب للمسعودي ما حكاه الأحمر النحوي عن نفسه ، قال : بعث الى الرشيد لتأديب وندى محمد الأمين فلما دخلت عليه التفت الي وقال : يا أحمر ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه ، وثمره قلبه ، فخير يدك عليه مسوطة ، وطاعتك عليه واجبة ، فكن

(٣) ابن الدباغ ، معالم الايمان ٨/٢

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٤٧٧ - ٤٢٨

له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الآثار ، وروى الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدءه ، وامنعه الضحك الا في أوقاته ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت معتقم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتصت ذهنه ، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أبهمسا ، فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقكما ، (٢) .

ولم ينب عنهم من أمور التعليم شيء فقد فطنوا الى أن المتعلم الصغير لا بد أن يستعان على تعليمه بشيء من الراحة واللعب ، وذلك أنه يترك وشأنه في فرص معلومة ، يلهو ويلعب ثم يعود الى الدرس ، فقد حكى معتب بن ابي الازهر ، من علماء القيروان في القرن الثالث الهجري قال : قال لي ابو القاسم عبدالله بن محمد : وما حال صبيانكم في الكتاب ؟ قلت له : ولع كثير باللعب ، فقال : ان لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمايم ، (٣) .

وهو يريد من ذلك أنه لا يشئ الولدان عن اللعب الا المرض . والامام الغزالي من فلاسفة المسلمين في المشرق الاسلامي قد تناول هذه الناحية فقال : « ينبغي أن يؤذن للصبي ، بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يسترىح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهقه في التعلم دائما يميت قلبه ، ويبطل ذكائه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا ، (١) » .

ومن المفيد ان نعرض لكتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ( مصر ١٣٠٣ ) ٢ / ١٩٥ .

(٣) الفاضل عياض ( المدارك ترجمة معتب بن ابي الازهر القيرواني ) مخطوط .

(١) الغزالي ، احياء علوم الدين الجزء الثالث ( فصل رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ) .



التنوشي<sup>(٢)</sup> ، وهو ما دونه عن أبيه في شؤون التعليم في القيروان ، في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، والقيروان يومئذ دار السنة ، ومحطة طلاب العلوم الشرعية من سائر أنحاء المغرب والاندلس .

يعرض أبو عبدالله محمد بن سحنون لما جاء في تعليم القرآن<sup>(٣)</sup> فيذكر الأحاديث التي ألزمت تعلم القرآن . ولا يفوته في ذلك الأسانيد على طريقة المتقدمين من علماء الحديث ، كقوله - صلى الله عليه وسلم - « افضلكم من تعلم القرآن وعلمه » ، وكقوله « خيركم من تعلم القرآن » .

ثم يعرض لما جاء في العدل بين الصبيان فيذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أيما مؤدب ولي ثلاثة صبيان من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين » ، وقوله : « اذا قوطع المعلم على الاجرة فلم يعدل بينهم ( يعني الصبيان ) كتب من الظلمة »<sup>(٤)</sup> .

يتحدث عن الادب ( والمراد به العقوبة ) وما يجوز من ذلك وما لا يجوز .

قال : وحدثنا عن عبدالرحمن عن عبيد بن اسحاق عن يوسف بن محمد قال : كنت جالسا عند سعد الخفاف فجاءه ابنه يبكى ، فقال : يا بني ما يبكيك ؟ قال : ضربني المعلم ، قال : أما والله لا أحدثكم اليوم ، قال : حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « شرار أمتي معلمو صبيانهم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين » .

قال محمد بن سحنون : وإنما ذلك لانه يضربهم اذا غضب ، وليس

(٢) كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون نشر السيد حسن حسني

عبدالوهاب تونس ١٣٤٨ هـ .

(٣) كتاب آداب المعلمين ص ٤١ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٢ .

على منافعهم ولا بأس أن يضربهم على منافعهم ، ولا يجاوز بالادب ثلاثا ، والا أن يأذن الاب في أكثر من ذلك ويؤدبهم على اللعب والبطالة ، ولا يجاوز بالادب عشرة ، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثا . قلت ولسم حددت عشرة في أكثر الادب في غير القرآن ، وفي القرآن ثلاثة ؟ فقال : لأن عشرة غاية الادب ، وكذلك سمعت مالكا يقول : وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط الا في حد » (١) وهكذا يأتي بسائر الأحاديث التي تقيد الادب بحدوده ولا تتجاوزها .

ثم يتحدث عما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم ، كأن يهدي إليه شيء مكافأة له واعترافا . ويعرض في ذلك لما قيل في الموضوع ، وما حدث فيه من أمور سابقة ، وما نص على ما جاز منه وما لا يجوز .

كما يعرض لواجبات المعلم نحو الصبيان ، وما يجب أن يعلمهم ، وكيف يشغل وقته في تعليمهم ، والمواد التي يحسن به أن يعلمهم زيادة على القرآن والنخط ، وما يتعلق بذلك من تجويد القراءة باتساع الاصول في اللغة ، كأن يبصرهم بالجيد من الشعر وأخبار الادب . ويتحدث كذلك عن واجبات الصبيان نحو معلمهم وكيف يجب أن يسلكوا .

وطريقة الكتاب أن محمد بن سحنون يعرض للأسئلة التي سئل عنها أبوه فأجاب عن ذلك مما يتصل بأمور التعليم في تلك الفترة ، وما سجله في المدونة ، من هذا الموضوع وما حدث على عهد الامام مالك ، فقال فيه : قال .

ولم تبقى القيروان وحدها مركزا للثقافة ، ومجتمعاً للمعلماء والدارسين في ديار المغرب ، فقد ظهرت تونس حاضرة البلاد المعروفة ، وظهر جامع الزيتونة ، ويمثل جامع الزيتونة معهد التعليم العالي . بناه عبد الله بن

(١) المصدر السابق ص ٤٣ .

الحجاب سنة ١١٤ هـ تخليداً لذكرى انتصاراته في غزواته الكثيرة<sup>(١)</sup> .  
 واتم بناءه على الشكل الحالي ابو العباس محمد بن الأغلب على عهد الخليفة  
 العباسي المعتصم بالله ، وصار معهد أفريقية العلمي على عهد ابي زكريا الاول  
 الملك الحفصي في اوائل القرن السابع . وجلب اليه الاساتذة من طرابلس  
 مثل عبد الحميد بن ابي الدنيا ، ومن صقلية مثل آل الصقلي الاطباء ومن  
 الاندلس مثل ابن عصفور النحوي ، وابن سعيد وابن الابار المؤرخين  
 وحازم القرطاجني وابن أبي الحسين الأديبين وابن القصار والبطرني  
 الفقهيين . وقد تخرج من الزيتونة في هذا العصر الحفصي نخبة من  
 العلماء منهم عبدالرحمن بن خلدون . وقد مر جامع الزيتونة بأزمة  
 نشأت عن سقوط الحفصيين واستيلاء الاسبان فصار العلماء يهاجرون الى  
 المشرق . ثم جاء الاحتلال التركي فحاول الاتراك ان ينشروا المذهب  
 الحنفي فتشجعوا على حساب المالكية ، وصارت التركية لغة التعليم بالزيتونة ،  
 فلم يرض الناس بذلك ، فجاء عثمان داي فأصلح التعليم بالجامع ، وجعل  
 التعليم الحنفي مقصوراً على المدارس الحنفية ، وعادت الزيتونة الى سالف  
 مجدها ، وجيء بمهاجرة الاندلس من الاساتذة ليدرسوا فيها . واغنى  
 الامراء المراديون بأنشاء الجوامع وجعلوها على غرار الزيتونة ، فأسس  
 عثمان داي جامعاً اتخذ منه مدرسة ( ١٠١٧ - ١١١٧ ) .

ثم جاء الطور الحسيني : ١١١٧ - ١٢٣٠ فانتقلت السلطة الى حسين  
 بن علي التركي . فصرف همه لاصلاح شؤون الدولة عامة وإلى اصلاح  
 التعليم خاصة ، وتناول هذا الاصلاح التعليم الزيتوني ، على انه مهما قيل  
 في هذه الحركة الاصلاحية فقد هبط مستوى التعليم في هذا العصر التركي  
 الى مستوى واطىء بالقياس الى ما كان عليه ايام الحفصيين من حيث عمق

(١) انظر محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب لعثمان السكاك  
 ( معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية ١٩٥٨ )

التعليم ، ومن حيث اختلاف المواد التي تدرس وتنوعها ، فقد كان التعليم يشمل العلوم العقلية والرياضية والطب والفلك ، بالإضافة الى العلوم الدينية والعربية . اما في عصر الحسين فلم يبق الا القليل من كل هذا . كما أن هؤلاء الحسينيين لم يصلوا بالتعليم الى المستوى الذي كان عليه في أيام المراديين ، فقد احتفظ هؤلاء بكثير من العلوم التي كانت تدرس على عهد الحفصيين ، وهذا راجع الى أنهم من كرسكا ، وأن ثقافتهم اوروبية ، كما ان للجالية الاندلسية المهاجرة الى تونس الفضل في الاحتفاظ بهذا المستوى العلمي الرفيع .

وهكذا ظلت الزيتونة المعهد التونسي العالي طوال هذه الاحقاب المتعاقبة والتي شهدت فيها تونس عدة أسر حاكمة<sup>(١)</sup> .

ولقد قامت الزوايا والربط بقسط آخر في التعليم الديني ولاسيما ما يتصل منه بالعلم الصوفي . كما أن الكتائب ظلت تعاصر الزيتونة ، وربما قدمت للزيتونة الطلاب بعد تزويدهم بالقسط اليسير من التعليم كتعليم القرآن والخط وشيء يسير آخر يتعلق بتجويد النطق والتلفظ .

وظلت الزيتونة محافظة على مركزها الثقافي طوال مدة الاحتلال الفرنسي ، وقد كانت عاملا حفظ لتونس شخصيتها وقوميتها ومجدها ، ولولا هذه الزيتونة العامرة لذهبت اللغة العربية ، ولصارت حال العربية في تونس حالها اليوم في الجزائر وهكذا كانت الزيتونة مركزا يذكى قلوب التونسيين حماسا وغيرة ، ويذكرهم بامجادهم ويبعث فيهم روح اندود عن الوطن وتخليصه من رقة الاستعمار البغيض .

(١) انظر محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب لعثمان الكعك  
( معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية ١٩٥٨ )  
من ١١١/٨٨ .



## حال التعليم قبيل الاستقلال :

أما حال التعليم قبيل الاستقلال فهو ينحصر في أربعة أشكال من المؤسسات التعليمية هي : -

١ - مؤسسات قديمة جدا ، وهي تشمل جامع الزيتونة والزوايا والكتاتيب القرآنية .

٢ - مؤسسات احدثت في القرن التاسع عشر ، وبصفة خاصة قبيل الاحتلال الفرنسي ، وقد احدثت هذه المؤسسات قصد مسايرة الزمن ، والاخذ بأسباب التقدم العلمي الذي بلغته الحضارة الغربية في ذلك الحين ، وقد بقى من هذا النوع « المعهد الصادقي » الذي أسسه الوزير المصلح خير الدين ليجعل منه نواة نهضة علمية حديثة . اما بقية المعاهد الاخرى فقد قضى عليها الاستعمار .

٣ - مؤسسات حديثة حرة للتعليم الابتدائي والثانوي ، أحدثها المثقفون من الشباب التونسي ، احساسا منهم بخطر الاستعمار الثقافي ، فأندفعوا يقاومون هذا النوع من الاستعمار عن طريق نشر الثقافة الحديثة .

٤ - مؤسسات رسمية ، وهذه احدثت بعد الاحتلال . ووضعت برامجها واهدافها في خدمة الاستعمار وسياسته الثقافية الخاصة بتونس وسائر اقطار المغرب العربي .

أما الزوايا والكتاتيب فهي أثر من أثار الماضي القديم الذي لم يعد يصلح لهذا العصر ، ومهمة هذه المراكز تعليم القرآن ليس غير .

أما جامع الزيتونة فله مكانة خاصة ، وفضله لا يجحد ، وقد سبق الكلام على هذه الناحية ، غير أنه مهما قيل في هذا الموضوع فقد انبرت جماعة كبيرة الى القول والمناداة باصلاح التعليم الزيتوني الذي لم يعد كافيا لحاجات العصر الحديث ، فكان هناك مجلس اصلاح التعليم الزيتوني ،

وقيل في هذا الباب ما قيل ، وتعددت الآراء ، واختلفت الطرق ، وبقيت هذه المشكلات قائمة حتى جاءت فترة الاستقلال الوطني سنة ١٩٥٦ فمولجت هذه المشكلة على نحو سنعرض له بعد قليل .

وأما المعهد الصادقي فهو معهد ثانوي اريد له أن يكون مناظرا للتعليم الحديث في الامم المتحضرة المتقدمة . على أن هذا المعهد وان اتبع الاساليب الحديثة وادخل العلوم العصرية ، فقد امتدت اليه ايد عابثة فخضع للإدارة العامة كما خضع غيره .

وأما النوع الثالث فهو التعليم الحر ، والذي انشأه الواعون من الشباب المثقف التونسي الذي شعر بخطر الاستعمار الثقافي ، فعمد الى هذا النوع من المعاهد الحرة ، غير أن الاستعمار لم يترك هذه المعاهد وشأنها ، فصار يتدخل فيها حتى خضعت في جملة ما خضع للنقوذ الإداري الرسمي .

أما التعليم الرسمي فيشمل مؤسسات انشأها الاستعمار ، ورسم لها سياسة خاصة يحقق فيها غاياته وأهدافه ، فهي لا تكثر بالشخصية التونسية ، ولا تهتم بتاريخ تونس ومكانتها بين الامم ، ثم ان لغة التعليم في هذه المؤسسات الفرنسية ، أما العربية فحصتها ضعيفة لا تحقق شيئا ، وينشأ عن هذا ازدواج لغوي لا تحتمله قابليات الاطفال الضعيفة ، لاسيما في التعليم الابتدائي ، وفي هذا جور على اللغة القومية ، وإهمال للتراث القومي .

وهذه المؤسسات مقتصرة على التعليم الابتدائي والثانوي ، فليس هناك تعليم مهني زراعي او صناعي ، وليس هناك معاهد لاعداد المعلمين والمعلمات . ونخلص من كل ذلك الى أنه لم يكن في هذه الفترة أثر للتعليم العالي على مستوى الكليات المعروفة في التعليم الحديث .

حتى اذا اطل فجر الاستقلال ، وجد التونسيون أنهم قد ورتوا تركة

مثقلة بالمشكلات والصعاب ، فالتعليم في حالته على عهد الحماية تعليم ناقص ، رسمه المستعمرون محققا لاهدافهم ، ومن هنا بدأت الدعوة من جديد الى اصلاح التعليم ، وهذه الدعوة جادة ماضية ، ولكنها لم تحقق كل ما أريد تحقيقه ، فالصعوبات كثيرة ، والمشكلات تتطلب دراسة طويلة الامد ، ومساوى الماضي نابتة محكمة القواعد ، وهكذا فلم يحقق كثير من الاصلاح .

غير ان الاصلاح قد تناول الزيتونة ، ذلك ان الزيتونة وما يتبعها من معاهد كانت تضم اكثر من خمسة عشر الفا طالبا ، وفي هذا عيب كثير ، وتعطيل للمقابليات في رأى دعاة الاصلاح ، لان البلد محتاج الى المختصين في العلوم الحديثة لبناء الاستقلال الجديد ، وليس من المفيد تجنيد مثل هذا العدد في الدراسة الدينية العربية . ولكن الدعوة الى اصلاح الزيتونة قد بولغ فيها ، وكان القوم قد أخذوا بتيار مجازاة العصر ، وكان هذه المجازاة قد فرضت عليهم تصفية الزيتونة العامرة ، والغاء التعليم الزيتوني ، ولتحقيق هذا الغرض أسست معاهد ثانوية تستقبل العدد العديد من الزيتونيين ، وزودت بمناهج خاصة ، تلئم وما كانوا قد زودوا به من مواد ، وكانت هذه المعاهد على صنفين : صنف أطلق عليه « التعليم العلمي » وهو الذي ظل ألصق من الآخر بالتعليم القديم ، الا ما اضيف له من مواد جديدة في شكل موجز سهل . وصنف أطلق عليه « التعليم المصري » وهو أقرب الى نهج المدارس الثانوية من الاول ، وفي كلا الصنفين يفسح المجال للعربية على شكل واضح يحقق الغرض المطلوب . الا ان لهذين الصنفين غاية مرسومة هي تخريج العدد المتبقي من الطلاب الزيتونيين ، الذين يقلون كلما تخرجت فئة منهم وهكذا يتم يتم تخريج هذا العدد فتنتهي هذه الدراسة التي اصطنعت لمعالجة هذه الحالة الطارئة .

وقد تركت هذه الحالة ألما دقينا في نفوس التونسيين الذين يرون في

الزيتونة مجدا باذخا قصد تقويضه، وهكذا تأزمت الحال فتنشأ حماس لا يخلو من حقد ومضض بين الزيتونيين والمنادين بالاصلاح، وهؤلاء هم الذين يصرفون شؤون التربية القومية، وجل هؤلاء من الذين درسوا في معاهد فرنسا، وهم من اجل ذلك يتعصبون للثقافة الفرنسية، او قل للنمط الحديث في التربية ممثلا في الثقافة الفرنسية، وهؤلاء ماضون في هذه الدعوة وان كانت على حساب القيم القومية، والشخصية التونسية. ولقد قام الجدل حول هذا الموضوع في الفترة الاخيرة على صفحات مجلة «التجديد»<sup>(١)</sup>، فقد انبرى جماعة من هؤلاء الجدد ذوي الثقافة الفرنسية، فتادوا بالاخذ بمقومات الشعب التونسي، والرجوع بالمناهج الثقافية الى طريق يحقق الشخصية التونسية بتاريخها وتراثها ضمن اطار الحضارة العربية الاسلامية، وكان هؤلاء يردون على التيار الذي أخذ المسئولين الذين آمنوا بالجديد والاصلاح على هذا النحو.

اما المدارس الابتدائية والثانوية فقد سير فيها على النهج الفرنسي، ولم يفلحوا في تحقيق الاصلاح المنشود، فقد بقيت اللغة الفرنسية في طائفة كبيرة من هذه المعاهد لغة تفوق العربية من حيث العناية بها، ومن حيث عدد الساعات التي تخصص لها. كما ان طائفة كبيرة من المدارس الثانوية مازالت تقرأ المواد بالفرنسية، ومن جملة ذلك مادة التاريخ الاسلامي ومادة الجغرافية. وبعد حوادث بنزرت سنة ١٩٦٠ حاولوا ان يجعلوا للعربية ما للفرنسية من عدد الساعات تحقيقا لشيء من الاصلاح المنشود.

وقد تستغرب هذه العناية بالفرنسية على حساب اللغة القومية، ولكنهم يجيبون على استفرايك واستفهامك بانهم مضطرون على ذلك، فليس الاصلاح بالشيء السهل بعد استعمار دام ثمانين عاما، وأنهم لا يملكون العدد الكافي من المدرسين والمعلمين الذين يجيدون العربية، فاذا اريد تدريس



الحساب او الهندسة بالعربية فليس من السهل تهيئة المدرسين للقيام بهذا العمل . وهكذا يستعان بالفرنسيين على القيام باعباء التدريس ، وقد يحدث ان يقوم فرنسي بتعليم مادة التاريخ الاسلامي . ولا بد أن نشير هنا الى مشكلة التعريب ، وتعريب المناهج او قل تونستها يتطلب معرفة جيدة بالعربية ، وهذا غير ميسور في الوقت الحاضر للنقص الشديد في العناصر المكونة تكوينا عربيا ، ومن أجل ذلك ، ترى الدوائر الرسمية تتخذ الفرنسية لغة لها ، وفي ضمن ذلك وزارة المعارف .

وينجم عن هذه المشكلة مشكلة الكتب المدرسية ، فهي اما فرنسية مطبوعة في تونس ، وهذا قليل جدا ، واما فرنسية ألقت للطلاب الفرنسيين في فرنسا فاتخذها التونسيون كتباً لهم .

ومن الاعمال التي قام بها المسؤولون في فترة الاستقلال ، انشاء الجامعة التونسية ، وتشتمل هذه على كلية الآداب والعلوم الانسانية ، وكلية الحقوق ، ودار المعلمين العليا ، وكلية العلوم ، وكلية الشريعة ، وكان هذه الاخيرة استدراك لما وقعوا فيه من تصفية الكلية الزيتونية العتيقة ، وفي ذلك ارضاء للساخطين الحاقدين . وبرامج التعليم في هذه الكلية - عدا كلية الشريعة - مشابهة لبرامج التعليم الفرنسي العالي ، يشمل ذلك المواد التي تدرس ، وعدد السنوات وطريقة التدريس ، ونظام الشهادات Certificat ، ودبلوم الدراسات العليا ، والذين خبروا الدراسة في معاهد فرنسا يعرفون هذه المصطلحات وقيمتها .

اما اللغة في التعليم العالي فهي فرنسية بصورة عامة ، الا المواد العربية التي تدرس في كلية الآداب ودار المعلمين العليا ، فهي تبشر بالعربية ، كما يستعان بالفرنسية ان طرأت حاجة ، كأن يكون الامر مختصا بمصادر فرنسية ، أو مناقشة لرأي عالم من الاعاجم المستعربين . ولا تستغرب اذا قلت لك : ان النظم الاسلامية وهي مادة من المواد التي تدرس في قسم

الاجتماع ، تعطى بالفرنسية ، والذي يعطيها تونسي مسلم ، وحيثهم في ذلك ان هذا القسم يتبع جامعة باريس .

ولا بد من كلمة أخيرة منصفة ، وهي ان التونسيين وعلى رأسهم المسؤولين الرسميون ، شاعرون بخطر المشكلة الحاضرة ، فهم يولونها الدرس والعناية ، ولكنهم لا يستطيعون التعجل والاسراع ، والمشكلات كثيرة آخذة بالخطا ، وان تركة عهد الاستعمار ثقيلة مجعدة ، وان هذه الثمانين سنة من حكم استعماري غاشم ظالم ، كفيلة بخلق هذه الحال المؤسفة ، ومن خبر الاستعمار الفرنسي وطرقه اللعينة عرف الامر وحكم بانصاف للتونسيين ، ومن سار على الدرب وصل .

## رسالة في السمسة والسمان وأحكامه

لابي العباس الأبياني التونسي

المتوفى سنة ٣٥٢ هـ

مقدمة

### التعريف بالمؤلف

أبو العباس عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن اسحق المعروف بالأبياني كما جاء في « المدارك » للقاضي عياض كذا يقال بكسر الهمزة وتشديد الباء ، ويقال صوابه تخفيفها ، التميمي تفقه ببحي بن عمر وأحمد بن أبي سليمان وحمد بن يحيى بن عبدالعزيز وحساس بن مسروان وغيرهم ، وصلاحه لقمان بن يوسف وعبدالله بن عامر وذاكر أبا بكر بن اللباد يروي عنه الأصيلي وأبو الحسن اللواتي وعمرون بن محمد وعبدالله ابن أبي رزيق وسعيد بن ميمون وأبو القاسم بن زيد وأبو علي الصولي وعيسى ابن سعادة القاسمي وابن زيد ، رحمهم الله ، وغيرهم ، قال بعضهم كان أبو العباس عالم أفريقية غير مدافع ، قال بعضهم : كان من شيوخ أهل العلم وحافظ مذهب مالك قال ابن حارث : هو شيخ من أهل الصبيان والانباض حلما نبلا فصيحاً عالماً بما في كتبه حسن الضبط جيد الاستنباط .

كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رضي الله عنه إذا انزلت به نازلة مشككة كتب بها إليه يبينها له ، ولما وصل إلى مصر تلقاه نحو أربعين فقيها لم يكن فيهم أفقه منه ، وقال أبو اسحق بن شعبان : ما يزال بالمغرب عالم مادام بين أظهرهم ، وما عدا النيل ، منذ خمسين سنة أعلم منه ، وقال أبو حفص بن عمرو ، صحبت الحسن بن نصر وغيره وذكر من أحوالهم

وفضائلهم فما رايت بالمشرق ولا بالمغرب مثل أبي العباس يفضل المسائل  
 كتفضيل الجزار الحاذق اللحم وكان يحب المذاكرة العلم ويقول : دعونا من  
 السماع ألقوا علينا المسائل ، وربما دخل عليه أصحابه وهو ملثات فإذا  
 أخذوا في المذاكرة زال التباه وظهر نشاطه ، وكان يدرس كتاب ابن حبيب  
 وكا ابن اللباد إذا ذكره يضجر لكثرة ودقة فهمه فيسر به أبو العباس ،  
 وذكر اللواتي أنه قرأ على أبي العباس في الواضحة صدرا من كتاب البيوع  
 فقال له : بقي من الكتاب حديث كذا ومسئلة كذا ، وذكر أحاديث ومسائل  
 فنظرت فلم أر شيئا ثم تأمنا فإذا ورقتان قد انصقتا وتجاوزناهما  
 فإذا في الصفحتين كل ما ذكره فعجبنا من حفظه . وكان قليل الفتوى . ذكر  
 فضائله وأخباره رحمه الله : لما حجَّ في زمن كافور دخل الجامع بمصر  
 فوقعت عليه أعين ابن القرطي فقال هذه مشية فقيه وكان قد فاتته صلاة  
 العصر فأحرم . وابن القرطي ينظر اليه فقال أحرام فقيه ، فلما صلى كان  
 بجواره رجل من أهل العلم فتحدث معه ثم قال كيف رأيت مصر ؟ قال  
 رأيت ظلما ظاهرا ، وكان كافور قد حبس بغال الناس فرفعت رقعة بمقال  
 الى كافور وكان يجلس يوم السبت للمظالم ويجلس معه الفقهاء وفيهم ابن  
 شعبان فلما جلسوا اذا بالرقعة ، فقال كافور : من المتكلم بهذا ؟ وكان الخبر  
 قد وصل الى ابن شعبان وحرص على رؤيته ، فقال ابن شعبان هو أبو  
 العباس الأبياتي ما عدا النيل منذ خمسين سنة أعلم منه .

فقال كافور : تطلق بغال الناس ويبيعون في السوق ان شاؤا فما أردنا  
 اشترينا فكرة دعاء المغاربة لأبي العباس وعرف أبو العباس بمقال أبي اسحق  
 فركب اليه فلما رآه أبو اسحق وثب من مجلسه وأجلسه فيه ، ثم ذكره في  
 أشياء ، ثم قال له : انت اليوم ضيف فقال له أبو العباس : تعلم انه لاضيفه  
 على أهل الحضر ، فقال أبو اسحق ابن عبد الحكيم : عليهم الضيافة ثم قال



أبو اسحق في المذاكرة ؟ فقال له : ذلك اليك فقال له : أو ندع للصالح  
موضعا فقال له : ذلك اليك .

وقيل : ان أبا اسحق التقى عليه لما أكمل الصلاة في الجامع عشر مسائل  
فاجابه في تسع وأخطأ في العاشرة . وقال بعضهم : بل ما أجاب به كان  
الصواب والمسئلة المدير يقر بالجناية في حياة سيده ثم يموت سيده والجواب  
فيها أنه ينظر فان كان قد اختدعه سيده بمنل ما يخدمه المجني عليه فسي  
حياته فلا شيء على المدير ، وان كان اختدعه السيد بمنل تصفها بقي عليه  
نصف الجناية ، وعلى هذا الحساب قال عبدالله بن ابي زريق : تجب ان  
قلت قلت نعم ، قال : فلتكن نفسك عندك أهون من الزبل الذي على  
المزبلة . وكان اسماعيل . رضي الله عنه ، أشخص فيه ليوليه القضاء فعرضه  
عليه فامتنع فأوقفه اسماعيل اياما يقتفي أمره ، ويدس عليه من يسمع كلامه  
وادخله على نفسه فدخل عليه في زي بدوي خافيا ونعلاه في يده ، وكان  
قد سبق الى السلطان من قدم من أحواله فلما راه السلطان بتلك الهيئة  
صدق ما قاله القائل فعرض عليه فامتنع فعافاه ، وخرج من عنده عشاء متوجها  
الى تونس لحيته فخافة ان يبدو له في أمره فعافاه الله تعالى . وقيل ان الذي  
أراد ان يوليه القضاء معد ، وكان غداء أبي العباس نصف حجلة تترد له في  
نصف خبزة ، وكان متحفظا في طعامه كثير الحمية ورأي رؤيا تدل ان في  
طعامه شيئا ، فسأل عن الخبز فلم يجد شيئا . وقد سئل يوما عن فقيهين من  
أصحابه وتلاميذه ، وهما أبو القاسم بن زيد وسعيد بن سخون ، أيهما  
أفقه انما يفضل بين عالمين من كان أعلم منهما ، وكان رحمه الله يقرأ السبع  
كل يوم وما استكمل حفظ القرآن الا وهو ابن سبعين سنة ، قال بعضهم  
كنا عند أبي العباس حتى جاء عطية الجزري العابد فنظر يمينا وشمالا ، ثم  
انصرف وهو يقول : ما هنا من اصحابنا احد فصاح أبو العباس عليه ، فرجع  
ثم قال له : وما نحن من اصحابك والندفع في البكاء ويكرر قول عطية ويقول :

من اين تكون من اصحابك وانت تأتي القيروان وعليك تليس وطرابلس  
وعليك تليس ومصر وعليك تليس ونحن نتخذ للحاضرة ثيابا لا نلبسها  
للبادية وثيابا للبادية لا نلبسها للحاضرة ونزين وتطيب وبكي وعطية يقول  
يا سيدي لا تفعل فأنت امامنا في ديننا بك تقدي في أمورنا . وكانت له  
فراصة لا يكاد يخطئ . يذكر انه قال لابي الحسن وهو يطلب عليه : والله  
لتضربن اباط الابل من أقصى المغرب فكان كما قال . ودخل عليه عطية  
الجزري فرحب به ابو العباس فقال : أتيتك زائرا ومودعا الى مكة فقال  
أبو العباس لا تخلنا من بركة دعائك وبكي وليس مع عطية ركة ولا مزود  
فخرج مع أصحابه ، ثم اتاه بأثر ذلك رجل فقال له : أصلحك الله عندي  
خمسون مثقالا ، ولي بقل ، فهل ترى لي الخروج الى مكة ؟ فقال لا تعجل  
حتى توفر هذه الدنانير ، فعجبنا من ذلك واختلاف جوابه للرجلين مع  
اختلاف أحوالهما ، فقال عطية : جاءني مودعا غير مستشير وقد وثق بالله  
وجاءني هذا يستشير ويذكر ما عنده فعلمت ضعف نيته فأمرته بما رأيتم .  
فقال بعضهم مر عطية المتعبد يوما برجل يزمر فخرق زقه فأقبل الزامر  
يرميه رعطية يقول : اللهم تب عليه خرف ذلك الابياتي فقال ضرب عطية  
اللهم أوقع يمينه ، قال الحاكي فرأيت الزامر بعد ذلك الطواف فقلت له :  
انت صاحب عطية ؟ فقال بدعوته انتفعت فذكرت له دعوة أبي العباس فقال :  
ماله ومالي ، هلا دعا لي كما دعا عطية واخرج يده مقطوعة . وكتب أبو  
الفضل بن نصر التابرتي الى أبي العباس الاياتي شعرا له أوله :

وماذا تريك حوادث الازمان	وصروفها وطوارق الحدثنان
وأشد ما ألقى وأفضح للحشا	عدم الوفاء وجفوة الاخوان
هذا أبو العباس واحد عصره	وفتيه والفسات الاقران
أنفت به اخلاقه عن وصلنا	وسلامنا في السر والاعلان
اني أتيتك شاعرا ومخبراً	أشكو اليك حوادث الازمان

فكتب له أبو العباس الأبياتي رحمه الله تعالى :

دهرك يا أبا الفضل ذو انقلاب      يريك في العجب العجائب  
فكن جليس بيتك مستوحشا      من الناس والأهل حتى من الأبواب

وتوفي سنة اثنين وخمسين وثلاث مائة وقال المالكي سنة احدى وستين  
وهو ابن مائة سنة غير اربعة اشهر + وجاء في شجرة النور الزكية لمحمد  
مخلوف ص ٨٥ :

أبو العباس عبدالله بن أحمد الأبياتي التونسي الامام الفقيه العالم  
القائم على مذهب مالك الثقة العمدة الامين تفقه بيجي بن عمر وأحمد بن  
سليمان وحمديس ويحيى بن عبد العزيز وابن حارث واحد بن حزم وحماس  
وجماعة روى عنه الاصيلي وأبو الحسن الكواتي وسعيد بن ميمون والقاسي  
وابن أبي زيد وجماعته مات سنة ٣٥٢ هـ

ملاحظة : المدارك للمقاضي عياض مخطوط تونسي من مخطوطات  
جامع الزيتونة التي انتقلت الى الجامعة التونسية ولما تم فهرستها •  
أما الرسالة فهي في مادة السمسار وحقوقه وهي بخط تونسي عتيق  
ولا تحمل عنوانا وقد اثرنا تسميتها السمسار او السمسرة ، غير انه قد  
كتب عليها بخط يختلف عن خط الرسالة « مسائل السمسرة في البيع »  
مما سئل عنها الفقيه أبو العباس عبدالله بن أحمد بن ابراهيم الأبياتي  
التونسي •

وما أظن ان هذا العنوان هو العنوان الذي رسم به المؤلف رسالته  
وذلك أنني لا اظن ان « سمسار » جمعت في عصر المؤلف على سمسرة ،  
واغلب الظن ان الجمع على هذه الصيغة مما شاع في العصور المتأخرة •

#### الرسالة

سألت أبا العباس عبدالله بن أحمد بن ابراهيم الأبياتي رضي الله عنه  
عن السمسار يعطى الثوب لينادي عليه ، فيبلغ في حده ما بلغ فيقره عند التاجر

الذي أراد شراءه ليشاور صاحبه فيضيق الثوب عند التاجر . هل يلزم  
السمسار أم لا ؟ وهل يلزم التاجر أم لا ؟ أو رأيت ان أقره التاجر انه  
تلف عنده وقال لم يلزمني الآن شراء . أبيضن ؟ فقال لي : اذا أقر  
التاجر أنه قبض الثوب من السمسار وزعم أنه ضاع فالتاجر ضامن لقيمة  
الثوب وقد رأى فيه السمسار عيباً فباعه من هذا التاجر وكمه ، فبعد  
على الشراء ولم يأخذ على الامانة . وسألته عن السمسار يبيع من التاجر  
التاجر الثوب وقد رأى فيه السمسار عيباً فباعه من هذا التاجر وكمه ، فبعد  
ان قبض البائع الثمن ومضى وجد التاجر في الثوب عيباً واعترف السمسار  
أنه كتمه ذلك . فهل يجب على السمسار غرم ان يوجد صاحبه أم لا ؟  
فقال لي :

الذي يتبين لي انه يرجع عليه بقيمة العيب ولا يكون للمشتري ان  
يرد الثوب عليه وهو عندي بمنزلة الوالي يزوج وليته وهو يعلم العيب  
الذي بها مثل الاب في ابنته البكر والسيد في أمته ان يكون للزوج عليه  
جميع الصداق ان كان قد دخل بها اذا كان الوالي ممن يعرف العيب مثل  
الاب في ابنته والاخ في أخته .

وسألته عن السمسار اذا عرض الثوب على التاجر فبلغ ثمناً معلوماً  
ثم وقع بينه وبين صاحب الثوب كلام فحلف السمسار اني لا أبيع ،  
فأخذه منه صاحبه فمضى الى الذي كان عليه العطاء فباعه وقبض منه  
الثمن . هل يجب للسمسار حق أم لا ؟ ورأيت ان اخذ منه شيئاً هل  
يحق ام لا ؟ فقال لي : اذا باعه صاحبه وتركه السمسار فلاحق للسمسار  
في ذلك ، فان اخذ منه في ذلك شيئاً حنت وسألته عن رجل دفع الى  
السمسار ثوباً فباعه له بثمن معلوم وقبض الثمن وأعطاه حقه ثم مضى  
البائع واتى بثوب مثله فباعه من الذي اشترى منه الثوب الاول بمثل ذلك  
الثمن الاول وأراد السمسار ان يأخذ من هذا البيع حقاً وقال : أنا اخبرجت



له السوم الأول وقال رب الثوب : أنا بعت ثوبي هذا لآخر ولم تبعه  
انت . هل يجب للسمسار في هذا الثوب الثاني شيء أم لا ؟ فقال لي :  
لاشي للسمسار في هذا الثوب الثاني لان صاحبه هو ولي بيعه .

وسأله عن السمسار يقر الثوب عند التاجر بشمن معلوم يشاور  
صاحبه في البيع فيقول السمسار للتاجر : زن لي الدراهم ، وتحملها  
لصاحب الثوب فان باع دفعتها اليه . فزن له الدراهم فيمضي بها فيسقط  
من يده منها هل يضمن السمسار الذي قبضها ما سقط منها أم لا ؟

فقال لي : يضمن السمسار لانه لم يؤمر بالبيع فلا ينبغي النقد في  
الخيار . فقلت : رأييت ان لم يسأله السمسار في اخذ الدراهم ولكن  
التاجر ابتداء فقال له : خذ هذه الدراهم واحملها معك الى صاحب هذا  
الثوب ، فان باعه فادفع اليه وان لم يبع فرد الدراهم . فيقبضها منه  
السمسار على ذلك ويذهب يشاور صاحب الثوب فيسقط منه . هل يضمن  
السمسار ما سقط منها أم لا ؟ فقال لي : لا ضمان على السمسار ما هنا  
لانه أمين الذي أرسله الا ان يضع أو يفرض . فقلت له رأييت ان لم  
يقبض منه السمسار شيئاً ولكنه شاور صاحب الثوب في البيع فأمره بالبيع  
فأتى السمسار الى التاجر الذي كان عنده الثوب فقبض منه الثمن ومضى  
ليدفعه الى صاحبه الذي أمره بالبيع فسقط منه . هل يلزم السمسار  
ضمان ما سقط منه أم لا ؟ فقال لي : لا ضمان على السمسار لانه أمين  
البائع ووكيل له على البيع والقبض . وسأله عن السمسار اذا أقر الثوب  
عند التاجر بأمر رب الثوب وضاع الثوب عند التاجر . هل السمسار  
شيء ؟ فقال لي : لا ضمان على السمسار لانه أقره بأمره بغير أمره ضمن .

وسأله عن السمسار اذا دفع اليه الرجل الثوب ليتادي عليه وليشاوره  
فأقره عند التاجر ليشاور صاحبه ، فقال التاجر : مالك عندي ثوب ولا  
تركت عندي شيئاً ولم يكن للسمسار عليه بينه . هل يضمن السمسار

قيمة الثوب أم لا ؟ فقال لي يضمن السمسار لانه غرر اذ لم يشهد عليه \*  
وسأله عن السمسار يقر الثوب عند التاجر لبشاور صاحبه فينسى  
السمسار عند من أقره فيسأل صاحب الحوانيت واحدا واحدا فلا يجده \*  
هل يضمن السمسار ؟ فقال لي : نعم يضمن \*

وسأله عن الرجل يأمره السمسار ان يطلب له ثوباً ليشتريه ويقعد  
عند صاحب حانوت فيأتيه السمسار بالمتاع ويخرج صاحب الحانوت متاعاً  
من عنده فيريه المشتري فلا يشتري من الذي جاء به السمسار شيئاً ،  
ويهوى الثوب الذي لصاحب الحانوت ليشتريه فيطلب السمسار من  
المشتري حقه ويقول : أمرتني ان اطلب لك وقد رايتك وطلبت لك ،  
ويقول المشتري : لم تشتري شيئاً مما جئت به وانما اشتريت من صاحب  
الحانوت \* هل يجب ، للسمسار شيء ؟ فقال لي : لا يجب عليه لانه لم  
يشتري مما جلب له شيئاً \* فقلت له : قال بعض أصحابنا يجب له جعل  
لانه انما اقتدى بما أراد السمسار فله جعله \* فأكره من القول ولم  
يعجبه \*

وسأله عن الرجل اذا قلب الثوب في يد السمسار وقد بلغ في يد  
السمسار ثمناً معلوماً فزاده التاجر على من اعطى غيره بعد تقليبه اياه  
فمضى عنه السمسار والثوب في يد السمسار يطلب فيه الزيادة فلم يزد  
احد شيئاً فردده الى التاجر الذي وقف عليه العطاء وطلب بعه منه بعد  
مشاورة صاحب الثوب ، فقال له التاجر : لا ارضى بهذا الثمن ، ولم  
يجد فيه شيئاً هل يلزم التاجر شيء أم لا ؟ أو رأيت ان طلب السمسار  
ان يقره عند هذا التاجر لبشاور صاحبه فقال فقال التاجر لا أرضاه بهذا  
الثمن \* هل يلزم الشراء ان رضي صاحب الثوب بالبيع أم لا ؟ فقال :  
بلى يلزمه ما اعطى فيه رسالته عن التاجر يأتيه السمسار بالثوب وقد بلغ  
في يده ثمناً معلوماً ، فيقول له التاجر على زيادة كذا وكذا بالخيار ان

شئت اخذته بهذا الثمن وان شئت تركته فيمضي به السمسار فلا يجد زيادة فيرده اليه فيقول التاجر أما الآن فلا أسصحه الا بكذا أو كذا بأقل مما أعطاه أولاً • هل يجوز ذلك ولا يلزمه الشراء أم لا ؟ فقال لي : ذلك له أي يلزمه لأنه قد جعل لنفسه الخيار فيه •

وسألته عن التاجر يأتيه السمسار بالتوب ليقره عنده أو ليبيعه منه بثمان معلوم قد بلغ في يده فيقول له التاجر لا أرضاه ، فيقول له السمسار : ان العطاء انما وقف اخرا عليك • فيقول : لا ، وما كان العطاء اخرا الا غيري • ولم يكن في هذا التوب شرط خيار ولا بينة بحضرة العطاء • فهل يلزم هذا التاجر يمين أم لا ؟ أو رأيت ان كانت بينة تشهد ان العطاء اخر عليه لزمه الشراء ، وان لم يكن بينة فعليه اليمين • فقلت له : فان لم يكن شهد عليه بذلك الا رجل واحد ، وكان عدلا • هل يحلف السمسار مع هذا الشاهد أم انما يحلف صاحب التوب ؟ فقال لي : اليمين على السمسار مع الشاهد اذا لم تثبت وكالته على البيع بينة وقال لي : هو قول ابن كنانة • وقال لي : وأما اذا ثبتت وكالته على البيع بينة حلف الامر مع الشاهد واستحق •

وسألته عن السمسار ينادي على التوب فيبلغ في يده ثماناً معلوماً على احد التجار فيقره عند الذي وقف عليه الطعاء ليشاور صاحبه فيقول له التاجر لا نقره عندي فان عطائي هذا انما كان على غير نية ولم نرد شراؤه اذا زدتك فيه ولم يكن شرط خيار • هل يلزمه الشراء أم لا ؟ فقال لي : يلزمه الشراء لان بيع المئادي كله لازم على من أعطاه اخرا •

وسألته عن السمسار اذا أقر التوب عند التاجر ليشاور صاحبه ولم يذكر التاجر خياراً فباع صاحب التوب ، فأناه السمسار ليقبض منه الثمن • فقال له تقليباً اخر بنية وتقليب من يريد الشراء • هل يلزمه الشراء ولا يلتفت الى قوله أم لا ؟ فقال لي : يلزمه الشراء •

وسأله عن السمسار اذا أقر الثوب عند التاجر لبشاور صاحبه ولم يذكر شرط خيار ، فباع صاحب الثوب فأناه السمسار ليقبض الثمن ، فقال له التاجر لا نهواه ، ولكن خذ الثوب ففعل غيري يشتره منك بهذا العطاء الذي كان علي ، والسمسار يعلم انه اذا أخرجه من عنده أنه لا يأخذه أحد منه بذلك العطاء الا بأقل . فهل يجوز للسمسار ان يخرج به من عنده ويساعده في ذلك أم لا ؟ فقال لي : لا يخرج به من عنده لانه وجب عليه ان تباع المزايدة لازم لصاحب العطاء الاخر . فقلت له : فان أعلم السمسار بذلك صاحب الثوب فقال له صاحب الثوب اخبره من عنده . فهل يبرأ السمسار في ذلك من الائم ولا يكون عليه في ذلك شيء . أم لا ؟ فقال لي : يبرأ من الائم فقلت له : فان أخرجه السمسار ولم يأمره بأمره بذلك صاحب الثوب وكان ذلك قبل ان يبيع صاحبه أو بعد ما باع فانكسر في يده . وهل يلزم ذلك الحطاط السمسار أم لا ؟ فقال لي : يلزمه الحطاط . فقلت له : فان قال صاحب الثوب للتاجر اني لم أمره أن يخرج به من عنده . هل يلزم الشراء التاجر أم لا ؟ فقال لي : يلزمه الشراء . فقلت : فان ادعى التاجر ان صاحب الثوب هو الذي أمره بأخبره وانكر ذلك صاحب الثوب والسمسار هل يجب اليمين على صاحب الثوب أم على السمسار ؟ فقال تجب اليمين على صاحب الثوب .

وسأله عن هؤلاء التجار اذا كانوا يكسرون بعد ان يعطوا العطاء ويقف العطاء عليهم وصار شراؤهم كلهم على هذا الحال يكسرون الثوب بعد ان يقر عليهم وقبل ان يقر عليهم . هل يجوز لهذا السمسار ان يبيع منهم وهم لا يرجعون عن ذلك وهو لا يستطيع ان يبيع منهم الا على هذه الحال ، فهل يسهه ان يبيع منهم ولا يكون في ذلك اثم أم ينبغي له ان يعلم أصحاب المتاع بفعل هؤلاء التجار لينجو من الائم ؟ على رب الثوب ان يحاكم في أخذ ماله الا ان ينكر التاجر رب الثوب ويقول لا أعرفك ،



فتكون الخصومة حيثئذ مع التاجر والسمسار . فقلت له : فان أعلم هذا السمسار أصحاب المتاع بكسرهم وأنهم لا يصحون عطا الا عند الوزن فتركوه يبيع لهم بعد علمهم بذلك ، هل يبرأ في ذلك من الاتم أم لا ؟ فقال لي : يبرأ من الاتم . فقلت له : فان كان أصحاب المتاع يعلمون فعل هؤلاء التجار وأنهم يكسرون ولا يصحون عطاء يعطى له هل يصح لهذا السمسار السكوت عن ان يعلمهم هذا ويكون في ذلك بمنزلة من أقره علمهم بذلك أم لا ؟ فقال لي : يسعه السكوت اذا كانوا قد علموا بذلك وعرفوه .

وسأله عن التاجر يأتيه بالتوب وفي يده عطاء معلوم فيزيده على ذلك ثم يمضي عنه بالتوب فيزيده غيره ، ثم يرجع السمسار الى هذا التاجر الذي كان عليه العطاء فيطلب بيعه ، فيقول له التاجر الذي كان عليه العطاء أولاً : اما اذا زادوا بعدي فأنا الان بالخيار ، ان شئت تركته وان شئت أخذته . فهل يكون له الخيار ولا يلزمه الشراء ؟ فقال لي : لا يلزمه الشراء اذا زاد غيره . وسأله عن السمسار يقر التوب على التاجر بثمان معلوم ويشاور صاحبه فيأمره صاحبه بالبيع وصاحب التوب لم يعرف التاجر الذي باع منه ولا يدري من هو ، فيمضي السمسار ليقبض الثمن فيقول له تاجر آخر : التوب الذي كان في يدك علي فيه زيادة . فيقول له السمسار : ان صاحبه قد باعه من غيرك . وكان هذا بعد الاستقصاء ، فيقول صاحب التوب : اني بعت من رجل لا أدري من هو . فهل ترى هذا بيعاً ثابتاً قد وجب التوب للذي عنده ولا تقبل زيادة هذا ؟ فقال لي : يلزمه البيع للذي شاور عليه فباع منه به ولا يكون لمن زاد بعد ذلك في ثمن التوب من الشراء شيء .

فقلت له : أرايته ان اتى السمسار بالتوب في يده وقال لصاحبه : هذا ثوبك اعطني فيه من الثمن كذا وكذا ، فقال له صاحبه : بع .

واقبض الثمن •

فقال تاجر آخر : علي فيه زيادة كذا وكذا • هل يكون الجواب في هذه مثل الجواب في التي قبلها أم لا ؟ فقال لي : الجواب في ذلك واحد ولا يبالي أتى به في يده أو تركه عند التاجر •

وسأله عن السمسار ينادي على الثوب فيبلغ ثمناً معلوماً فيشاور صاحبه والثوب في يد السمسار أو قد أقره فيقول له صاحب الثوب : اعمل برأيتك ، فيمضي السمسار ليقبض الثمن وقد نوى السمسار البيع من التاجر لأنه قد بذل الجهود واستقصى • فيقول له تاجر آخر علي في الثوب زيادة كذا وكذا • فهل ترى هذا بيعاً وقد وجب للذي نوى السمسار منه البيع ولا يقبل زياده هذا أم لا ؟ فقال لي : يعمل برأيه في ذلك ويقبل الزيادة إن شاء الله ولا يلزم البيع بالنية •

وسأله عن السمسار ينادي على الثوب فيبلغ ثمناً معلوماً على رجل من التجار ثم يطلب السمسار الزيادة فلا يجد أحداً يزيده شيئاً فيقول له تاجر آخر : أنا اخذه منك بهذا الثمن الذي ذكرت أنك أعطيته • ويطلب آخر بذلك الثمن أيضاً ، ويطلب منهم الزيادة فلا يجد أحداً يزيده ممن أحب إذا لم يجد زيادة • فقال لي : الأول أولى بالثوب وهو قول عيسى ابن دينار ، وأما ابن القاسم فإنه يقول : يبيع ممن أراد ويفضل به من أراد إذا كان العطاء أحداً ، فقلت له : يبيع أرايت إذا بلغ الثوب ثمناً معلوماً على رجل من التجار وطلب بذلك الثمن واحداً من امتجار واثنان وثلاثة ولم يزدوا شيئاً على ما بلغ من الثمن وأراد صاحب الثوب أن يبيعه ممن أحب ويفضل به من أراد • هل يجوز له ذلك أم لا ؟ فقال لي : الأول أولى بالثوب من أن يعطيه صاحبه لمن أحب في قول عيسى بن دينار وأما ابن القاسم يفضل به صاحبه من أراد •

وسأله عن السمسار إذا لم يجد في الثوب زيادة وخاف أن باعه

من الذي عليه العطاء أولا أن يكسر أو يسيء معاملته في الوزن • هل ترى جائزا أن يبيعه من غيره بالعطاء الذي أعطى فيه إذا لم يجد فيه زيادة إذا كان يحسن معاملته وإن لم يكن العطاء عليه ؟ فقال لي : الأول أولى به ، فإن لم يتم الشراء فله أن يقدمه إلى القاضي إلا أن يكون قد علم بسوء معاملته ويعلم أنه لا يبايعه في ذلك ، فلا بأس أن يبيع ممن يوفيه ولا يكسر عليه •

وسأله عن السمسار يبيع الثوب بعد الاستقصاء وبذل المجهود من قبل أن يشاور صاحبه ، هل يجوز بيعه أم لا ؟ وهل يكون لصاحب الثوب أن يرد البيع أم لا ؟ فقال لي : وقد لا يجوز البيع إلا بأذن صاحبه إلا أن يكون صاحبه فوض إليه ذلك • وقال لي : وقد قال سحنون لا يجوز أن يصحح على سلمة ما يأخذ عليها جملا إلا أن يجعل له البيع • فقلت له : أرايت أن كان هذا الثوب الذي باعه السمسار وإنما أرسل إليه هذا السمسار فاستقصى له وشاور الذي أرسل معه بالثوب ثم زيد فيه بعد أن أمر بالبيع • هل تقبل الزيادة ويرد البيع أم البيع ماضى ثابت ولا تقبل فيه الزيادة ؟ فقال لي : أن كان اني أرسل الثوب إلى السمسار وأمره بالبيع فالبيع ماضى ولا تقبل زيادة •

وسأله عن التاجر يأتيه السمسار يطلب منه الثوب ليشتريه منه لمن يطلب شراءه ، فيعطيه التاجر الثوب ويقول له : هذا شراؤه عشرة دراهم ، فيريه السمسار للمشتري فيهواه ويقول له : اعطه فيه ابيع درهم • فيرضى البائع بالبيع ويدفع إليه جميع الثمن ويقبض المشتري الثوب ويمضي به فبعد ذلك يقول التاجر للسمسار : اني غلطت في شراء الثوب وحسبت أن شراؤه علي عشرة وإنما شراؤه عشرين درهما • فما الذي يجب في ذلك ؟ وكيف أن كان الثوب قد فات بوجه من وجوه الفوت أو قال المشتري للتاجر : لم تغلط ؟ وإنما هذا منك قدم في البيع ، وكيف أن

ذهب المشتري ولم يوجد ، هل يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي :  
لا يقبل قول التاجر الا ان يأتي بينة ويكون الثوب قائما فيقال للمشتري :  
اما ان تقبله بهذا الثمن الذي شهدت به البينة أو فأردده . فان لم توجد  
بينة وقال التاجر لا يشبه ان يكون ثمنه ما قال البائع لم يقبل قوله ومضى  
البيع وجاز . وان قالوا انما يشبه ثلاثة عشر درهما فهذا قريب مما قال  
البائع ويكون القول قول البائع مع يمينه ، فان كان الثوب قائما قيل للمشتري  
اما ان تأخذه بما قال البائع على الربح الذي رضى به أولا والا فأردده ، وان  
كان الثوب قد فات فعلى المشتري قيمته يوم فوته ، واما السمسار فلا  
عهدة عليه ولا طلب . فقلت له : أرايت ان كان السمسار هو الذي غلط  
في الشراء ولم يغلط التاجر ، وقد كان أخبره التاجر ان شراء أربعة عشر  
درهما وعلم ذلك بينة أو باقرار من السمسار ولم يقبض منه الثمن حتى  
فات الثوب . هل يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : السمسار  
ضامن عندي .

وسأله عن السمسار اذا باع الثوب من التاجر ثم اعترف ان الثوب  
سرقة وأتى صاحبه بينة تشهد ان الثوب ثوبه ما يعلمونه باع ولا وهب ،  
وحلف صاحبه واستحق الثوب . هل يدفع الثوب الى هذا المستحق تلك  
الساعة ؟ فقال لي : نعم يدفع اليه الثوب ولا عهدة على السمسار . فقلت  
له : أرايت ان كان البائع يعرفه السمسار ، هل يلزم السمسار ان يمضي  
اليه فيعلمه بذلك أم لا ؟ أورايت ان كان البائع الذي قبض الثمن ببلد  
بعيد وكان السمسار يعرفه ، هل يلزمه المصير اليه أم لا ؟ أو رأيت ان  
كان السمسار لا يعرفه وقال انما جاءني رجل بثوب فبعته له وقبض الثمن  
ولا نعرفه . هل يجب عليه شيء أم لا ؟ فقال لي : ليس عليه في هذا  
كله شيء وهو كما قال السمسار اذا كان معروفا بالسمسرة .

فقلت له : فان كان التاجر والسمسار يعرفان جميعا البائع ، هل



يسقط عن السمسار العناية في ذلك ولا يكلف المضي اليه اذا كان التاجر يعرفه أم لا ؟ فقال لي : ليس عليه عناية ولا عهدة ولا طلب ، عرفه أو لم يعرفه . فقلت له : فهل يكون جميع ما يبيع من الحيوان والعروض اذا اعترف بشيء منه كثر ثمنه أو قل سبيله في ذلك سبيل ما فسرت لي في مسألة الثوب اذا اعترف أم لا ؟ فقال لي هو كله واحد ، الا ان الحيوان اذا قضى به الحاكم و اراد المحكوم عليه ان يطلب من باع منه ان يضع قيمته ويأخذ الشخص يطلب به من باع منه .

وسأله عن السمسار اذا أعطى الثوب لينادي عليه فسمى له صاحبه ثمناً ان يبلغه باعه وان يبلغه لم يبعه ، أو أعطاه الثوب ولم يسم له ثمناً ، وكان هذا من باب الجعل فأخذه السمسار فنادى عليه ولم يذكر له صاحب الثوب ما يعطيه من الجعل ، ولم يذكر السمسار أيضاً لصاحب الثوب ما يأخذ منه الجعل ، وكان هذا السمسار هكذا سته مع أصحاب المتاع يبيع لهم المتاع فلا يسمي لهم ما يأخذ منهم ولا يسمون له ايضاً ما يعطونه ، فاذا باع وقبض الثمن اعطوه جعله . وهل ترى هذا جائزاً وكان ذلك ويطيب أم لا ؟ يجوز حتى يسمى الجعل الذي يأخذ كم هو ، وهل له منعه في ترك التسمية اذا رضي أن يأخذ ما يعطونه أم لا ؟ فقال لي : ان سموا الجعل والاجازة فهو جائز وان لم يسموا وباع فله أجر مثله الا ان تكون لهم سنة قد جروا عليها في المجاعلة وقد علم بذلك صاحب الثوب والسمسار فلا بأس به . وقال لي : اما الاجازة فلا تجوز الا بتسمية معلومة واجل معلوم .

وسأله عن السمسار يعطي الثوب لينادي في يده ثمناً معلوماً فيقره عنه التاجر الذي يطلب شراءه ليشاور صاحبه فيصبح الثوب عند التاجر . هل يلزم السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : اما السمسار فأنسه معتد في ترك الثوب عند التاجر اذ تركه عنده بغير أمر رب الثوب ،

وقال : ولرب الثوب ان يضمن أيهما شاء \* وقال لي : وان اقره عند  
التاجر بامر رب الثوب فلا شيء على السمسار \*

وسأله عن السمسار اذا قبض الثوب لينادي عليه فضاع منه قبل  
ان ينادي عليه \* هل يلزمه شيء \* ام لا ؟ فقال لي : لا شيء عليه الا  
ان يفرط فيضمن \*

وسأله عن السمسار اذا باع الثوب من التاجر فوجد به التاجر  
عيوباً لم يكن رآها وقد قبض البائع الثمن واخذ السمسار حقه فرجع  
الثوب الى البائع ورجعت الدراهم الى المشتري فطلب صاحب الثوب ان  
يأخذ من السمسار ما عطاءه من حقه ، وقال له : اذا لم يتم البيع ورجع  
الي الثوب ، فان يرجع ما أعطيتك \* هل يكون له ذلك ام لا ؟ أو رايت  
ان كان السمسار لم يقبض منه حقه متى رجع الثوب الى بائعه ، وطلب  
السمسار حقه ، هل يجب له ذلك أم لا ؟ فقال لي : له أن يرجع عليه بما  
اعطاه وليس للسمسار ان يطالبه فقلت له :

قل بعض اصحابنا : هذا اذا كان البائع لم يدلس بالعيب ، واما اذا  
دلس بالعيب فالجعل ثابت للسمسار \* فانكره من القول ولم يجبه \*

وسأله عن الرجل يعطي الثوب السمسار ينادي فيبلغ في يده  
ثمناً معلوماً فلا يبيعه صاحبه ويأخذه منه ويعطيه لغيره فيبيعه بالثمن الذي  
بلغ في يد السمسار الاول أو بأكثر منه أو أقل أو يبيعه صاحبه من غير أن  
يعطيه السمسار الآخر بأكثر من الثمن الاول أو من غيره \* هل يجب  
للسمسار الاول في ذلك شيء أم لا ؟ فقال لي :: ان كان الثوب قد وقف  
على ثمن معلوم بيد هذا السمسار فآخذه رب الثوب من السمسار وأبى  
ان يبيع ومضى صاحب الثوب الى من اراد ان يشتريه من السمسار فباعه  
منه ، فهذا انما اراد ابطال السمسار وقد وجب له حقه \* وان كان انما  
أخذه منه رجاء ان يلتمس الزيادة فيه فأعطاه الى غيره فباعه بأكثر أو

بأقل أو بمثل الثمن فالجعل للاخر وليس للاول شيء \* .

وسأله عن السمسار اذا طلب ثوباً من التجار لمن يشتريه فصاع الثوب قبل أن يشتريه المشتري \* هل يلزم السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : ان علم البائع انما يطلبه لغيره وعلم انه يبيع للناس ويشتري فلامتحان عليه \* قلت له : فان أخذه الثوب عنده \* هل يلزم هذا المشتري أم لا ؟ فقال لي : السمسار ضامن لتعديده بدفعه الثوب الى المشتري بغير أمر صاحب الثوب ، والمشتري أيضاً ضامن للثوب لانه لم يأخذه على الامانة وانما اخذه على الاشتراء ، فصاحب الثوب يضمن ايهما شاء \* فقال لي : ان كان صاحب الثوب قد اعلمه السمسار ان المشتري يضي به فيستشير فيه فيضيع \* هل عليه غرم أم لا ؟ فقال لي : غرمة عليه وضمانه منه الا أن تقوم له بينة انه ضاع منه من غير تضييع ولا تفريط \* .

وسأله عن السمسار يجيئه من يطلب ليشترى فيقول له : اطلب لي ثوباً كذا وكذا واقرن لي المتاع من الحوائت ، ولا يسمى له ما يعطيه من حقولا يسمى له ايضا السمسار ما يأخذ \* هل الجواب في هذه مثل الجواب في المسألة الاولى في البيع أم لا ؟ فقال لي : الجواب سواء له أجر مثله : ارايت اذا اخذ السمسار من هذا المشتري حقه فيما قد اشتراه له \* هل يجوز له ان يأخذ من البائع شيئاً أم لا ؟ وكيف ان تطوع البائع بذلك من غير أن يسأله السمسار شيئاً ، هل يجوز ذلك أم لا ؟ فقال لي : ان تطوع به البائع فهو جائز وانما حقه من أمره ان يشتري له \* فقلت له : قال بعض اصحابنا ان اعطاء البائع شيئاً فهو للمشتري الا ان يجعله المشتري من ذلك في حل \* فقال لي : انما معناه اذا كان ذلك بشرط ، فان لم يكن بشرط فلا بأس به ، واما ان كان بشرط فما أعطاه البائع من شيء فهو للمشتري \* فقلت له : فان اعلم السمسار المشتري بذلك فرضي بذلك بعد ان أعطاه حقه أو قبل ان يعطيه ، هل يجوز ذلك أم لا ؟ وهل

يسمى المشتري ما يعطيه البائع أم لا ؟ فقال لي : هو وكيل المشتري وعليه حقه ، فإن تطوع له البائع بشيء فهو جائز . فقلت له : قال بعض أصحابنا معناه ان المشتري قد علم ما يأخذ السمسار من البائع ، فأما اذا لم يعلم فالذي يأخذ من البائع مردود على المشتري لانه حق من حقه . فقال لي : انما ذلك اذا كان بشرط . وقال لي : انما هو بمنزلة الجباء الذي اشترطه ولي المرأة في عقدة النكاح فهو للمرأة ، وان كان بعد عقد النكاح فهو الولي ، فرأيت ابا العباس يذهب الى انه كان بغير شرط فهو حلال للسمسار الحكم به المشتري او لم يعلمه لانه شيء تطوع به البائع .

وسأله عن السمسار ينادي على الثوب وليستقصي به ويبذل فيه المجهود فلا يجد فيه زيادة فيريد ان يشتريه لنفسه . هل ترى ذلك جائزا اذا كان علم وجه الصحة أم لا ؟ فقال لي : لا ينبغي ان يشتريه الا ان يعلم بذلك بائنه انه يأخذه لنفسه .

وسأله عن السمسار يكون له الثوب فيريد بيعه . هل يبيعه ويتولى هذا عليه كما يبيع ثوب غيره أم لا ؟ : فقال لي ان كان الرجل صاحب الثوب صحيحاً وكان يعلم ان الذي يعطيه لا يخشى عليه فلا بأس ان ينادي عليه وهو بمنزلة الرجل يأتي بسلعته الى البيع فيقال له : أعطيت لسلعتك هذه ؟ فيقول : كذا وكذا ، أبلغني له أن يخبرهم بذلك انه له لانه لو استحق بطالب له أعلم بائنه .

وسأله عن السمسار يطلب المتاع من عند التجار ليصرفه على المشتري الذي أمره بالطلب فأخذ السمسار من هذا التاجر ثوباً ومن هذا التاجر ثوباً ، فيجمع اثواباً كثيرة فيريها المشتري ليختار منها ما اراد فيهبى المشتري منها ثوباً أو لا يهبى منها شيئاً ، فيرد السمسار المتاع على أصحاب الحوائث الذي عرضوا عليه ، فيقول رجل منهم : هذا الثوب الذي رددته تلي ليس هو ثوبي ، ولا هذا الذي عرضت عليك ، ويقول السمسار :



بل هو ثوبك . القول قول من ؟ فقال لي : في ذلك القول قول السمسار  
 مع يمينه لان البائع هاهنا مدع يطلب ان يضمن السمسار فلا يقبل قوله  
 الا بيينة تكون عند البائع ، وان حلف السمسار أنه ثوبه لم يكن عليه  
 شيء . فقلت له : فاذا قال السمسار ما أدري أهذا ثوبك أم لا ؟ وقد اختلط  
 مع غيره في وقت قلبه المشتري فرجع السمسار الى أصحاب الحوانيت  
 الذين رد عليهم فيقولون هذا الذي رددت علينا هو متاعنا وما لاحد عندنا  
 شيء ، فيتعلق التاجر الذي انكر الثوب بالسمسار فيقول له : اغرم لي  
 قيمة ذلك الثوب هذا فاعمل انت ما شئت . فما الذي يجب في ذلك وهل  
 يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : نعم يضمن السمسار قيمة ذلك  
 الثوب الذي ذكر البائع بعد يمين البائع بالله ان ما هذا ثوبه الذي عرض  
 عليه وانما ضمن السمسار لشطه وغلطه اذ لم يحتفظ في ذلك بغلطه على  
 نفسه . فقلت له : فان قال التاجر : ليس هذا الثوب الذي رددت علي  
 ثوبي وانما ثوبي الذي آخذه المشتري ، وكان المشتري قد اخذ من تلك  
 الثياب ثوباً . وقل رجل آخر من التجار : الثوب الذي بيد المشتري هو  
 ثوبي وليس هذا لي . فداعيا جميعا في الثوب بيد المشتري وانكروا جميعا  
 هذا الثوب الذي بقى . فما الحكم في ذلك ؟ وكيف ان كان السمسار لا  
 يعرف هذا الثوب الذي بيد المشتري لمن هو فهما ، أو شهد السمسار انه  
 لواحد منهما . هل يجوز شهادته في ذلك ان كان عدلا ام لا ؟ وكيف  
 الحكم في ذلك كله . فقال لي : أما السمسار فلا تجوز شهادته هنا ان  
 كان شهد ان الثوب لاحدهما ، ويقسم هذا الثوب الذي بيد المشتري  
 بينهما جميعا أيمانهما ثم ينظر الثوب الذي بقى فيضمن السمسار قيمته  
 لهما جميعا يقتسمانه بعد ايمانهما ويكون الثوب للسمسار ، وانما ضمنا  
 السمسار لغلطه . ومعنى قوله بعد ايمانهما في الثوب الباقي ان يحلفا ما هو  
 لهما على معنى قوله الاول ان يحلف بالله ما هذا ثوبه .

وسأله عن السمسار يطلب الثوب من البائع فيعرضه عليه ويعلمه  
بشئنه ثم يرده اليه فيزعم البائع أنه لم يرجع اليه ، ويقول السمسار قد  
رددته اليك ، فيقول : ما رددت الي شيئا . هل يلزم السمسار الغرم أم  
لا ؟ فقال لي : لا شيء على السمسار ولا يلزمه غرم ، ذلك لان السمسار  
أمين البائع اولا ، وتري لو انه قبضه ثم ضاع منه من غير تفريط لم يلزمه ،  
وهذا اذا علم البائع ان السمسار انما يطلبه لغيره فقد صار أمينا له ، وان  
كان السمسار انما يشتريه لنفسه فلا يقبل قوله أنني رددته اليك وتلزمه  
قيمه يوم أخذه .

وسأله عن التاجر يأتيه الرجل يشتري منه فيعرض عليه ثوبين  
وثلاثة ليختار منها ما أراد فيختار منها ثوبا فيساومه عليه فيبيعه منه . فيعمد  
المشتري الى ثوب منها فيقطعه فيقول البائع : هذا الثوب الذي قطعت أيها  
المشتري ، ليس هذا الثوب الذي بعث منك وانما بعث منك غيره وقد  
تعديت على ثوبي هذا وأفسدته علي فاغرم لي القيمة . وقال المشتري :  
بل هذا الذي قطعت هو الذي اشتريت منك فما تعديت لك بشيء ولا  
بينه بينهما .

وهل تجوز شهادة السمسار في ذلك ان شهد لاحدهما ؟ وما الحكم  
في ذلك ؟ فقال لي : قول المشتري مع يمينه ولا يلتفت الى قول البائع  
الا أن تكون له بينة على من يدعيه ، وأما السمسار فلا تجوز شهادته عندي  
في هذا .

وسأله عن السماسرة يشتركون في البيع ، يبيع هذا وحده متاعا على  
حدة ويبيع هذا الاخر أيضا متاعا اخر على حدة يقسمون ما أصابوا . هل  
تري هذا جائزا أم لا ؟ فقال لي : هذا جائز .

وسأله عن السمسار يعطي السلعة لبيعهها فان باعها فله درهم  
واذ لم يبعها فله نصف درهم . هل تري ذلك جائزا أم لا ؟ فقال لي :

ذلك جائز اذا ضرب أجلا • واخبرني أبو العباس أنه كتب اليه بهذه  
المسألة من القيروان يسأله عن المنادي يطوف يقول بعث ثوباً من هذا  
فإنكر المشتري ولا بينة للطواف • فقال أبو العباس : يضمن الا ان يقيم  
بينة • فقلت له : قال بعض اصحابنا : الذي يتبين لي ان الطوافين عند  
تعارف الناس انهم يبيعون ولا يشهدون وان ارباب المتاع كأنهم أذنوا لهم  
في ان لا يشهدوا وشرطوا ذلك لهم ، والمتعارف كالمشترط في مذهبنا في  
غير شيء من الاكرية فهو كقولهم والامر يقول للموكيل ادفع لفلان ولا  
تشهد فلا شيء عليه • فأنكر أبو العباس هذا القول ولم يعجبه ، وقال :  
هو منا من الا ان يقيم بينة • وكأنني رايت ابا العباس انما ضمنه لانه رآه  
من معنى التفرير اذا باع منه ولم يشهد عليه وكأنه غرر بمال الرجل اذ  
لم يشهد •

وسمعت ابا العباس يقول في الرجل يدفع ثوبه الى المنادي فينادي  
عليه ثم يبد له في البيع فيرده ثم يطلب بعد ذلك بيمه فيعطيه المنادي اخر  
فيبيعه بمثل عطاء الاول انه لم يرد بذلك احرام المنادي الاول فالحق لمن  
باع ، ولو باع المنادي أو رب التوب ثوبه بزيادة مثل درهم فلاحق للمنادي  
الاول لانه زوج سوقة وبالله التوفيق لا رب غيره ولا معبود سواه وصلى  
الله على محمد وآله وسلم كمل والحمد لله على كل حال والصلاة والسلام  
على نبينا محمد وعلى آله وسلم

من كتاب المسائل والاجوبة  
لعبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي  
المتوفي سنة ٥٢١ للهجرة

ابن السيد البطليوسي<sup>(١)</sup>

هو عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي الاندلسي . كان عالما بالادب متبحرا باللغة . سكن مدينة بلنسية من مدن الاندلس . وكان الناس يجتمعون اليه ، ويقرؤون عليه ، ويقتبسون منه . وكان حسن التعليم ثقة . ألف النصايف العديدة . وتوفي في مدينة بلنسية سنة ٥٢١ للهجرة .

(١) كتاب المثلث ( وهو كتاب ضخيم اتى فيه بالعجيب فقد زاد كثيرا على ما جاء به قطرب النحوي ) .

(٢) الاقضياب في شرح أدب الكتاب ( وهو شرح ادب الكتاب لابن الدينوري . ذكر فيه : ان غرضه تفسير الخطبة ، وذكر اصناف الكنية ومراتبهم وما يحتاجون اليه في صناعاتهم ، ثم الكلام على نكته والتنبه على غلطه ، وقد طبع في بيروت سنة ١٩٠١م بعناية عبدالله البستاني ) .

(٣) الانصاف في التنبه على الاسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ( وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٩هـ ) .

(٤) شرح سقط الزند لابي العلاء المعري .

---

(١) انظر : بغية الملتبس ٢٢٤ ، الصلة ٢٨٧ ، فلانند العقيان ١٩٣

٢٨٢/٢ ( القاهرة ١٩٤٨ ) .



(٥) كتاب في الحروف الخمسة وهي السين والصاد والضاد والطاء والدال .

(٦) كتاب الحلل في شرح ابيات « الجمل » .

(٧) كتاب شرح الموطأ .

وقال ابن خلكان : « وسمعت ان له شرحا لديوان المتنبي ولم أره » .  
وذكر الزركلي في الاعلام ان له « كتاب الحلل في اغايط الجمل »  
وغلب الظن انه الكتاب الالف الذكر . كما ذكر ان له « كتاب الحدائق في اصول الدين » .

(٨) كتاب المسائل والاجوبة .

وهو الكتاب الذي نَعْنَى بنشر مختارات منه في هذا المجموع .  
والكتاب يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب اجوبته  
وألف من مجموع الاجوبة كتابا ضخما يتناول ما يتيف على مائة مسألة .  
ومادة الكتاب تتضمن مسائل في النحو واللفظ والادب والتفسير  
والاصول . والمخطوط من مخطوطات العلامة الجليل السيد حسن حسني  
الصادقي من علماء تونس الاعلام . وقد أطلعت على المخطوط وافدت  
منه فوائد ، واخترت منه مسائل أنبتها في هذا المجموع فأشرها واعلق  
عليها بما يصل اليه جهدي .

والمخطوطة بخط تونسي جيد حديثة الخط اذ أن تاريخ نسخها  
سنة ١٢٩٩ للهجرة وهي بخط محمد الطيب بن ابراهيم الرياحي  
التونسي .

ولهذه المخطوطة نسختان اخريان الاولى نسخة الاسكوريال ورقمها  
١٥١٨ والثانية نسخة القرويين في فاس كما أفاد بروكلمان . ولما كنت  
قد اخترت من هذا الكتاب الضخم مسائل يسيرة ، ولما كانت نسختي

التونسية جيدة واضحة ، فلم أر بي حاجة كبيرة للتوفر على إحدى  
النسختين الآخرين .

## بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليما .

قال الشيخ الامام المحقق رئيس اولى الالباب والشارح لسيوريه ذلك  
« الكتاب » علامة الاندلس عبدالله<sup>(١)</sup> بن محمد بن السيد البطلوسي رحمة  
الله تعالى ونفعنا به وبأمثاله آمين .

الحمد لله الذي أمرنا بمكارم الاخلاق . لما أسبغ علينا النعم من غير  
استحقاق . فقال : اصفحوا عن من جهل عليكم ، وأحسنوا لمن أساء  
إيكم ، واعفوا عمن ظلمكم ، واعطوا من حرمكم ، وهو أولى بالعفو عن  
المظالم ، والخذ بالمكارم ، اذ كان من صفاته الكمال ، ومن صفاته  
النقصان ، ومننا الاساءة ومنه الاحسان فاعتمد فينا ما به أمر ، وتمم علينا  
من نعمه ما به بدأ . وصل اللهم على أنبيائك الذين أخلصتهم بخالصة  
ذكرى الدار ، وجعلتهم من المصطفين الاخيار ، ورفعت منازلهم في عليين ،  
وابقيت لهم لسان صدق في الآخرين ، وعلى ملائكتك المقربين ، الذين  
فضلتهم على العالمين .

قال الشيخ الاستاذ - رضي الله عنه - غرضي من هذا الكتاب ذكر  
مسائل طولبت بالجواب عنها . بعضها استفهام واسترشاد ، وبعضها امتحان  
وعناد ، فاجبت عنه بما أحاط به علمي ، واقتدح له فهمي ، ولم أقصر  
فيها على الهداية دون الدراية ، ولا على ما تضمنته الدفاتر دون ما سمحت  
به الخواطر ، اذ كان من تقدم العلماء ربما أشاروا الى المعاني من غير

(١) في المخطوطة : ابو عبدالله

استيفاء ، واذا كان الخالف قد يهتدي الى عالم يهتد اليه السالف كما قال  
ابو تمام الطائي :

يقول من 'تقرع أسماعه' كم ترك الاول للآخر

وسميته كتاب المسائل والاجوبة ليكون معروفا بهذه السمة . وهذا  
التأليف معرض للزيادة فيه اذ كان السؤال يوجب ذلك ويقتضيه ولانما  
له ولا انقضاء حتى يشارف العمر الانتهاء . وانا استغفر الله واستوحيه  
جميل العفو .

- القول في اشتقاق اسم الله تعالى وذكر الخلاف فيه والصحيح  
عندنا -

اختلف الذين قالوا ان اسم الله تعالى مشتق ، وجملة خلافهم اربعة  
اقوال : قال قوم هو مشتق من أليه الرجل يأله الها اذا تحير ، واحتجوا  
بقول الاخطل : (٢)

ونحن قسمنا الارض نصفين نصفها لنا وتُرامي أن تكون لنا معا  
بعشرين ألفاً تأله العين وسطها متى ترها عينا (٣) الكرامة تدمعا (٤)  
ومن ذلك قيل للمقبر الذي يحار فيه مأله (٥) ، لأنه يوله سالكه  
أي يحيرّه قال رؤبة :

به تمطت غول كل مأله بنا حراجيج المظي النُفّه (٦)

قالوا : فسمى الباري تعالى بذلك لان القلوب تحار في عظمتة فلا

(٢) انظر مادة ( اله ) في « اللسان » .

(٣) هذا هو الصحيح ، أما في النسخة الخطية : عين

(٤) هكذا روي البيت ، أما رواية الديوان :

بتسعين ألفا تأله العين وسطه متى تره عين الطرامة تدمعا

(٥) لم ترد هذه الكلمة في معجمات اللغة

(٦) هكذا روي البيت ، أما رواية « اللسان » :

به تمطت غول كل ميكله بنا حراجيج المظي النُفّه

تستطيع ان تحده ولا تصفه الا بما وصف به نفسه - جل وعلا - ان  
تحيط به الاقطار ، وتحده الافكار .

وقال آخرون : هو مشتق من ألهمت الى الرجل اذا فزعت اليه ،  
وكذلك روى عن ابن عباس انه قال : « هو الذي يأله اليه كل شيء »  
ومستعانه ، لا رب غير ، وهذا القول لم نجد عليه شاهدا من اللغة ، وهو  
مروي عن ابن عباس كما ترى .

وقال آخرون : هو مشتق من قولهم ألّه الله العبد يألهه بمعنى عبده  
يعبده عبادة وثأله الرجل اذا تعبد وقال رؤية :

لله درّ الغانيات المدمّ سبّحن<sup>(٧)</sup> واسترجعنّ من تألهي  
قالوا : ولهذا سموا الشمس<sup>(٨)</sup> الالهة والالاهة<sup>(٩)</sup> لعبادتهم اياها قال  
الشاعر<sup>(١٠)</sup> :

نروّحنا من اللعباء<sup>(١١)</sup> فأعجلنا الالهة أن تؤوبا

وقال آخرون : هو مشتق من الوله ، وهو اشد ما يكون من الشوق  
والحزن ، سمي بذلك لان القلوب تأله اليه أي تشتاق الى معرفته ، وتلهج  
بذكره ، واحتجوا بقوله تعالى : « والذين آمنوا أشد حبا لله<sup>(١٢)</sup> » .

ويقول النابغة الجعدي :

[ وأراني طرّبا في اثرهم ] طرب الواله أو كالمختبل

وأشد أبو حاتم الرازي للكميت :

وكيهت نفسي الطروب إليهم وكلها حال دون طعم الطعام

وذهب هو الى أن أصل « أله » « وله » ابدلت الواو همزة .

(٧) هذا هو الصحيح ، اما في النسخة الخطية : سبّحن

(٨) هذا هو الوجه ، اما في النسخة الخطية : السماء

(٩) قال ثعلب : والا لاهة بكسر الهمزة وفتحها وضمتها كلها الشمس

(١٠) هي مية بنت ام عتبة بن الحارث .



لأنكسارها في أول الكلمة<sup>(١٢)</sup> . كما أبدلوها في « وشاح » ونحوه فهذه جملة ما قاله الناس في اشتقاق اسم الله تعالى .

والصحيح عندنا في هذه الأقوال القولان الأولان .  
فأما القولان الآخران فلا يصحان مع النظر . أما قول من قال :  
انه مشتق من « ألـه يألـه » اذا عبيد ، فقد يجوز لقائل  
ان يعكس هذا القول فيقول : ان قولهم « ألـه يألـه » هو المشتق من الاله ،  
كما ان قولهم : تألـه الرجل اذا تحير وتعظم انما معناه تشبه بالاله .  
وكذلك قولهم : « حوّل الرجل » اذا قال : « لا حول ولا قوة الا بالله  
العلي العظيم » و « بسل » اذا قال : « بسم الله » و « حيل » اذا قال :  
« حي على الصلاة » أو « حي على الرحيل » ونحوه قال الشاعر :

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حيلة المنادي<sup>(١٤)</sup>

وأما قول من زعم أنه مشتق من الوله ، وان أصل « ألـه » « وله »  
فغلط بئس . وقد رد أبو علي الفارسي في بعض كلامه ، وقال : « لو كان  
أصل الـه « ولاء » لوجب اذا أخذ الفعل منه اذ يقال « توله » كما أن  
من يقول في « وشاح » « أشاح » فيهمز الواو اذا صرف منه الفعل قال  
« توشح » فيرد الواو الى أصلها لذهاب العلة التي أوجبت همزها وهي  
الكسرة . وكذلك كان يلزمه اذ جمع « الـه » أن يقول « أولهه » كما ان  
من يقول « أشاح » اذا جمع قال « أوشحه » فلما وجدناهم يقولون :  
« تألـه الرجل » و « الاله » فيقرون الهمزة على حالها علمنا أنها أصل  
لا بدل من واو . فان قال : فقد وجدناهم يقولون « لاه » بمعنى الـه  
قال الأعشى :

(١١) هكذا رويت في اللسان ، اما في المحكم : قسرا .

(١٢) سورة البقرة الآية ١٦٥ .

(١٣) انظر كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ص ٢٠ .

(١٤) هذا هو الصحيح ، وفي المخطوطة : [ ألم تحزنك حيلة المنادي ] .

كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا لَهُمْ الْكِبَارُ (١٥)

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَسْمُوعًا فَمَا تَنَكَّرَ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ « لَاءِ » « لَوْهَا » مَقْلُوبًا مِنْ « وَلِهْ » وَلِهْ تَحَرَّكَتِ الْوَاوُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا ، فَصَحَّ بِذَلِكَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ مِنَ الْوَلِهْ ، وَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ « تَأْلَهْ » وَ « أَلَهْ » مِنْ الْبَدَلِ الَّذِي يَلْزِمُونَهُ مَعَ ذَهَابِ الْعِلَّةِ الْمَوْجِبَةِ لَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ « أَعْيَادْ » فِي جَمْعِ « عِيدْ » وَ « أَرِيَّاحْ » فِي جَمْعِ « رِيحْ » وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنْ الْأَلْفَ فِي « لَاءِ » قَدْ صَحَّ عِنْدَنَا أَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ عَنْ يَاءٍ لَا عَنْ وَاوٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ : « لَهِي أَبُوكَ » يَرِيدُونَ « لَاءِ أَبُوكَ » فَقَبِلُوا الْعَيْنَ إِلَى مَكَانِ اللَّامِ فَظَهَرَتْ الْعَيْنُ يَاءً ، وَلَوْ كَانَتْ وَاوٍ لَوَجِبَ أَنْ يَقُولُوا إِذَا قَلْبُوهُ « لَهْوُ أَبُوكَ » وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ « لَاهَا » لَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مَقْلُوبًا عَنْ « وَلِهْ » لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَقْلُوبًا مِنْهُ لَمْ يَقْلِبْ مَرَّةً ثَانِيَةً . وَهَذَا قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ وَاسْتِدْلَالُهُ . وَقد حَكَى بَعْضُ اللَّغَوِيِّينَ « لَاءَ يَلُوهْ » إِذَا « عِيدْ » وَلَيْسَ يَثْبُتُ . وَالَّذِي قَالَ أَبُو عَلِيٍّ أَثْبَتَ وَأَصَحُّ ، فَثَبَّتَ بِهَذَا كُلَّهُ أَنَّ قَوْلَ مَنْ جَعَلَهُ مُشْتَقًّا مِنَ الْوَلِهْ لَا يَصَحُّ .

— ذَكَرَ الْخَوَاصَّ الَّتِي خُصَّ بِهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا لَيْسَ مَوْجُودًا فِي سَائِرِ أَسْمَائِهِ وَلَا غَيْرِهَا —

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأِسْمَ الْعَظِيمَ قَدْ خُصَّ بِسَمَانِي خَوَاصٍّ لَا تَوْجِدُ فِي غَيْرِهِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَلَا فِي غَيْرِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ كُلَّهَا صِفَاتٌ ، وَقَوْلُنَا « اللَّهُ » اسْمٌ مَخْصُوصٌ بِهِ غَيْرُ صِفَةٍ .

وَمِنْهَا أَنَّ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ تَنْسَبُ إِلَى هَذَا الْأِسْمِ ، وَلَا يَنْسَبُ هُوَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » (١٦) فَتَنْسَبُ جَمِيعُ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِغَيْرِهَا تَنْبِيْهَا عَلَى جَلَالَتِهِ .

(١٥) هَكَذَا رَوَى فِي الدِّيْوَانِ ، أَمَّا فِي الْمَحْكَمِ فَقَدْ رُوِيَ : كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ ، وَ « رِيَّاحْ » مَكْسُورَةٌ الرَّاءِ بَعْدَهَا يَاءٌ مَثْنَاءٌ تَحْتِيَّةٌ .

(١٦) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، الْآيَةُ ١٨٠

ومنها أن جميع أسمائه تعالى قد تسمى بها المخلوقون ، ولم يتسم  
أحد بالله ، ولذلك قال : « هل تعلم له سميا » (١٧) أي : هل تعلم شيئا  
يسمى « الله » غيره . وقد توهم قوم أن « الرحمن » لم يتسم به أحد  
غير الله تعالى وأجروه مُجْرى « الله » تعالى في أنه مخصوص به . وذلك  
غير صحيح من وجوه :

منها أنه روي عن عطاء الخراساني أنه قال في « بسم الله الرحمن  
الرحيم » : كان « الرحمن » من اسم الله تعالى فلما تسمى به المخلوقون  
زيد عليه « الرحيم » ليكون له دون غيره . وهذا فصل بين على أن  
« الرحمن » قد تسمى به .

ومنها أن مسيلة الكذاب - لعنه الله - قد تسمى بالرحمن .

ومنها أن أهل اللغة قد أشدوا :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا . وأنت غيث الوري لازلت رحمانا (١٨)  
زعم ثعلب أن الرحمن أصله العبرانية (١٩) ، وأنشد لجريز :  
لن تدركوا المجد أو تشروا عباءكم بالخز أو تجعلوا التوم ضمرا (٢٠)

(١٧) سورة مريم ، الآية ٦٥

(١٨) هكذا رواه الزمخشري في الكشاف ٧/١ (القاهرة مطبعة الاستقامة)

ابو حاتم الرازي في الزينة ١٩/٢ :

..... فانت غيث الوري لا ريب رحمان

وهو لرجل من بني حنيفة يمدح مسيلة الكذاب

(١٩) القول بعبرانية [ الرحمن ] غير صحيح ، والصحيح أن هذه الكلمة  
من الأصول السامية فهي موجودة في اللغات السامية عامة . ولكن  
اللغويين العرب يعزونها للعبرانية أو للسريانية أو للحبشية كل ما لم  
يستطيعوا أن يردوه إلى أصله ، جهلا باللغات السامية غير العربية .

(٢٠) هكذا روي البيت في المخطوطة ، أما في اللسان :

لن تدركوا المجد أو تشروا عباءكم بالخز أو تجعلوا الينبوت ضمرا

أو تتركون إلى العَسَّين هجرتكم ومسحكم صليهم رحمان قربانا (٢١)  
ومن خواص هذا الاسم العظيم قد حذفوا ياء من أوله وزادوا ميماً  
مشددة فقالوا : اللهم وذلك غير موجود في شيء من أسماء الله تعالى سواء ،  
ولا في غيرها . ومن خواصه أنهم قالوا : « يا الله » فقطعوا همزته ولم يفعل  
بغيره وجمعوا بين الياء التي للداء والالف واللام ولم يفعلوا ذلك إلا في  
ضرورة الشعر كقوله :

من أجلك يا التي تيمت قلبي وأنت بخيلة بالود عني (٢٢)  
وقال آخر :

فيا الغلامان اللذان فرأياكما أن تكسبانا شرا (٢٣)  
وأشيد القراء :

مبارك هو ومن سمأه على اسمك اللهم يا الله (٢٤)  
ومن ذلك اختصاصهم إياه في القسم بحالة لا تكون بغيره ، ومن

(٢١) هكذا في اللسان أما في النسخة الخطية :  
أو تتركوا إلى القسيس هجرتكم ومسحكم صليهم رحمان قربانا  
وفي مادة ( رخم ) في [ اللسان ] جاء البيت كما يأتي :  
أما رواية الديوان :

هل تتركن إلى القسسين هجرتكم ومسحهم صليهم رحمان قربانا  
لن تتركوا المجد أو تشروا عباءكم بالخز أو تجعلوا الثوم ضمرا  
(٢٢) حمل البيت على الشذوذ انظر شرح الكافية لرضي الدين الاستربادي  
١٤٥/١

ورواية البيت : من أجلك يا التي تيمت قلبي وأنت بخيلة بالوصل عني  
(٢٣) ورواية البيت في شرح الكافية : . . . . . إياكما أن تبغيا لي شرا  
(٢٤) قول النحاة في « الميم » في « اللهم » أنها عوض من حرف النداء  
المحذوف من الأول غير قوي ذلك أن هذا التعويض لم يرد إلا في هذه  
الكلمة ، فهل لنا أن نفترض فنقول : أن الميم فيها هي كالميم في  
الكلمة العبرانية « الوهيم » وتعني الله ، والكلمة العربية بقايا لكلمات  
ذات أصول بعيدة ورثت الميم في نهاياتها من أصولها اللغوية القديمة  
نحو « ابنم » و « قم » ونحو ذلك .



أسمائه ولا غيرها • وذلك ادخالهم النار عليه في قولهم : « تالله لأفعلن » ،  
وقولهم : « أيمن الله لأفعلن » •

#### مسألة رابعة :-

سألت - حبَّب الله اليك التنزيل ، وفهمك التأويل - عن قوله  
تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » (٢٥)  
ولما كان معنى كل كلام مرتبطا بأعرابه ، وأعرابه مرتبطا بمعناه ، لم يكن  
بد من ذكر الأعراب مع المعنى فأقول وبالله أستعين : ان الظاهر من قوله  
تعالى : « وما تعبدون » أن تكون « ما » في موضع نصب معطوفة على الضمير  
المنصوب بـ « ان » كأنه قال : « انكم والأشياء التي تعبدونها من دون الله  
حصب جهنم » فمقتضى هذا الكلام وارد ، ومحصول معناه : « ان كل من  
عبد شيئا من دون الله في النار هو ومعبوده معه على ما نبينه بعد هذا ان  
شاء الله تعالى •

وقد قال قوم : ان « ما » في موضع خفض على القسم • وهو رأي  
الصوفية أكثرهم ، والتقدير عندهم « انكم حصب جهنم وحق معبودانكم  
التي تعبدون من دون الله » فمحصول معناه على رأيهم ، ان العابدين في  
النار دون ما عبدوه • وانما فروا الى هذا القول لانه ليس شيء عبد من  
دون الله في النار ، اذا كان كثير من أهل الضلال قد عبدوا عيسى والملائكة  
وأم عيسى وغيرهما من البشر ولا ذنب للمعبود في عبادة من عبد ، لان  
المعبود ان كان صنما ونحوه مما لا يعقل ، فما وجه الحكمة في عذابه وهو  
لا يحسن ولا يتأثم ولا يختار ذلك ولا يريد ، وان كان المعبود عاقلا مميذا  
ولم يختار ذلك ولم يرضه ، فكيف بذنب فعل غيره ، وقد قال الله تعالى :  
« ولا تزر وازرة وزر اخرى » (٢٦) •

(٢٥) سورة الانبياء ، الآية ٩٨

(٢٦) سورة فاطر ، الآية ١٨

فرائى هؤلاء القوم لاجل هذا الذي قلنا ، أن « ما » في موضع خفض على القسم . وعلى نحو من هذا المذهب قرأ بعضهم « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » فجعلوا « ما » في موضع خفض على القسم ، وخفضوا الحصب على البدل من « ما » ونصبوا « جهنم » بفعل مضمر تفسيره الجملة التي بعده كأنه قال : « تردون جهنم أنتم لها واردون » . وهذا مثل ما حكاه سيويه من قولهم : « أزيد أنت ضاربه » تريد « أنضرب زيدا أنت ضاربه » وهذا القول خطأ بين ، لا خفاء به على متأمل صحيح التأمل . والآية نفسها تنقض ما قالوه ولكن يجب علينا أن نولي قولهم ما يستحقه من الكلام ونذكر احتجاجهم كما زعموه ثم نبين بعد ذلك ان الصواب غيره ، فنقول حاكين لما يحتجون به : « ان قال قائل : كيف أقسم تعالى بأصنامهم التي كانوا يعبدونها ، وفي القسم بها تنويه بأمرها وتعظيم لقدرها ، فمن هذا جوابان للصوقية : أحدهما : أن يكون تقدير الكلام « انكم وحق ما تعبدونه من دون الله عندكم أو في اعتقادكم » فيكون ذلك على وجه الحكاية كما كانوا يعتقدونه فيها كما قال تبارك وتعالى : « انك أنت العزيز الكريم »<sup>(٢٧)</sup> وإنما هو في الحقيقة الدليل المهران ، ولكن خرج الكلام مخرج الحكاية كما كان يعتقدونه في نفسه ويعتقدونه فيه من كان يعبد . ونحوه قوله في موضع آخر : « أين شركائي الذين كنتم تزعمون »<sup>(٢٨)</sup> فأضاف الشركاء الى نفسه ، وليس له تعالى شريك . ويروى ان شاعرا من شعراء اليمن هجا جريرا فقال في هجوه :  
أبلغ نبيا وأبلغ عنك شاعرها      اني الأعز واني زهرة اليمن  
فقال جرير :

(٢٧) سورة الدخان ، الآية ٤٩

(٢٨) سورة القصص ، الآية ٦٢

ألم يكن في رسوم قد وسمت بها

من حان (٢٩) موعظة (٣٠) يا زهرة اليمن (٣١)

فسماء « زهرة اليمن » حكاية لكلامه ، واعتقاده في نفسه ، فهذا أحد  
الجوابين عند الصوفية . والجواب الثاني على رأيهم : أن يكون الله تعالى أقسم  
بآلهم على جهة الهزء بها والاستخفاف بقدرها ، كما قال دريد بن الصمة  
يهجو بني شهاب (٣٢) :

لعمري (٣٣) بني شهاب ما أقاموا صدور الخيل والأسل التباعا (٣٤)  
ولكني كسررت بفضل قومي فحزت مكارماً وحسوت باعاً

فأقسم بأعمارهم هازئاً بهم وهو قد وضعهم وأنهم لم يبلوا ولا دافعوا  
فهنا ما تحتاج به الصوفية لقولها : قد وفينا لهم ، ولعلنا قد زدنا فيه ما لم  
يعربوا به عن أنفسهم وينبغي أن تعلم أن الحق غير ما قالوه . والقول  
الصحيح الذي يقتضيه مذهب أصحابنا أهل السنة هو الصحيح . وهو :

(٢٩) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : مدعضة .

(٣٠) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : جاز .

(٣١) لم يرد البيت في الديوان على هذا الوجه بل ورد على الوجه الآتي :  
ألم يكن في رسوم قد وسمت بها من حان موعظة يا حارث اليمن  
وقد هجا جرير زهرة القناني ص ٥٦٦ في قصيدة مطلعها :

عرفت منازل بلوى الثماني وقد ذكرت عهدك بالغواني  
(٣٢) هو دريد بن الصمة سيد بني جشم ، أدرك الإسلام ولم يسلم وقتل  
على شركه يوم حنين .

انظر : الأغاني ٢/٩ - ١٩ ، المؤلف ١١٤ ، الخزائن ٤/٤٤٢ - ٤٤٧ ،  
شرح الحماسة للمرزوقي ٨١٢ - ٨٢٧

(٣٣) هكذا في التصحاح للجوهري واللسان ، أما في المخطوطة : أحد

(٣٤) نسب البيت في « اللسان » إلى القطامي ، وأكبر الظن أن صاحب  
اللسان اشتبه عليه الأمر فجعله من عدة قصيدة القطامي ،  
العينية التي مطلعها :

تفي قبل التفرق يا ضياعاً ولا يك موقف منك الوداعا  
وهذه القصيدة تنفق وبيت دريد في الوزن والقافية .

ان « ما » مطبوعة على الضمير المنصوب بأنّ وإن المراد بالآية ما قومنا ذكره ، لان المشيخة البجلة رويوا بأسانيد مختلفة أن هذه الآية كما نزلت تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش فقال بعض من حضر من أكابر قريش : « أنا أخصم لكم محمداً » ثم أقبل عليه فقال : « يا محمد ان عيسى وأمه قد عبدا من دون الله ، أف يكونان من حصب جهنم ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغرب المشركون ضحكاً . فأنزل الله تعالى : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ، <sup>(٣٥)</sup> فهذا التفسير يدل على أنه يقسم بالهتهم ، وانما أراد أنها معهم في الدار . على انه يمكن الصوفية أن تقول : يجوز أن يكون الله تعالى أراد القسم وتوهمت قريش غير ذلك لاحتمال الآية تأويلين فأنزل الله تعالى الآية الثانية تأكيداً للبيان ، كما غلط عدي بن حاتم في تبين قوله تعالى : « حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود » <sup>(٣٦)</sup> فأنزل الله تعالى « من القجر » زيادة في البيان ، لا لأجل ان التأويل كان على ما تأوله عدي ، فهذا يجوز لهم أن يحتجوا به ، ولكن الرواية واتفاق الجماعة أولى أن يؤخذ به وقد قال عز من قائل : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم » <sup>(٣٧)</sup> وقد قال في الآية نفسها « لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون » . وهذا يبطل قول الصوفية ابطلاً ظاهراً لا حيلة لهم في دفعه . واني لأعجب ممن تعرض له هذه التهمة مع هذا النص الواضح .

وقد اعترض معترض من الملحدين فقال : كيف أنزل الله تعالى كلاماً ناقص البيان يحتاج الى الاتمام ويمكن الاعتراض عليه والظعن فيه ، وهو العالم بما كان وما يكون قبل أن يكون وقد سبق مكنون علمه جل

(٣٥) سورة الانبياء ، الآية ١٠١

(٣٦) سورة البقرة ، الآية ١٨٧

(٣٧) سورة الصافات ، الآية ٢٣



جلاله ما يهتجس في كل خاطر ، وما يمكن أن يعترف به كل ملحد ؟ فقد كان الأليق بوجه الحكمة أن تنزل الآيات محكمة متقنة لا نقص فيها ولا اعتراض في شيء من معانيها .

فالجواب عن هذا من وجوه منها : ان معنى الاعتراض لا يلزم لانه ان ساغ لمعارض أن يعترض بهذا في نزول آيات القرآن العزيز ، ساغ لآخر أن يعترض بمثله في جميع أفعال الله تعالى الموجودة في العالم ، لان لها أو لأكثرها مبدأ وتدرجاً من حال الى حال حتى تبلغ أقصى الكمال . وهل هذا الا بمنزلة من اعترض وقال : كيف خلق الله تعالى من يكذب به ويحجد ربوبيته ، ويفسد في الارض حتى احتاج الى مخاطبة البشر بالوعد والوعيد ، وقد كان الاكمل في الحكمة أن يهديهم في أصل الفطرة حتى لا يقع شيء من ذلك فاذا لم يكن هذا الاعتراض لم يلزم ما اعترضوا به .

وجواب آخر وهو ان في نزول القرآن منقطعاً على هذه الصفة التي أنكرها هذا المنكر وجوها من الحكمة عمي عن معرفتها فمنها : تثبيت صلي الله عليه وسلم عندما كانوا يفحشونه بأقوايلهم ، ويعترضون بزخارفهم وأباطيلهم وقد نهى الله تعالى على هذا الوجه من الحكمة بقوله : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك » (٣٨) الى آخر الآية . ومن وجوه الحكمة في ذلك ان الشيء اذا ورد أولاً وهو محتاج الى الايضاح والاكمال كان أعظم في النفوس ، واشتد حرص السامع على معرفة آخره والوقوف على حقيقة غرضه ، ولهذا ورد تمامه بعد ذلك وكان له من الموقع في النفوس ما ليس للشيء الذي يرد جملة ، يفجأ دفعة . وهذا المعنى لا يخص نزول القرآن دون غيره ، بل ذلك موجود في أكثر الامور ، ولذلك استحسّن العلماء أن يتقدم الاعطاء وعد ، ويسبق الوصل صد ، والمواساة منع حتى قال الشاعر :

(٣٨) سورة الفرقان ، الآية ٣٢

حلاوة الفضل كوعد ينجز لا خير في الفضل كتهز ينهز  
وقال آخر :

لولا اطراد الصيد لم يك لذة فطاردني لي بالوصل ذليلا  
هذا الشراب أخو الحياة فما له من لذة حتى يصيب غليلا  
وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى جدا استحسانا له فهذا وجه آخر  
من الحكمة في ذلك .

ووجه ثالث : وهو اللفظ مأخذا وأدق مسلكا مما تقدم : وذلك ان  
في نزول القرآن العزيز على هذه الصفة التي أنكرها هذا الجاهل بوجوه  
حكمة الله تعالى ، أصح دليل وأبين شاهد بأنه صلى الله عليه وسلم كان  
لا ينطق عن الهوى وإنما كان وحياً يوحى ، لأن القرآن لو كان نبياً  
يتقوله وكلاماً يلفقه ويصفه على ما كانوا يدعون عليه وينسبون إليه لبرزه  
محكم الصنعة متقن التأليف مستوفي الغرض غير محتاج الى زيادة ونقص  
كما يبرز الشاعر فصيدته ، بل أن ينقحها ويهذبها ، والخطيب خطبته بعد  
أن يقومها ويشققها بدل ظهور القرآن على لسانه منقطع النظام محتاجاً كثير  
منه الى الاكمال والاتمام . على انه لم يكن فيه أكثر من التبليغ والتأدية  
عن الله تعالى . فتأمل هذا فانه من أسرار القرآن اللطيفة وأغراضه  
الشريفة .

ووجه رابع من الحكمة : وهو ان نزول القرآن منقطع النظام ثم  
انتظامه وتأليفه بعد ذلك على أبدع ما يكون من أساليب الكلام دليل شاهد  
على أنه كلام حنف بالمصمة ، وارتفع عن الطاقة والقدرة . وذلك ان  
البليغ منا اذا عمل فقرأ من الكلام نظماً أو نثراً ثم احتاج الى تأليف بعضها  
مع بعض حتى يجعلها قولاً واحداً وأنه يجدها متنافرة التأليف غير منتظمة  
التصنيف حتى يستعمل نوعاً آخر من النظم ويزيد وينقص ، وأنت تجد

هذا القرآن العزيز بعد تألف آياته المتفجرة ، وضربها الى السور المحكمة ،  
رائق المسمع في الأذان ، عذب الموقع في الأذهان ، حتى توهم انه كلام نزل  
في وقت واحد . وهذا شيء لا يتنبه له المستبصر ، ولا يهتدي اليه المتأمل  
المعتبر ، ولا يقدره حق قدره الا اليقظان المتفكر . فهذه أربعة وجوه من  
الحكمة في نزول القرآن متقطعا . ثم نحن نقول ذلك لهذا المعترض .  
فجهله فيما لم يحط به علما ، ولم يأت تأويله تنبيها للمؤمن المسترشد ،  
وقمعا للكافر الملحد ، اذ اعترض المعترض في الشيء وطعنه فيه لا يدل  
على نقصان الشيء المعترض فيه ، ولا يقتضي أن ذلك من أجل اختلال  
معانيه ومبانيه ، فقد يعترض المعترض في شيء صحيح المعنى متفق اللفظ  
والمبنى لنقصان فطرته ونزلة معرفته أو لغلط يعرض له وشبهة تدخل عليه  
من لفظ مشترك وتأويل محتمل . ألا نرى الى قول القائل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً : وآفته من الفهم السفيم<sup>(٣٩)</sup>

وقوله :

ومن يك ذا فم مرة مريض يجد مرأ به الماء الزلالا<sup>(٤٠)</sup>

وقوله تبارك وتعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم  
أنتم لها واردون » آية محكمة المبني صحيحة المعنى غير محتاجة الى شيء  
يتممها ويبينها ولو اقتصر عليها لم يضرها جهل من جهلها . وانما أنزل  
تعالى « ان الذين سبقت لهم الحسنى » الآية « حسماً لاعتراض المعترض  
وتأكيدا لإيضاح المعنى ، لا يغفر من الآية الاولى الى الآية الثانية . ولو كان  
صلى الله عليه وسلم ممن يقول بالقياس والنظر لأبان وجه تأويلها وأعرب  
عنه . ولم تكن نحن على تخلفنا أهدي الى وجه الاحتجاج لها منه ، لكنه

(٣٩) البيت من قصيدة للمتنبي مطلعها :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

(٤٠) من قصيدة للمتنبي مطلعها :

بقائتي شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زموا لا الجمالا

صلى الله عليه وسلم كان لا يقول شيئا برأى يراه ، وإنما كان يتبع ما أنزله  
الله اليه وأوامه .

ولنبين لك صحة ما نقوله من أن هذه الآية لا تحتاج الى شيء يتممها  
أن الخطاب في قوله : « انكم وما تعبدون من دون الله » لا يخلو من أن  
يراد به العرب خاصة ، أو يراد به كل من عبد شيئا من دون الله ، فإن  
كان الخطاب للعرب خاصة والمراد بما يعبدونه للأصنام خاصة لانهم لم  
يكونوا يعبدون شيئا غيرها من دون الله فلا وجه لادخالهم عيسى صلى الله  
عليه وسلم وأمه فيها . ويدل على أن الخطاب لهم خاصة قوله : « لو كان  
هؤلاء آلهة ما وردوها » وهؤلاء انما هو اشارة الى الشيء الحاضر وإن كان  
الخطاب لكل من عبد شيئا من دون الله من العرب وغيرهم ، فإن الاظهر  
في « ما » أن يراد بها ما لا يعقل لأن هذا هو المشهور من أمرها في اللغة .  
فاذا كان ذلك كذلك ، لم يكن للملائكة وعيسى وأمه صلوات الله عليهم  
مدخل فيها ، لأنه لو خلط من يعقل بما لا يعقل ، لقل « ومن تعبدون »  
لأنه اذا خلط من يعقل بما لا يعقل فانما يغلب من يعقل كقوله تعالى :  
« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي  
على رجلين ومنهم من يمشي على أربع »<sup>(٤١)</sup> فإن قيل : فلمله أراد بقوله  
« وما تعبدون » من يعقل وما لا يعقل ، لأن « ما » قد تقع للعاقل المميز  
كقوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء »<sup>(٤٢)</sup> وقولهم : « سبحان من  
يسلم الرعد بحمده » فنحن نسلم أن « ما » قد تقع للعاقل المميز ، ولكن  
لا حجة لهم أيضا على هذا القول فما لهم في القول الاول حجة ، لأن من  
عبد شيئا من دون الله من ملك أو نبي فالأنتم انما هو على العابد لا على  
المعبود ، وإنما يلزم المعبود الأنتم ، ويحق عليه العذاب اذ رضي بذلك أو

(٤١) سورة النور ، الآية ٤٥

(٤٢) سورة النساء ، الآية ٣



أمر به أو دعا الناس الى عبادة نفسه • وقد أخبرنا الله تعالى ان أفضل عباده وخيارهم لا يرضون بذلك ولا يأمرون به • فقال عز من قائل : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله » (٤٣) فينبغي أن لا يدخل في الآية من المعبودين من دون الله الا فرعون ونمرودا وأمثالهما ممن ادعى الربوبية ، ودعا الى عبادة نفسه • فان قيل : فكيف أخبره الله تعالى ان الاصنام تعذب مع من عبدها وهي لا تختار ذلك ولا تريد ؟

والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أن الخطاب للعرب خصوصا • فورد أصنامهم معهم النار ليس على وجه العقاب لها • ان العقاب انما يلزم العاقل المميز الذي يتألم ويحس ، وانما تحضر لهم يوم القيامة لأحد معنيين : اما ليروا هو ان معبودهم ويلعنونها على قدر ما عبدوها ، واما لتشهد عليهم كما تشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون • وليس في ورود الخشب والحجارة النار ما في ورود من عبيد من العاقلين المميزين لأن العاقل المميز يتألم بالعذاب ويحسه بعقابه على ما جناه غيره عبت وجور ، وهذا غير جائز في حكمة الله تعالى • والخشب والحجارة لما لم تحس ولم تتألم لم يكن في ادخالها النار عبت وجور على ما توهمه هذا المعارض • وان كان المراد بالصفة كل من عبد شيئا من دون الله من العرب وغيرهم ، فقد يجوز أن يكون المعذب معهم من عبد من البشر ممن رضى بذلك ودعا الناس اليه دون الحجارة والخشب التي لا حس لها ولا تميز • وقد يجوز أن يردّها الجميع من عاقل وغير عاقل على الوجه الذي قدمنا ذكره •

وكان الكلبي يذهب الى أن قوله : « انكم وما تعبدون من دون الله » منسوخ بقوله « ان الذين سبقتم لهم من الحسن اولئك عنها مبعدون »

(٤٣) سورة آل عمران ، الآية ٧٩

غلط شديد لوجهين : أحدهما : أنه خبر والآخر لا يصح فيها النسخ ،  
 إنما النسخ في الأمر والنهي • والثاني : أن الآية الثانية ليست ناسخة للآية  
 الأولى على ما توهم ، وإنما هي مؤكدة للميان ، زائدة للإيضاح • فهذا  
 ما عندي في تفسير هذه الآية ، وفيه أشياء كثيرة لا تجدها في كتب التفسير ،  
 لأنني سلكت فيها مسلك الجدل مناقضة للصوفية • ولم أعترض فيها على  
 الملحدين وأنا أستغفر الله من ذلك إن كان عرضي ، وأسأله العون على  
 القيام بحق ما أمر به وفرض ، لا رب غيره ولا معبود سواه •

#### مسألة خامسة :-

سألت أدام الله تصديك وأرشدك وبلغك من كل • أترجوه بفيتك  
 ومرادك عن قول امرئ القيس بن حجر :

كأن دمي سَقَف<sup>(١١)</sup> على ظهر مرمر

كسا مزبد الساجوم وشيا مصور<sup>(١٢)</sup>

(١١) هكذا في الديوان . أما في المخطوطة : سَقَف

(١٢) جاء في الديوان ، امرئ القيس ص ٥٨ تفسير الاعلم اشتهر لهذا  
 البيت وتعليقه على تفسير أبي حاتم :

لم يفسر لأصمعي هذا البيت • وقال أبو حاتم : الدمى المصور ،  
 وسَقَف موضع فيه صور فشبهها بزهو هذا النخل الذي وصف ،  
 والمزبد ذو الزبد ، والساجوم واد بعينه • هذا تفسير أبي حاتم ،  
 وهو بعيد لا يتحقق ، والذي عندي فيه أنه متصل قوله :

فشبهتهم في الآل لما تكشروا . . . . .

فكانه قصد به إلى تشبيه الظعان على الأبل وما عليهن من الوشي ،  
 وهو يسري في السراب بالدمى على ظهور الرخام بهذا الوادي المزبد ،  
 وشبه السراب لبياضه بزبد الوادي • وقوله « كسا مزبد الساجوم  
 وشيا مصورا » جعل المرمر كالكاسي لهذا الوادي المزبد حتى شبهه  
 لحمة الدمى بالأبل ، وعلى الأبل الوشي وقد عمن به السراب لكثرة ،  
 والعرب بما شبهت الشيء بالشيء فجعلت في المشبه به بعض صفات  
 المشبه اتساعا ومجازا كما قال حبيب [ أبو تمام ] في وصف لواء أبيض  
 يخفق في الهواء :

وقلت ما اعرايه ؟ وما معناه ؟ وقد سألت أرشدك الله - عن بيت تحامى  
جلّة العلماء تفسيره قديما وحديثا . وقد روي أن الاصمعي كان لا  
يفسره ، وإن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : ذهب من يحسنه . فإذا كان  
هذان قد قلا فيه هذه المقالة على جلالته مكانهما وقدرهما وبعد صيتهما في  
العلم وذكرهما ، فما ظنك بعد ذلك بغيرهما ؟ ولم يكن هذان ليقولا فيه  
هذه المقالة الا وهما قد سألا عنه العرب فلم يظفرا بظائل منه . وما رأينا  
فيه لغيرهما قولا نستحسنه ونرتضيه . غير أن أبا حاتم ذكر فيه تأويلا  
لا يكشف غمة ولا يبرد غليلا . فقال : الدمى الصور ، وشغف موضع فيه  
صور ، وأراد أن تلك الصور مزينة بالجواهر فشبّه بذلك زهر هذا النخل  
والزهو<sup>(٤٦)</sup> [ وهو ]<sup>(٤٧)</sup> الثمر الذي ظهرت فيه الحمرة فاختلف لونه ،  
والساجوم واد بعينه . وهذا الذي قاله أبو حاتم - رحمه الله - وإن كان  
غير بين فإن ما تحته معنى حسنا يتضح إذا نحن جلونا في معرضه ،  
وأخبرنا بمنزعه وغرضه فيه . ونذكر بعد ذلك ما قاله سواء ونصله بما  
نعتقد ونراه أن شاء الله تعالى .

أما قول أبي حاتم فمجازه عندي أنه جعل هذا البيت من صفة  
« المكرعات » التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :  
أو المكرعات من نخيل ابن يامن      دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

(٤٦) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : الرشد .  
الاصمعي ، كتاب النخل ص ٦٧ اذهى النخل إذا ظهرت فيه الحمرة وهو  
وهو الزهوّ [ بفتح الزاي واسكان الهاء ] وفي لغة الحجاز الزهوّ  
[ بضم الزاي ] .

(٤٧) يحتمل أنها سقطت ، والنص يقتضيها .

خلت عقابا بيضاء في حجرا      ت الملك خارت منه وفي سنده  
والعقاب لا تكون بيضاء ، ولكن لما شبه اللواء المشبه بها . فعلى هذا  
جعل المرمر الكاسي الودي وشيا مصورا ، اذ شبهه بالابل وما عليها  
من الوشي المصور وسط السراب .

و « المكروعات » النخل الثابتة في الماء واشتقاق ذلك من قولهم :  
 « كرمعت الدابة في الماء تكرر في كرامة » وأكرمعتها أنا فهي مكرعة ،  
 وأصل ذلك أن تدخل ذوات الأظلاف من الحيوان أكرعها في الماء ثم  
 استعير ذلك لغيرها فشبه المكروعات بالدمى ، وشبه الماء بالمرمر ، وشبه زهر  
 النخل لاختلاف ألوانه بالوشي المصور وأراد هذه النخيل كست « الساجوم »  
 من زهرها ما يشبه الوشي المصور ، فكان دمي « سقفه » (٤٨) حلت به ففعلت  
 ذلك . ويقوى مذهب أبي حاتم أن العرب قد شبهت النخل بالعداري  
 تشبيهاً ماثياً (٤٩) مطرداً . أشد أبو حنيفة في صفة نخل :

كأن قدودها في كل فجر عذاري بالذوائب ينتصينا (٥٠)

والذوائب النواصي ، أراد أن الرياح تضربها فيميل بعضها على  
 بعض ، فشبهها بعذاري يأخذ بعضهن بنواصي بعض وقال الراجز :

قد أبصرت سعدى بها كئالي مثل الجوازي الحُسْنُ العطابيل (٥١)  
 طويلة الأثناء والعشاكل (٥)

(٤٨) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : شغف .

(٤٩) هكذا في النص . ولعلها فاشيا

(٥٠) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : ينتصينا .

(٥١) جاء هذا الرجز في « الصحاح » على النحو الآتي :

قد أبصرت سعدى بها كئالي مثل العذاري الحُسْنُ العطابيل

ويبدو أن « الحُسْنُ » تصحيف « الحُسْر » ذلك أن ( حسناء ) لا  
 تجمع على ( فععل ) بضم الفاء وفتح العين وتشديدها كما تجمع  
 « حاسر » على « حُسْر » قال تعالى « فلا أقسم بالخنس الجواربي  
 الكنس » والخنس جمع « خانس » والصحيح أن حسناء تجمع على حسان  
 وحسناوات واحسب أن ذلك قد وقع من خطأ الناسخ الأول ،  
 وأما من اشتباه الناشر . وقد ورد لرجز في « اللسان » مادة « عطل »  
 على الصورة التي جاءت في هذه المخطوطة ، ولكن صاحب اللسان أورده  
 في مادة « كتل » عا الوجه الآتي :

قد أبصرت سعدى بها كئالي مثل العذاري الخُرْدُ العطابيل

(٥) هذا هو الوجه الصحيح ، أما في المخطوطة : الاثاكل .



والكتائل النخل ، والحُسْر التي لا نبات عليهن ، والعطابل الطوال  
الأعناق واحدها عطبول . فأما اعرابه على مذهب أبي حاتم فيحذف  
وجهين : أحدهما أن سيويه ذكر في الكتاب : أن العرب تحذف خبر كأن  
ولكن وإن واخواتها تارة ، وتحذف أسماءها تارة إذا كان في الكلام أو  
في الحال المشاهدة ما يدل على ذلك وأنشد للفرزدق :

فلو كنت ظلياً عرفت قرابتي ولكن زنجياً عظيم المشافر<sup>(٥٢)</sup>

فذكر : أن من العرب من ينصب « زنجياً عظيم المشافر » ويجعله  
اسم « لكن » ويضمّر الخبر كأنه قال : « ولكن زنجياً عظيم المشافر لا يعرف  
قرابتي » ودلّ ما تقدم من البيت على هذا الحذف .

وذكر : أن من العرب من يرفع فيقول : « ولكن زنجي عظيم  
المشافر » فيجعله خبر لكن ، ويضمّر الاسم كأنه قال : « ولكنك زنجي  
عظيم المشافر » فعلى هذا القياس يجوز أن يكون امرؤ القيس حذف اسم  
كان وجعل دمي خبرها أراد « كأنها دمي سقّف على ظهر مرمر من صفته  
كذا هذا النخل » . ويشبه هذا الحذف قول طرفة :

وتبسم عن ألمي كأن منوراً تخلّل حرّ الرمل دعصل له ندى<sup>(٥٣)</sup>  
وقال الأخطل :

خلا أن حياً من قریش تفاضلوا<sup>(٥٤)</sup>

على الناس أو أن المكارم نهشل<sup>(٥٥)</sup>

(٥٢) انظر سيويه ، الكتاب ٢٨٢/١ . والبيت في هجاء رجل من ضبة  
نفاه عنها ونسبه الى الزنج .

(٥٣) انظر معلقة طرفة :

لخولة اطلال ببرقة نهد تلوح كباتي الوشم في ظاهر اليد

(٥٤) هكذا في الديوان ص ٣٩٢ ، اما في المخطوطة : تفضلوا

(٥٥) الديوان : هو من الابيات المنسوبة الى الاخطل وهي ليست في نسخ

الديوان . ورد البيت في « اللسان » مادة [ نهشل ] ٦٨٢/١١ وفي

[ لتاج ] ١٤٩/٨

وهذا البيت فيما ذكروا آخر القصيدة ويكون قوله « كسا » على  
هذا القول في موضع خفض صفة للمرمر ، كأنه قال : على ظهر مرمر  
كاس مزبد كالساجوم . فان قلت كيف وصف المرمر بأنه كسا الساجوم  
الوشي المصور وليس ذلك من صفاته ؟

والجواب : أن ذلك انما جاز لانه يشبه به الماء الذي كان السبب  
في انبات<sup>(٥٦)</sup> هذا النخل واذهابه حتى كسا هذا الوادي ما يشبه الوشي  
المصور . والعرب اذا شبهت شيئا بشيء قريبا وصفت المشبه به ببعض  
صفات المشبه فيقولون : « كأن هذا بدر محلى بالدرر والياقوت » ، وهذه  
الصفة ليس من صفة البدر ولكنهم لما شبهوا به من هذه صفته صار كأنه  
بعض البدر محلى بالدرر والياقوت لدخول المشبه بالتشبيه في جنس ما  
شبه به مجازا لا حقيقة . وهذا كثير في الشعر قد تعاوره القدماء والمحدثون  
فمنه قول حبيب يصف لواء أبيض<sup>(٥٧)</sup> .

خلت عقاباً بيضاء في حجرا ت الملك طارت منه وفي سدره<sup>(٥٨)</sup>

والعقاب فيما زعموا لا تكون بيضاء ، ولكنه لما شبه بها اللواء الأبيض  
صار بعض أنواع العقاب كأنها أبيض لان اللواء الأبيض قد صار بالتشبيه  
كأنه نوع من أنواعها ومثله قول أبي الطيب المتنبى :

وكنت اذا أبصرته لك قائماً نظرت الى ذي لبدتين أديب<sup>(٥٩)</sup>

وعلى هذا يتوجه عندي ما عاب الناس على المتنبى من قوله :

---

(٥٦) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : انبات .

(٥٧) من قصيدة ابي تمام يمدح فيها علي بن الجهم مطلعها :

ما لكثيب الحمى الى عقده ما بال جرعائه الى جرده

(٥٨) هكذا في الديوان ، اما في المخطوطة : سؤدد

(٥٩) من قصيدة للمتنبى يعزي فيها سيف الدولة في عبده يمالك التركي  
مطلعها :

لا يحزن الله الامير فأنني لأخذ من حالاته بنصيب

اني أنا المذهب المعروف مخبره يزيد في السبك للدينار ديناراً  
وهذه الصفة غير محمودة للمذهب ، وربما أخرجت الشعراء هذا  
المعنى مخرج التعجب والاتساع كقول المتنبي :

ما ضاق قبلك خلخال على رشا ولا سمعت بدياج على كنس<sup>(٦٠)</sup>  
فهذا أحد وجهي اعراب بيت امرئ القيس على مذهب أبي حاتم .  
والوجه الآخر : أن يكون قوله « كسا » في موضع رفع على خبر « كأن »  
من غير أن تحذف شيئاً . فإن قال قائل : « فقد كان ينبغي أن يقول  
« كست » أو « كسون » لانه خبر عن الدمى ، والدمى مؤنثة » .

فالجواب : ان العرب قد تذكر خبر المؤنث الذي ليس بحقيقي  
وصفته ، حملاً على المعنى وكذلك قد يفردون الخبر عن الجمع والضمير  
العائد حملاً على معنى الجمع أو الشيء قال جميل :

ألا ليت أيام الصفاء جديد ودعراً تولى يا بن يعسود<sup>(٦١)</sup>  
ولم يقل « جديدة » كانه ذهب الى معنى الجمع ، أو ذكر الأيام  
إذا كانت بمعنى الدهر . هكذا رواه ابن الأنباري ، وقد روي رواية غير  
هذه تركتها خشية الإطالة بها .

وقال آخر :

---

(٦٠) المتنبي الديوان ١/١٤٠ من بيتين أولهما :  
أظبية الوحش لولا ظبية الأنس لما غدوت بجد في الهوى تعسر  
(٦١) هكذا روي في المخطوطة وفي الأمالي لأبي علي القائي ٢/٣٠٠ ، أما  
في الأغاني فقد ورد على الوجه الآتي :  
ألا ليت ريعان الشباب جديد . . . . .

بل اتسى تجدي ان اتسيت أسى  
بمثل من قد فُجعت اليوم قد فُجعا (٦٢)

وقال طرفه :

[ لا أدري الا النعام به ] كالأما أنسرفت حزمه (٦٣)

فان قلت : فلفل هذا انما جاء في الضرورة لان هؤلاء الشعراء لم  
يمكنهم غير ذلك ، وليس في بيت امرئ القيس ضرورة ، لانه قد كان  
يمكنه أن يقول « كست » فيؤنت والوزن قائم صحيح .

فالجواب : انا وجدناهم قد فعلوا مثل هذا في الكلام الفصح نثرا  
ونظما . حكى سيويه : ان العرب تقول : هو أحسن الفتيان وأجمله ،  
وأكرم بنيه وأنبله . قال الله تعالى : « نسقيكم مما في بطونه » (٦٤) .

وزعم الاخفش ان العرب تشد :

ألبان ابل تلة بن مسافر (٦٥) ما دام يملكها علي حرام  
وطعام عمران بن أوفى مثله ما دام يسلك في الحلق طعام (٦٦)

(٦٢) جاء في الامامي ٢٢/١ ان الاخفش قال : انباني ابو الفيض بن ابي  
شراة عن بني شراة قال : حدثني عبدالله بن محمد بن يسير البصري  
قال : علق ابي جارية لبعض الهاشمين فبعث اليه امي تعاتبه  
فكتب اليها ابياتا اولها :

لا تتبعن لوعة اترى ولا هلتعا ولا تقاسين بعدي الهم والجزعا

بل اتسى تجدي ان اتسيت أسى . . . . .

(٦٣) هكذا في الديوان اما في المخطوطة : « اشرقت حرقه » .

البيت من قصيدة مطلعها :

أشجباك الربيع ام قبد منه ام رماد دارس حمله

(٦٤) سورة النحل ، الآية ٦٦

(٦٥) هذا هو الصحيح ، اما في المخطوطة : من مسافر

(٦٦) ورد في البتان في الكامل للمبرد ٥٥/١ ، وقد جاء البيت الثاني كما

يأتي :

←



والهاء في « مثله » عائدة على ألبان • قال : ومنهم من ينشده « مثلها » •  
فإن قلت : فأيهما أبلغ عندك في معنى التشبيه « كون الدمى اسم » كان «  
أم كونها خبرا ؟

فالجواب : إن كون الدمى اسم « كان » أبلغ في التشبيه « كأنه إذا  
جعل الدمى خبر « كان » كان التشبيه مستقيما ، وإذا جعلها اسمها كان  
التشبيه معكوسا فكان أبلغ • وهذا مذهب للعرب ظريف ، يقولون :  
« كأن هندا القمر » فإذا أرادوا المبالغة عكسوا التشبيه فقالوا : « كأن  
القمر هند » وذلك إن المشبه به له مزية على المشبه « فإذا عكسوا انتقلت  
تلك المزية التي كانت في المشبه وعلى هذا قول الراجز :

كأن أوب مائـح ذي أوب مدارك النهر سريع النـهب<sup>(٦٧)</sup>  
أوب يديها برقاق سـهب

وقول ذي الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الخنادس<sup>(٦٨)</sup>

(٦٧) ورد الراجز في اللسان مادة [ أوب ] على الوجه الآتي :

كان أوب مائـح ذي أوب أوب يديها برقاق سـهب  
وأورد الجرهري في الصحاح عجز هذا البيت • والأوب السرعة •  
والأوب سرعة تقليب اليدين والرجلين في السير •

(٦٨) هكذا في المخطوطة ، أما في الديوان :

ورمل كأوراك العذارى قطعته إذا جللته مظلمات لحنادس

من قصيدة مطلعها :

أثم تساءل اليوم الرسوم الدوراس بخزوى وهل تدري القفار البسابس

وطعام عمران بن أوفى مثلها ما دام يسلك في البطون طعام

وجاء : قال أبو الحسن [ الأخفش ] روى أبو العباس [ ثعلب ] :

وطعام عمران بن أوفى مثلها •

رد الهاء والألف على الألبان ، وهذا لا نظر فيه ، وروى أيضا مثله لأن

الألبان تجري مجرى اللبن فحملة على المعنى •

هذا ما يتوجه عليه عندي قول أبي حاتم ، وقد يجوز فيه وجه آخر  
وهو أن يكون من صفة الطعن في قوله :

بعضيَّ طعن الحبي لما تحصلوا

لدى جانب الأتلاح من جيب تيمرا (٦٩)

فيكون معناه أن هذه الطعن المتحملة مرت بالساجوم فكسته الوشي  
المصور لما عليها من أنواع الثياب المختلفة ، فكان دمي سقف مرت به فكسته  
ذلك . وهذا كقوله : مرت بنا هند فكان القمر مر بنا فيكون « كسا » في  
هذا الوجه خبر « كان » وذكر الضمير لما قلناه في الوجه الاول . وقد  
قل بعض أهل زماننا أن الصواب في هذا البيت رفع « مزبد » وجعل خبر  
« كان » غرائر ومعناه عنده أنه شبه هذه الغرائر وما على لبائهن من الحلبي  
يدمي سقف وقد أتى عليها الساجوم من زبد ما يشبه الوشي المصور ،  
ويلزم على قوله أن يكون من التشبيه المعكوس للمبالغة على ما ذكرناه .  
وهذا الذي ذكره هذا القائل بعيد جدا عندي من وجوه منها : ان الرواية  
انما هي « مزبدا » بالنصب لا بالرفع ، كذلك وجدناه في نسخ صحاح  
مقروءة على أبي علي البغدادي وغيره من الأئمة المشهورين . وعليه يدل  
قول أبي حاتم : « واسما فزع الى رفعه من اشكال عليه معنى البيت ولم  
يتجه ما قدمنا ذكره » .

ومنها أنه يلزم على قوله أن يكون قوله : « كسا مزبد الساجوم » في  
موضع نصب على الحال من الدمي لان « الدمي » في البيت معرفة بإضافتها  
الى المعرفة ، والحال لا بد فيها من ضمير يعود على صاحبها ، فكان يجب  
على هذا أن يقول : « كساها مزبد الساجوم » فان زعم أنها حذف كسا  
تحذف من الصلة والصفات فذلك غير جائز ، لأن حكم الحال في هذا  
مخالف لحكم الصلة والصفة ، لان الصلة تصير مع الموصول كالشيء

(٦٩) تيمر اسم موضح

الواحد فيطول الكلام فتحذف الهاء تخفيفاً ، والصفة في هذا مضارعة للصلة لأنها تكون مع الموصوف كالشيء الواحد في أكثر المواضع إذا كان الموصوف لا يعلم إلا بها ، والحال ليست كذلك . ومع هذا فإن فاعل « كسا » الذي ارتفع به أجنبي وهو قوله « مزبد الساجوم » فصار بمنزلة قولك : « رأيت هنداً ضرب عمرو » تريد « ضربها عمرو » وهذا شيء لم يخبرنا أحد من البصريين ولا الكوفيين ، لأن الكلام الثاني منقطع من الأول غير ملثم به . وبين لك أيضاً ضعف هذا القول أنه بعيد من جهة المعنى كبعده من جهة الأعراب لأنه قال : شبه الغرائر وما على لبائهن من الحلبي يدمى سقف وقد كساها الساجوم من زبده ما يشبه الوشي المصور ، وتشبيه المزبد بالوشي المصور تشبيه بعيد جداً ، فقد اجتمع في هذا القول كما ترى بعده من جهة المعنى وبعدة من جهة الأعراب ومخالفة الرواية المشهورة .

وقد رأيت فيه تفسيراً آخر لبعض مشيخة عصرنا ذهب إلى أنه يتصل بقوله :

فشبهتهم في الآل لما تكمشوا<sup>(٧٠)</sup>      حدثائق دوم أو سفينا مقبيرا  
وذهب إلى أنه شبه الطعائن على الأبل بالدمى على المرمر ، وشبه السراب لبياضه بالزبد ، وأضرب عن تفسير وجه اعرابه ولم يذكره . وهذا الذي قاله غير خارج عما تقدم ، وينبغي أن يكون اعرابه على نحو ما ذكرناه أولاً في تفسير قول أبي حاتم والغرض الذي قصده وهو معنى حسن متحصل ليس بعيد كما زعم وبالله التوفيق .

المسألة الخمسون في « ربة »

سألت أدام الله عزتك ، وحمى من النوائب حوزتك ، وملكك نواحي

(٧٠) هكذا في الديوان أما في المخطوطة : تلمسوا

النعم ، وبلغت أفاصي الهمم ، عن قول النحويين : ان ربَّ للتقليل ،  
وقلت : كيف يصح ما قالوه وكلام العرب المنظوم والمنثور يشهد بضم ما  
زعموه ، لان القائل اذا قال : رب عالم لقيته ، ورب طعام طيب أكلته ،  
فانما غرضه أن يكثر من لقيه للعلماء ، وما أكله من الطعام الطيب وكذلك  
قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما      ولا سيما يوم بدارة جلجل<sup>(٧١)</sup>  
وقال الأعشى :

رب رقد هرقه ذلك اليوم      وأسرى من معشر أقال<sup>(٧٢)</sup>

لا يليق بهما التقليل لان بيت امرئ القيس بيت افتخار بكثرة الايام  
الصالحة التي تنعم فيها بالنساء ، وان « يوم دارة جلجل » كان أجلها  
وأحسنها . وبيت الأعشى بيت مدح ولم يمدح الذي مدحه بأنه أراق رقد  
واحدا . ومثل هذه الايات - أدام الله عزك - حمل القائلين على أن  
يقولوا : ان رب للتكثير ، مع ان سيويه قال في باب « كم » ومعناها كمعنى  
« رب » فتوهموا أن مذهبه أنها للتكثير :

وقد كان أشكل علي من أمرها قبل قوتي في هذه الصناعة مثل ما  
أشكل عليك ، وحسبت ان أبا القاسم الزجاجي وأبا جعفر بن النحاس  
ونحوهما من صغار النحويين غلطوا في ذلك ، فجعلت أبحث عما قاله فيه،  
جلة النحويين فوجدت كبراء البصريين ومشاهيرهم مجتمعين على أنها للتقليل  
وأنها ضد « كم » في التكثير كالخليل وسيويه وعيسى بن عمرو ويونس  
وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو بن العلاء والاختش سعيد بن مسعدة  
والمازني وأبي عمر الجرمي وأبي العباس المبرد وأبي بكر السراج وأبي

(٧١) رواية التبريزي في شرحه للمعلقات كالآتي :

الارب يوم لك منهن صالح . . . . .

(٧٢) من قصيدته التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال      وسؤالي وما ترد سؤالي



اسحق الزجاج وأبي علي الفارسي وأبي الحسن الرماني وابن حنبل  
والسرافي ، وكذلك جلة الكوفيين كالكسائي والفراء ومعاذ الهراء وابن  
سعدان<sup>(٧٣)</sup> وهشام<sup>(٧٤)</sup> ولم أجد لهم مخالفا في ذلك الا صاحب كتاب العين  
فانه صرح بأنها للتكثير ولم يذكر انها تجيء للتقليل . وهذا من أظرف  
شيء لان « رب » قد كثر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التكثير  
سندكرها اذا انتهينا اليها ان شاء الله تعالى .

ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف : أنها تكون تكثيرا  
وتقليلا . ورأيت قوما من نحويي زماننا هذا ومن قرب زمانه من  
زمانهم يعتقدون انها للتكثير مثل « كم » وكأنهم يعتقدون ان النحويين  
المتقدمين غلطوا فيها ورأيتهم يتكلفون بالمواضع التي ظاهرها التكثير ويغفلون  
المواضع التي لا تحتمل الا التقليل .

ورأيت قوما منهم يحتاجون بقول سيويه في « كم » ان معناها كمسى  
« رب » وقد يتعين على المصنف اذا رأى رأيا يخالف ما رآه المبرزون في  
صناعة من الصنائع أن يتهم رأيه ولا يتسرع في تخطئتهم ، وانما ينبغي أن  
يلتمس حقيقة ما قالوه ، فلسنا نشك في أن الخليل وجميع من سميناه من  
البصريين والكوفيين قد رأوا الآيات التي ظاهرها التكثير كما رآها هؤلاء  
المعرضون عليهم لأنها كثيرة جدا وليس مجيئها للتكثير شاذا قليلا فيتوهم  
انه غاب عنهم لقلته ، بل تكاد المواضع التي ظاهرها الكثرة تكون موازية  
للمواضع التي تقع فيها القلة . فهذا اتفاق جميع ما ذكرناه على ان أصل

(٧٣) هو ابو جعفر بن سعدان الضرير المتوفى سنة ٢٣١ هـ . انظر ترجمته  
في السيوطي بغية الوعاة ٤٥ ، طبقات النحويين للزبيدي ١٥٣ ،  
نزهة الالباء لابن الانباري ص ١٠٧ ارشاد الارب لياقوت ٢٠١/١٨  
(٧٤) هو هشام بن معاوية الضرير النحوي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ .  
انظر ترجمته في انباء الرواة ٣/٣٦٤ ، نزهة الباء ١١٣ ، بغية  
الوعاة ٤٠٩ ، ابن خلكان ١٩٦/٢ ، طبقات النحويين للزبيدي ١٤٧  
نكت الهميان ٣٠٥ .

أن « رب » للتقليل و « كم » للتكثير دليل على أن لهم في ذلك غرضا ينبغي أن يعلم ويوقف عليه . وكذلك قول سيويه أن « كم » معناها كمعنى « رب » لا دليل فيه على أنها للتكثير من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أن سيويه ينازع غيره في قولهم : أن « رب » للتقليل و « كم » للتكثير . والثاني : أن سيويه إذا تكلم في الشواذ في كتابه فمن عادته في كثير منها [ قوله ] « ورب شيء هكذا » ، يريد أنه قليل نادر كقوله في باب « ما وقد » في بيت الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم      إذ هم قریش واذ ما مثلهم بشر<sup>(٧٥)</sup>

وهذا لا يكاد يعرف كما « لات حين مناص » و « رب شيء » ، هكذا . وهو كقول بعضهم « هذه ملحقة جديدة في القلة » فكيف يتوهم عليه أن أراد بقوله : أن معنى « كم » كمعنى « رب » أنها مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه ، وما يستعمله يتكلم عليه في مسائل كتابه بضد ذلك .

والوجه الثالث : أن كل من شرح كتاب سيويه لم يقل أحد منهم أن سيويه أراد بهذا الكلام أن « رب » للتكثير . وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال : إنما قال : أن معنى « كم » لأنها تشارك « رب » في أنهما يقعان صدرا ، وأنهما لا يدخلان إلا على النكرة ، وإن الاسم المذكور الواقع بعدهما يدل على أكثر من واحد ، وإن كان الاسم الواقع بعد « كم » يدل على كثير ، والاسم بعد « رب » يدل على قليل فيختلفان في هذا الوجه . ويختلفان أيضا في أن « كم » اسم ، و « رب » حرف وكذلك قال ابن درستويه والرماني وغيرهما في شرح هذا الموضع من كلام سيويه ، وإن كانت المواضع التي ظاهرها التكثير عنده أو لا توجب أنها للتكثير ، فقد

(٧٥) من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبدالعزيز مطلقها :

زارت سكيئة اطلاقا اناخ بهم      شفاعة النوم للعينين والسهر

يجب أن تكون المواضع التي ظاهرها التقليل توجب أن تكون للتقليل .  
ولا أثل من أن يتعادل الأمران عندهم فيقول : أنها تكون قليلا وتكثيرا  
كما قال أبو نصر الفارابي . وأنا أوصل في « رب » أصلا ينبغي تفريع  
مسائلها عليه ويصرح بما أشاره أهل هذه الصناعة المتقدمون إليه أن  
شاء الله تعالى .

### « باب الكلام على « رب » وحقيقة وضعها »

أعلم أن « رب » و « كم » بيا على التناقض في أصل وضعهما . لا أن  
أصل « رب » للتقليل ، وأصل وضع « كم » للتكثير . هذه حقيقة وضعهما . ثم  
يعرض فيهما المجاز للمبالغة وغيرها من الأغراض ، فيقع كل واحد منهما  
موقع صاحبتها ، وهذا سبيل المجاز لأنه عارض يعرض للنسيء فيستعار في  
غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها ، ومثل ذلك المدح  
والذم وإنهما وضعاً على التناقض في أصل وضعهما ، ثم يعرض لهما المجاز  
فيستعمل الذم مكان المدح كقول القائل : « أخزاه الله ما أشعره » ولعنه الله  
ما أفصحه » . ويستعمل المدح مكان الذم فيقال للاحمق : « يا غافل » ،  
وللجاهل : « يا عالم » ، وللبخيل : « يا جواد » ، وذلك على سبيل الهزء .  
قال الله تعالى : حكاية عن قول شعيب أنهم قالوا له : « انك لأنت الحليم  
الرشيد » (٧٦) ، وقال لفرعون « ذق انك أنت العزيز الكريم » (٧٧) ومثله  
قول الشاعر :

وقلت لسيدنا يا حكيماً انك لم تأس سوءاً رفيقاً

وقال بعض شعراء اليمن يخاطب جريراً :

أبلغ كلياً وأبلغ عنك شاعرها اني الأعز وأني زهرة اليمن  
فأجابه جرير فقال :

(٧٦) سورة هود ، الآية ٨٧

(٧٧) سورة الدخان ، الآية ٤٩

ألم يكن في وسوم قد وسمت به من حان موعظة يا زهرة اليمن<sup>(٧٨)</sup>  
 فسماء « زهرة اليمن » حكاية لقوله ، وهزما به . وكذلك التذكير  
 والتأنيث نقيضان في أصل وضعهما ثم يلحقهما المجاز فيقع كل واحد منهما  
 موقع صاحبه مع حفظه لأصله الذي وضع عليه ، فيقولون للرجل : علامة  
 ونسابة ، ويرون أنه أبلغ من قولهم : علام ونسأب ، ويقولون : امرأة  
 ظاهر وعقر وحاسر ، ويرون ذلك أبلغ من التأنيث لو جاءوا به وهنا .  
 ووجه المبالغة عندهم في هذا أن النقيضين إنما بينهما حد يفصل بعضهما من  
 بعض ، فإذا زاد أحدهما في حده انعكس الى ضده ، لأنه لا مذهب له  
 يذهب اليه اذ لا واسطة بينهما ، ولذلك قال الشاعر :

..... وشر السدائد ما يضحك

<sup>١</sup> وقال أبو الطيب المتنبى :

ولجدت<sup>(٧٩)</sup> حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى ومن السرور بكاء<sup>(٨٠)</sup>

وقل أبو العلاء المعري :

[فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته] فقد تدمع العينان من شدة الضحك<sup>(٨١)</sup>

وعلى الثاني هذا السيل من المجاز يضعون النفي موضع الايجاب ،  
 والايجاب موضع النفي ، ويخرجون الواجب بصورة الممكن ، والممكن  
 بصورة الواجب وغير ذلك من المجازات التي تكثر ان ذكرناها وتخرجنا عن  
 الغرض الذي نحن بصدده ، وقاصدون نحو مقصده . فكما ان وقوع

(٧٨) سبقنا الإشارة الى هذا البيت :

(٧٩) هكذا في الديوان ، اما في المخطوطة : ومجدت

(٨٠) من قصيدة مطلعها :

أمين ازديارك في الدجى الرقباء اذ حيث كنت من الظلام ضياء  
 (٨١) رواية الديوان :

فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته فقد تدمع الاحداق من كثرة الضحك  
 ومطلع القصيدة :

وصغراء لون التبر مثلي جليدة على نوب الايام والعيشة الضنك



بعض هذه الأشياء موضع بعض لا يبطل أصل وضعها فكذلك موقع « رب »  
موقع « كم » و « كم » موقع « رب » لا يبطل أصل وضعهما على ما نذكر ان  
شاء الله تعالى .

« باب ذكر المراضع التي تقع فيها « اب » للتقليل والتخصيص على  
حقيقة وضعها »

فمن ذلك قول العرب اذا مدحوا الرجل « ربه رجلا » وهو شبه  
بقولهم : لله دره رجلا . وهذه مسألة قد اتفق عليها البصريون والكوفيون  
فاطبة ونص عليها سيويه في كتابه . وهذا تقليل محض لا يتوهم فيه  
كثرة . لان الرجل لا يمدح بكثرة النظراء والأشباه ، وانما  
يمدح بقلية النظير أو عدمه بالجملة . وكذلك في التعجب :  
انه ما خفى سيبه وخرج عن نظائره ، وانما يريدون بقولهم : « ربه رجلا »  
انه قليل غريب في الرجال ، فكأنهم قالوا : ما أقله في الرجال وما أشده  
فيهم . ويدل على ذلك تصريحهم في المدح بلفظ القلة في نحو قولهم :  
« قل من يقول هذا ، وتل من يعلم ذلك الا زيد ونحو ذلك » .

قال أبو عبيدة : الأسد توصف بالقدح<sup>(٨٢)</sup> ، وهو أن تقبل الرجل  
الواحدة على الأخرى ، وربما كان القدح أن يتقلب الرسغ الى الجانب  
الوحشي . أراد أن هذا قليل والاول هو الأكثر .

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل » وكانت الخنساء وليلى مباينتين  
في أشعارهما لأكر الفحول ، وربما امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون  
ذلك ،<sup>(٨٣)</sup> والجملة ما قال الله عز وجل : « أو من يشأوا في الحيلة »

(٨٢) لم تشر كتب اللغة الى قول أبي عبيدة في القدح ، فليس هو مختصا  
بالأسد بل مطلق عام .

(٨٣) ورد الخبر في الكامل للمبرد [ طبعة زكي مبارك ] ١٢١٣/٣ على الوجه  
الآتي : « وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما ، متقدمتين لأكثر  
الفحول ، ورب امرأة تتقدم في صناعة ، وقلما يكون ذلك »

وهو في الخصام غير ميين . (٨٤) \* وما جاءت فيه « رب » بمعنى القلة قول  
العرب : وربما خان الأمير وربما سفه الحليم \* أي أن هنا قد يكون ، وإن  
كان الأكثر غيره كما قال فيس بن زهير (٨٥) :

أظن الحلم دلّ عليّ قومي      وقد يستجهل الرجل الحليم (٨٦)  
وقال سالم بن وابصة (٨٧) :

لا تفتقر بصديق أنت تحضه      وخفه خوفك من ذي الغدر والملق  
إن الزلال وإن أنجاك من غصص      دأبنا فربما أرداك بالشرق  
وقل أعشي باهلة (٨٨) :

لا يبطرون ذا مقة أحبابه      وربما أردى الفتى لعابه  
وقال حاتم الطائي (٨٩) :

إني لأعطي سائلي ولربما      أكلف ما لا يستطيع فأكلف  
وقال زهير :

(٨٤) سورة الزخرف . الآية ١٨  
(٨٥) هو فيس بن زهير بن جذيمة بن واحة العيسبي ، أمير عيس وداعيتها  
واحد السادة القادة في حرب العراق توفي سنة ١٠ هـ انظر الميداني  
١٨٤/١ ، ابن أبي الحديد ١٥٠/٤ خزانة الادب ٥٣٦/٣ ، سبط  
اللائي ٥٨٢ .

(٨٦) انظر شرح الحماسة للتبريزي ٣٩٧/١ ، والمبيت من قصيدة مطلعها:  
« نعلم أن خير الناس ميت على جحر الهباءة لا يريم »  
(٨٧) هو سالم بن وابصة بن معبد الاسدي ، أمير شاعر ، من أهل الحديث  
دمشقي سكن الكوفة ، انظر سبط اللائي ، ص ٨٤٤ .  
(٨٨) هو أعشي باهلة عامر بن العباد بن رباح الباهلي من  
همدان ، شاعر جاهلي يكنى أبا قحطان . انظر خزانة الادب ٩٠/١ ،  
سبط اللائي ٧٥ .  
(٨٩) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرح الطائي ، كان فارساً جواداً .  
انظر خزانة الادب ٤٩٤/١ ، الشريشي ٣٣٢/٢ .

وابيض فياض يدهاء غمامة على معنفيه ما تُغَبّ فواضله<sup>(٩٠)</sup>  
وهذا خصوص لا وجه فيه للتكثير ، لانه انما أراد بالابيض حصن بن  
حذيفة بن بدر الفزاري ، ولم يرد جماعة كثيرة هذه صفتهم \* ألا تراه  
يقول بعده :

حذيفة ينميه وبدر كلاهما الى باذخ يعلو على من يطاوله  
وقال خوات<sup>(٩١)</sup> بن جبير الأنصاري صاحب ذات النخين<sup>(٩٢)</sup> :  
وذات عيال واتقين بعقلها خلجت لها جوار استها خلجان  
وانما أراد بقوله : ذات عيال ذات النخين وحدها ، ولم يرد أنه فعل  
هذه القصة مرارا كثيرة \* وكذلك قوله<sup>(٩٣)</sup> في هذه القضية :  
وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله  
وانما أراد حاج بين حبه وحبها من الحرب فسيب هذه الغمة ولم يرد  
أهل أخية كثيرة \* وقال صخر بن [ عمرو ] بن الشريد أخو الخنساء<sup>(٩٤)</sup>  
وذئ أخوة قطعت أقران بينهم كما تركوني واحدا لا أخا ليا<sup>(٩٥)</sup>  
وانما أراد بذئ ههنا زيد بن حرملة الحربي ، وهو الذي قتل أحماء  
معاوية لما قتله بأخيه أشد هذا الشعر \* وقوله \* كما تركوني واحدا لا

- 
- (٩٠) قال زهير من قصيدة مطلعها :  
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعمرني اقراس الصبا وزواجله  
(٩١) هو الصحيح بتشديد الواو ، اما في المخطوطة : خراث  
(٩٢) ذات النخين قصة لامرأة من تم الله بن ثعلبة ومثلها مشهور \* انظر  
اللسان مادة \* نحا \*  
(٩٣) القصود زهير بن ابي سلمى \*  
(٩٤) هو صخر بن لحارث بن الشريد الرياحي السلمي المتوفى سنة ١٠  
للهجرة \* وهو اخو الخنساء ، من الفرسان والغزاة \* انظر النويري ،  
عيون الاخبار ٣٦٦/١٥ ، المبرد ، الكامل ٢٦٦/٢ ، التبريزي ، شرح  
الحماسة ١١٠/٣ \*  
(٩٥) هكذا في المراجع ، اما في المخطوطة : \* وذئ اخوة قطعت افراق  
بينهم \* \*

أحد ١٠ يبطل معنى الكثرة ههنا ، لأن الذين تركوه بلا أخ إنما كانوا بني  
حرمة ، ولم يكن له أخ قتل غير معاوية . وقال بعض شعراء غسان يصف  
وقعة كانت بينهم وبين مذحج في موضع يعرف بالبقلاء :  
وقوم على البقلاء لم يك مثله على الأرض قوم في بعيد ولا دان  
وأشدد سبيويه وغيره من النحويين :

ويوم شهدناه سليم وعامر قليل سوى الطعن النيهال توافله (٩٦)  
وقال ابن مخلاة الحمار (٩٧) في يوم مرج راهط :

ويوم ترى الرايات فيه كأنها حوائث طير مستدير وواقع (٩٨)  
فهؤلاء إنما وصفوا أياما مخصوصة بأعيانها يرى ذلك أيضا إذا نظر  
في أخبار هذه الأشعار التي قلت فيها ، وذلك ما أنشده النحويون من  
قوله (٩٩) :

ونار قد حضأت بعيد وهن (١٠٠) بدار ما أريد بها مقاما  
وهذا شعر مشهور ، ولا معنى فيه للكثرة لأنه إنما وصف قصة  
جرت له مع الجبن مرة واحدة . ونحن نذكر أبياتا كثيرة من أشعار المحدثين  
في جميعها أن « رب » للتقليل كثر استعمالها فلم ينكر أحد من العلماء عليهم  
فصارت لذلك كأنها حجة فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

عسى وطن يدنو بهم ولعلم وإن تعب الأيام فيهم فربما (١٠١)

(٩٦) انظر كتاب سيبويه ٩٠١/١ ونسبة الى البيت رجل من بني عامر .

(٩٧) هو عمرو بن المخلاة من كلب . انظر الاغانى [مطبعة التقدم] ١١٢/١٧ .  
١١٥/١٠ - ١٢٣ .

(٩٨) من مقطوعة اولها :

مضى اربع بعد اللقاء واربع وبالرج باق من دم القوم نافع

(٩٩) البيت لتأبط شرا انظر « اللسان » مادة « حضأ » .

(١٠٠) هكذا في المخطوطة اما في اللسان : هـ .

(١٠١) مطلع قصيدة يمدح بها بن يوسف الشفري .



يريد : ربما اعتبت في بعض الاحيان ، وقال أبو الطيب المتنبي :

ربما تحسن الصنيع لياله ولكن تكدر الاحسانا<sup>(١٠٢)</sup>  
وقال :

ولربما أطر القناة بفارس وثني فقوّمها بآخر منهم<sup>(١٠٣)</sup>  
وقال :

ويوم كليل العائقين كمتته اراقب فيه الشمس أيا ن تغرب<sup>(١٠٤)</sup>  
وقال يهجو كافورا :

وأسود أما القلب منه فضيق تحيفا وأما بطنه فرحيب<sup>(١٠٥)</sup>  
وقال يمدحه :

وأبلج يفضي باختصاصي مشيره عصيت بقصديه مشيري ولو لمي<sup>(١٠٦)</sup>  
وانما عني بالأبلج كافورا وبمشيره ابن حنزية وزيره وكذلك قوله  
لسيف الدولة :

علينا لك الأسعاد ان كان نافعا بشق قلوب لا بشق جيوب  
ورب كئيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير كئيب<sup>(١٠٧)</sup>

---

(١٠٢) من قصيدة مطلعها :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وغناهم من شأنه ما عانا

(١٠٣) من قصيدة مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضا نظرت وخلت أني أسلم

(١٠٤) من قصيدة مطلعها :

اغالب فيك الشوق والشوق أغلب واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

(١٠٥) لا توجد هذه القصيدة في الديوان ( شرح العكبري ) \*

(١٠٦) هكذا البيت في الديوان ، اما في المخطوطة : وأبلج يفضي باختصاصي  
مشيره \* وهو من قصيدة مطلعها :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يمت خير 'ميمم

(١٠٧) هذا البيت في الديوان ، اما في المخطوطة :

ورب لبيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير لبيب

ومطلع القصيدة :

وقد أوضح ما أراد من التقليل هنا في موضع آخر فأخرجه بغير لفظ رب وهو :

وفي الأجباب مختص بوجد      وآخر يدعى معه اشتراكاً<sup>(١٠٨)</sup>  
ومن أشعار المحدثين قوله :

الحر طلق ضاحك ولربما      تلقاه وهو العابس المتجهم  
وقال آخر :

احذر عدوك مرة      واحذر صديقك ألف مرة  
فلربما انقلب الصديق      فكان أعلم بالضرر  
وقال عدي بن زيد<sup>(١٠٩)</sup> وقد أغفلنا ذكره في الشعراء المتقدمين :

يا ليني أوقدي النارا      ان من تهوَّين قد جارا<sup>(١١٠)</sup>  
رب نار بت أرمقها      تقضم الهندي والغارا  
عندها ظبي يؤرثها      عاهد في الجيد تقصارا  
فبين في الشعر أنه أراد ناراً تبين وحدها وقد أوضح ذلك المعري بقوله :

ليست كنار عدي نار عادية      باتت تُشَبَّ على أيدي مصاليتا<sup>(١١١)</sup>

(١٠٨) من قصيدة يمدح بها أبا شجاع عضد الدولة ويودعه مطلعها :  
فدى لك من يقصر عن مداكا      فلا ملك اذن الا فداكا

(١٠٩) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي المتوفي سنة ٣٥٠ هـ .  
شاعر جاهلي من اهل الحيرة . انظر : خزانة الادب للبغدادي ١/ ١٨٤ ،  
الاغاني ( دار الكتب ) ٩٧/ ٢ ، السيوطي ، شرح الشواهد ص ١٦١  
الشعر والشعراء ص ٦٣ ، المزباني ص ٢٤٩ .

(١١٠) رويت الابيات في الاغاني ١٤٧/ ٢

(١١١) من قصيدة يخاطب بها أبا القاسم علي بن ابي الفهم القاضي التنوخي ،  
مطلعها :

هات الحديث عن الزورا ، او هيتا      وموقد النار لا تكرى بتكرينا

وما لي بني وإن عزت بربتها      لكن غدتها رجال الهند تربتها<sup>(١١٢)</sup>  
ومما تأتي فيه رب للتقليل والتخصيص أتيانا مطردا ويرى ذلك من  
تأمل الأشعار التي في الألفاظ والأشعار التي يصف فيها الشعراء أشياء  
مخصوصة بأعيانها ، فأنهم كثيرا ما يستعملون « رب » في أوامها مصرحا بها  
أو الواو التي تنوب مناب « رب » كقول ذي الرمة :

وجارية ليست من الأنس تشتهي      ولا الجن قد لاعتها ومعى ذهني  
فأدخلت فيها قيده شبر موفر<sup>(١١٣)</sup>      فصاحت ولا الله ما وجدت ترني<sup>(١١٤)</sup>  
فلما دنت امرأة الماء انصت<sup>٥</sup>      لأعزلة عنها وفي النفس أن أنسى  
وانما وصف بكرة يستقي عليها ماء \* وكذلك قول الآخر :

رب نهر رأيت في جوف خرج      يرامى بموجه الزخار  
ونهار رأيت منتصف الليل      ويسل رأيت نصف نهار  
وثلاثين ألف شيخ فعودا      فوق غصن ما ينتهي لانكسار  
يعني بالخرج الوادي الذي لا منفذ له ، وبالنهار فرخ الحباري ،  
وبالليل فرخ الكروان ، وبالشبح الرذاذ الصغير من المطر \*  
وقال الأغلب العجلي<sup>(١١٥)</sup> ووصف ثعلبا أرسل عليه كلبا فققره :

(١١٢) هكذا البيت في الديوان [ طبعة صادر ] ، أما في المخطوطة :

وما تبين وإن عزت بربتها      لكن عزتها رجال الهند تربتها

(١١٣) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

فأدخلت فيها قيده شبر موفر      فصاحت ولا والله ما وجدت ترني

(١١٤) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن بني عجل ، شاعر راجز

معمر أدرك الجاهلية والإسلام استشهد في واقعة نهاوند \* انظر خزانة

الأدب للبهقادي ١/ ٣٣٣ ، المؤلف والمختلف ص ٢٢ سبط اللآلي \*

وتعلب بات قرير العين      لاقى مع الصبح غراب البين  
وقد عدا مجتمع الشخصين      فاستقبلته بحضور الحين  
طلعة كلب أغضف الأذنين      فمرَّ بهوي ثابت السافين  
الى وجار بين صخرتين      والكلب منه راكب المتنين  
فلم يرغبه غير روغنين      حتى رأيت شلوه نصفين  
قال يصف صقراً :

يا رب صقر يفرس الصقورا      ويكسر العقبان والنسورا  
فرَّ الاوز منه مستجيرا  
وقال ابن الرومي :

درازقي مخطف الخصور      كأنه مخازن البلور<sup>(١١٥)</sup>  
وقال أبو الطيب وفد أمره أبو العشائر أن يصف بطيخة مر عليها  
عقد :

وسوداء منظوم عليها لآلىء      لها صورة البطيخ وهي من الند  
وكذلك قوله في نزهة أمره أبو علي الأوراجي أن يصفها<sup>(١١٦)</sup> :  
ومنزّل ليس لنا بمنزل      ولا لغير الغايات العُطل  
وكذلك قوله في صفة جبل شاهده مع ابن طنج<sup>(١١٧)</sup> :  
وشامخ من الجبال أمرد      جرد كفافوخ البعير الأصيد<sup>(١١٨)</sup>

(١١٥) من أرجوزة يصف فيها العنب الرازقي \* انظر الديوان \*  
(١١٦) في الديوان قالها ارتجالاً يصف كلباً أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي \*  
(١١٧) في الديوان : واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلمان خشفاً  
فالتفتته الكلاب فقال أبو الطيب مرتجلاً \*  
(١١٨) هكذا في المخطوطة ، أما رواية الديوان :  
وشامخ من الجبال اقود      فرد كفافوخ البعير الأصيد



وانما أراد منزلا معينا وجبلا معينا ، ويدل على ذلك قوله :  
 [ في مثل من المسد المعقد ] زروا للأمر الذي لم نعهد  
 وكذلك قوله في اللعبة التي امتحنه فيها ابن طفج<sup>(١١٩)</sup> :

وذا ن غدا ن لا عيب فيها سوى ان ليس تصلح للعناق  
 قال الاستاذ - أعزه الله - فهذه المواضع كلها « رب » فيها للتقليل ،  
 وهي كثيرة جدا وانما نخيرت منها أوضحها . وهذه حقيقة رب وموضوعها  
 والله أعلم .

- باب ذكر المواضع التي وقعت فيها « رب » بمعنى التكثير على طريق المجاز

انما تأتي « رب » بمعنى التكثير في معظم أحوالها في المواضع التي  
 يذهب فيها الى الافتخار والمباهاة كقول القائل : « رب عالم لقيت » ورب  
 يوم سرور شهدت ، لان الافتخار لا يكون الا بما كثر من الامور في الغالب  
 من أحواله ، وقد يكون لقاء الرجل الواحد أذهب في الفخر من لقاء  
 الجماعة ، ولكن الاول هو الاكثر فمن ذلك قول امرئ القيس :  
 ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل<sup>(١٢٠)</sup>  
 وقوله :

فان أمس مكروبا فيا رب بئمة كسفت اذا ما اسودَّ وجه جبان  
 وان أمس مكروبا فيا رب قنية منعمة أعملتها بكران<sup>(١٢١)</sup>

(١١٩) جاء في الديوان : وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار .

(١٢٠) هكذا في المخطوطة ، أما رواية الديوان وشرح المعلقات للتبريزي :  
 الا رب يوم لك منهن صالح

(١٢١) هكذا في الديوان ، اما في المخطوطة :  
 وان أمس مكروبا فيارب منية

ومطلع القصيدة :

لن تطل ابصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمانى

وقوله :

وخرقٍ بعيد قد قطعت نياطه      على ذات لوثٍ سهوة المشي مذعان  
ومجر كفلانٍ الأنعم بالغ      ديار العدو ذي زهاء وأركان (١٢٢)  
فهذه مواضع لا يليق بها إلا التكثير . وكذلك قول أبي كبير  
الهذلي (١٢٣) :

أزهير أن يشب القذال فانه 'رب' هيفل لجب لفقت بهيفل (١٢٤)  
وكذلك قول أبي عطاء السندي يرثي عمر بن هبيرة الفزاري (١٢٥) :  
فان تمس مهجور الفناء فرما      أقام به بعد الوفود وفو  
وهذا النوع من الشعر كبير جدا . والفرق بين هذا الباب والباب  
الاول ، أن الاول حقيقة « رب » ، وهذا الباب مجاز يعرض لها كما  
يعرض للمدح أن يخرج مخرج الذم ، وللتذكير أن يخرج مخرج التأنيت ،  
وللتأنيت أن يخرج مخرج التذكير كما ذكرنا في الباب الاول . ومن الفرق

(١٢٢) هكذا في الديوان ، اما رواية المخطوطة :

وخرقٍ بعيد قد قطعت نياطه      على ذات لوثٍ سمرة المشي مذعان  
وتجر كفلاب الا نيعم بالغ      ديار العدو ذي زهاء وأركان  
ومطلع القصيدة :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان      وسم عفت آياته منذ ازمان  
(١٢٣) هو ابو كبير الهذلي عامر بن الحليس من شعراء الحماسة . انظر  
التبريزي ٤١/١ ، خزنة الادب ٤٧٣/٣ ، الشعر والشعراء ٢٥٧ ،  
سبط اللائي ٣٨٧ .

(١٢٤) هكذا في « اللسان » ، اما في المخطوطة : [رب هيفل لجب لفقت]  
بهيفل ] .

(١٢٥) هو اقلح بن يسار السندي ابو عطاء ، شاعر فحل ، من مخضرمي  
الدولتين . انظر فوات الوفيات ٧٣/١ ، التبيري ٣٠/١ ، من  
الدولتين . انظر فوات الوفيات ٧٣/١ ، التبيري ٣٠/١ ، الخزنة  
١٧٠/٤ . ذكر ابن قتيبة : قيل اسمه مرزوق .

بينهما ان « كم » يصلح استعمالها في هذا الباب مدونة - ب » ولا يصلح ذلك في الباب الاول . ولذلك نجد المعنى الواحد في هذا الباب يأتي بلفظ التقليل مرة ، و بلفظ الكثير مرة كقول رجل من فقهاء ، أشد أبو تمام في الحماسة :

وذوي طباب مظهرين عداوة مرضى القلوب معاودي الأفاء (١٢٦)  
 ناسيتهم بغضائهم وتركهم وهم اذا ذكر الصديق أعادى  
 كما أعدهم لأبعد منهم ولقد يجاء الى ذوي الاحقاد  
 وقال ربيعة بن مفرغ (١٢٧) في نحو من هذا الشعر أشده أبو تمام :  
 وكم من حامل لي ضبة ضغن بعيد قلبه حلو اللسان  
 ولكني وصلت الجبل منه مواصلة بحبل أبي بيان  
 ففرض الشاعر في هذا الشعر واحد . وقد أخرج أحدهما بلفظ  
 التقليل ، وأخرج الآخر بلفظ الكثير فدل ذلك على ان « كم » و « رب »  
 يتعاقبان على الشيء الواحد في هذا الباب . وربما جمعهما الشاعر في شعر  
 واحد كقول عمارة بن عقيل (١٢٨) :

فان تكن الأيام شين مفرغي وأكثرن أشجاني وبلغن من غرب  
 فيا رب يوم قد شربت بمشرب شفيت به غيم الصدى بارد عذب  
 وكم ليلة قد شتها غير أتم بشاجية الحجلين مفعمة القلب  
 ألا تراه قد أورد تكبير أبامه ولياليه فأخرج بعض ذلك بلفظ « رب »  
 وبعضه بلفظ « كم » ورأى الأمن سواء . فان قال قائل : اذا كانت « رب »

(١٢٦) لم ترد الأبيات في حماسة أبي تمام الى اي من الفقهاء .  
 (١٢٧) الصحيح هو : يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ . انظر الخزانة  
 ٢١٢/٢ ، ارشاد الأريب ٢٩٧/٧ ، والشعر والشعراء ٢١٩ .  
 (١٢٨) هو عمارة بن عقيل بن جرير الشوفي سنة ٢٣٩ هـ . انظر تاريخ  
 بغداد ٢٨٢/١٢ .

في أصل وضعها وحقيقتها للتقليل تقيضة «كم» فما الوجه في استعمالهم إياها  
في مواضع التكرير التي لا تليق إلا بكم ؟

فالجواب : أن ذلك لأغراض يقصدونها : فمنها أن المفتخر يزعم  
أن الشيء الذي يكثر وجوده منه يقل وجوده من غيره \* وذلك أبلغ في  
الامتداح والفخر من أن يكثر من غيره ككثيرته منه فاستعيرت لفظة التقليل  
في موضع التكرير اشعاراً بهذا المعنى كما استعيرت ألفاظ الذم في موضوع  
المدح : أخزاه الله ما أفصحه ، ولعنه الله ما أفصحه ، اشعاراً بأن الممدوح قد  
حصل في مرتبة من يشتم حسداً له على فضله ، لأن الفاضل هو الذي  
يحسد ويوقع في عرضه والناقص لا يلتفت إليه وقد خرج الشاعر بهذا  
في قوله :

ولا خلوت الدهر من حاسد      وإنما الفاضل من يحسد

ولذلك قال بعض العرب : السيد من إذا أقبل همماً ، وإذا أدبر  
عباً \* وكذلك استعارة ألفاظ المدح في موضع الذم فكون ذلك أشد على  
المذموم بلفظ الذم بعينه ، لأن في ذلك مع الذم نوعاً من الهزء كقولهم  
للأحمق : يا عاتل ، وللجاهل : يا عالم \* وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ،  
فكذلك إذا استعيرت لفظة التقليل مكان التكرير كان أبلغ من لفظ التكرير  
المحض ، ولو وقع ههنا \* وكذلك يستعيرون «كم» في موضع التقليل على  
وجه الهزء فيقولون : كم بطل قتل زيد ، وكم ضيف قري ، وهو لم  
يقتل بطلاً قط ولم يقر ضيفاً فيكون أبلغ من قولهم : هو جبان وهو جواد \*  
وبدل على أن هذا غرضهم في ذكر «رب» في هذا الموضع أنهم قد خرجوا  
به فيم واضح كثيرة من أشعارهم كقول سالم بن وابصة :

وموقف مثل حد السيف قمت به      أحمي الذمار وترميني به الحدق



فما زلقت ولا أبديت فاحشة إذا الرجال على أمثالها زلقوا (١٢٩)  
ألا تراه يفتخر بأن هذا الموقف يكثر منه مع قلة وجوده من غيره \*  
ومثله قول الآخر :

يا رب ليلة هولٍ قد سریت بها إذا تضجع عنها العاجز الوكل  
وكذلك قول العجاج (١٣٠) :

ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أدرجا  
إذا رداء ليلة تدجدجا علوت أحشاه إذا ما أحنجا (١٣١)

ونظير هذا في أن له نسبتين مختلفتين : نسبة كثرة إلى المفتخر ،  
ونسبة قلة إلى من يعجز عنه فيأتي تارة على نسبة القلة بلفظ «رب» أنهم  
إذا سموا رجلا بالحارث والعباس والحسن ونحو ذلك من الصفات فربما  
أقروا فيها الألف واللام مراعاة لمذهب الصفة التي انتقلت عنها ، وربما  
حذفوا الألف واللام مراعاة لمذهب العلم الذي صارت إليه ، فتكون نسبتان  
مختلفتان تأتي أحدهما تارة ، والآخرى تارة \* .

ونظير اجتماع القلة والكثرة في هذا الباب لغرض من الأغراض  
اجتماع اليقين والشك في قولهم : قد علمت أزيد عندك أم عمرو \* وهذا  
كلام ظريف على ظاهره ، لأن الذي يدعي العلم لا يستفهم ، والذي

---

(١٢٩) هكذا في التبريزي ٢/٢٣٦ ، أما في المخطوطة :

فما زلقت ولا أبليت فاحشة . . . . .

(١٣٠) هو عبدالله بن روبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي ، راجز مشهور  
انظر شرح شواهد المغني ، الشعر والشعراء ص ٢٣٠ \*

(١٣١) هكذا في المخطوطة ، أما في الديوان \*

عصرا وخضنا عيشة المعذجا ومهبة هالك من تعرجا  
هائلة أهواله من أدلجا إذا رداء ليلة تدجدجا  
ومطلع الأرجوزة :

ما حاج احزاننا وشجوا قد شجنا من طلل كالاتحيم انهجا

يستفهم لا يدعي العلم ، وإنما تأويله قد علمت حقيقة ما يستفهم غيره عنه •  
فهذا وجه من وجوه التقليل في هذه الاشياء • وقد يدخلها معنى التقليل على  
وجه آخر وهو أن القائل قد يقول : « رب عالم قد لقيت » وهو قد لقي  
كثيرا من العلماء ولكنه يقلل من لقيه تواضعا ، ويكون أبلغ من التكثير ،  
لأن الإنسان إذا حقّر نفسه تواضعا ثم افتخر فوجد أعظم مما يقول جل  
قدره • وإذا عظم نفسه وأنزلها فوق منزلتها ثم امتحن فوجد دون ذلك  
هان على من كان يعظمه • فهذا وجه من التقليل الذي يستعمل في هذه  
المسائل التي معانيها معاني الكثرة • وقد يدخلها التقليل على معنى ثالث  
وهو قول الرجل لصاحبه « لا تعادني فربما ندمت » وهذا موضع ينبغي أن  
تكثر فيه الندامة ، وليس بموضع تقليل وإنما تأويله أن الندامة على هذه  
لو كانت قليلة لوجب أن يتخلف ما يؤدي إليها فكيف وهي كثيرة ، فصار  
لفظ هذا أبلغ من التصريح بلفظ التكثير • وعلى هذا تأول النحويون قول  
الله تعالى : « ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين » (١٣٢) على نحو هذا  
يتأول قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل

وقول أبي كبير الهذلي :

أزهير أن يشبّ القذال فإنه « رب هيفل لجب لفقت بهيفل

إن استعارة لفظ التقليل هنا إشارة إلى أن قليل هذا فيه فخر لفاعله  
فكيف كثيره • وأما قول أبي عطاء السندي في رثاء عمر بن هبيرة الفراري :

فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

فقد يتأول على نحو هذا المعنى • ويحتمل أن يريد أن مدة حياته  
التي كثر عليها فيها الوفود كانت قليلة • فعلى نحو هذه التأويلات تأول

(١٣٢) سورة الحجر ، الآية ٢

التحويون الذين أصلوا أن « رب » للتقليل هذه الأشياء التي ظاهرها  
 الكثير . ومن قال في هذا الموضع انها للتكثير تلقى الكلام على ظاهره ، ولم  
 يدقق الكلام فيها هذا التدقيق ولم يقسمها الى الحقيقة والمجاز كما فعلنا  
 نحن والحمد لله كثيرا لما هو أهله .

### المسألة الثالثة والخمسون :

الجواب - رضى الله عنك وأرضاك - هل تسمي المعز اذا انضردت  
 ولم يخالطها شيء من الضأن غنما حقيقة أو استعارة أو مجازا . وما أراد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم » . هل  
 أراد بذلك الضأن والمعز ، وكذلك ما ورد في القرآن من قوله تعالى :  
 « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرت إذ نفثت فيه غنم القوم وكن  
 لحكمهم شاهدين » (١٣٣) .

وقوله تعالى : « أهنس بها على غنمي » (١٣٤) . هل أراد الضأن والمعز  
 والله يعلم لك في شرح الجواب أجرا ويجزل لك به دخر الجنة .

الجواب : من اللغويين من لا يسمي المعز غنما حتى يختلط به ضأن ،  
 كما لا يسمي غير الأبل نعما حتى يختلط به ابل . ولأجل هذا قال ابن  
 قتيبة في « أدب الكاتب » : يقال للضأن الكثيرة « ثلثة » ، وللمعزى الكثيرة  
 « حيلة » ، وإذا اجتمعت الضأن والمعز وكثرنا قيل لهما : ثلاثه . وقال  
 الخليل في كتاب « العين » المعز ذوات الشعر من الغنم فجعل المعز كما ترى  
 نوعا من الغنم . وذكر من تكلم في الأمثال أن العرب تقول في أمثالها :  
 « لا أقبل في ذلك معزى الفزر حتى تجتمع معزى الفزر » وقال يعقوب  
 وغيره : ان الفزر هو زيد بن سعد مائة بن تميم ، بل هو سعد بن زيد  
 مائة بن تميم ولقب الفزر لانه كانت له معزى فقال له هيرة : يا بني

(١٣٣) سورة الانبياء ، الآية ٧٨

(١٣٤) سورة طه ، الآية ١٨

اسرح بمعزاك فزعها ، فقال : والله لا أزعها من حبل ، فقال لابنه  
صعصعة : اسرح بغمك ، فقال : والله لا اسرحها العرة للفتى هيرة ،  
فغضب سعد وسكت على ما في نفسه حتى اذا أصبح غدا بالمعز الى سوق  
عكاظ والناس مجتمعون فقال : الا ان هذه معزى فلا يحل لرجل أن يدع  
أن يأخذ منها شاة ، ولا يحل لرجل أن يجمع منها شاتين فأفهمها الناس .  
وذكر أبو عبيدة عن ابن الكلبي أنه قال : من أخذ منها واحدة فهي له ،  
ولا يؤخذ منها فرز وهو اثنان ، فضرب بها المثل فقال رجل من بني سعد :  
قد انقلب المعزى فبرت يمينه وما ضر سعدا ما له المنتهب

وأشد يعقوب لشبيب بن البرماء :

ومرة لبسوا نافعك ولن تدع لهم مجمعا حتى ترى غنم الفزر (١٣٥)

فسماها أحد الشعارين معزا ، وسماها الثاني غنما . وذكر يعقوب  
في مساق كلامه : أنه قال لابنه هيرة : اسرح بمعزاك ، وأنه قال لابنه  
صعصعة : اسرح بغمك غنما ، ومرة معزا . وقال في مساق الحكاية :  
ولا يحل لرجل أن يأخذ منها شاة ، ولا يصح أن يجمع منها شاتين .  
فسماها شاة كما ترى . والمشهور من أمر الشاة . انها الغنم . وقد قال  
الخليل في كتاب العين : الوعل من شاء الجبل ، فأوقع اسم الشاة على  
الاولع . وقد سماوا الطيبة شاة وعزرا . قال عترة :

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم (١٣٦)

وقال امرؤ القيس :

(١٣٥) هكذا في المخطوطة ، اما في الاشتقاق لابن دريد  
ومرة ليسوا ناصريك ولا ترى لهم واقدا حتى ترى غنم الفزر  
(١٣٦) هكذا في التبريزي في شرح المعلقات ، اما رواية المخطوطة :  
فالشاة فاقنص لمن حلت له . . . . .



كأنها عنز بطن وادٍ نعدو وقد افرد الغزال (١٣٧)  
 وقد كثر انساؤهم في هذا حتى سموا حمير الوحش والبقر الوحشية  
 شاء • قال زهير :  
 يا شاء ما قصص لمن حلت له حرمت علي ولينها لم تحرم  
 والشيء ههنا اثاث الحمير الوحشية يدل على ذلك قوله :  
 ثلاث كأقواس السراة ومسحل قد اخضر لمن لس الغمير جحافل (١٣٨)  
 لان المسحل المذكور من حمير الوحش ، ويدل عليه أيضا ذكره  
 الجحاش وانما هي أولاد الحمير •

---

(١٣٧) من قصيدة مطلعها :  
 عيناك دمعها سجال كأن شأنهما أوشال  
 (١٣٨) هكذا في المخطوطة ، اما رواية ادريان  
 فقال شياه راتعات بقفزة بمسند القرّيان حو مسائله

## في اللهجات المغربية والاندلسية

إذا كان القدامى من المشاركة<sup>(١)</sup> قد فطنوا الى اللحن وشيوعه بين العامة وأفردوا له رسائل تسجله وتؤرخه ، فإن أصحابهم في الطرف الغربي من العالم الاسلامي القديم قد عنا عنايتهم فلاحظوا وسجلوا وأرخوا وخلفوا كتباً ورسائل<sup>(٢)</sup> .

وكان قد نشر المستشرق J. Colin رسالة لغوية في لحن عامة أهل الاندلس وهي نسخة موجزة لكتاب « ايراد المأل من انشاء الضوال » لابن خاتمة الانصاري في مجلة Hesperis ١٢ سنة ١٩٣١ وقدم لهذه الرسالة بمقدمة اشتملت على جملة فوائد في موضوع لحن عامة الاندلس والديار المغربية . ثم نشر الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب كتاب « الجمانة في ازالة الرطانة »<sup>(٣)</sup> وهو في لغة التخاطب في الاندلس وتونس وهو لبعض علماء القرن التاسع الهجري وزوده بجملة فوائد من تعليقاته واجتهاداته . وقد أفدت من ملاحظات المستشرق الفرنسي Colin الذي نوهنا

---

(١) انظر قائمة المصادر في هذا الموضوع لـ H. Thorbecke في مقدمة

« درة الفواص » للحريري ليبزك ١٨٧١ ص ٧ - ١٢ .

وانظر « خطأ العامة » لكولد زيهري في

Zur Literaturgeschichte des Z. D. M. G. T. 35 1881 pp.147-152 .

وفي فهرس المخطوطات الملكية برلين اثبت W. Ahlwardt قائمة بالمؤلفات المهمة في هذا الباب .

(٢) سنذيل هذا البحث بقائمة نذكر فيها كتب لحن العامة .

(٣) الجمانة في ازالة الرطانة من منشورات المعهد العلمي للآثار الشرقية في القاهرة سنة ١٩٥٣ .

يذكره في أعلاه ومن ملاحظات العلامة التونسي الجليل ثم أضفت الى ذلك كله ما توصلت اليه من تحقيقاتي في هذا الباب \* والذي تعرفه من كتب لحن العامة في المغرب والاندلس قليل على كثرة التصانيف التي ذكرها أصحاب الطبقات في هذا الباب ولكن أغلبها لم يصل إلينا \*

ومن هذه الكتب ما وصل إلينا \* وهن نحن ذاكرون من ذلك ما هو معروف :

١ - لحن العامة لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي<sup>(٤)</sup> المتوفى سنة ٣٧٩ هـ \*

٢ - الرد على الزبيدي في لحن العوام لمحمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي<sup>(٥)</sup> \*

٣ - المدخل في تقويم اللسان لعلي بن محمد الغافقي المعروف بابن الشاري وقد ساعده في هذا العمل محمد بن حسن بن عطية \* وهذان كانا قد عمدا الى الملاحظات التي رد بها ابن هشام اللخمي على الزبيدي ورتبها

---

(٤) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي واللغوي وهو من اشبيلية وسكن قرطبة ، وكان من شيوخه أبو علي القالي \* وهو من أوائل من بحثوا في لغات الاندلس \* وقد طبع كتابه « لحن العوام » بتحقيق الدكتور رمضان التواب [القاهرة ١٩٦٤] \* وقد شرشه موسى بن علي الجزيري ( انظر التكملة لابن الأبار (٩٢٠) نشرة كوديرا \* وانظر مقدمة المحقق \* ولهذا الكتاب نسخة موجزة من صنعة المؤلف نفسه ، ذكره ابن خیر في فهرستها ٣٤٧ باسم « مختصر لحن العامة العامة » \*

(٥) عرض ابن هشام في كتابه لأرهام الزبيدي ولأوهام ابن مكي صاحب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » ولهذا الكتاب نسخة مخطوطة في خزانة الاسكوريال برقم ٤٦ \* انظر ترجمته « التكملة » لابن الأبار ٣٧٠/١ ، وقد نقل السيوطي في « البغية » ص ١٦ ما ذكره ابن الأبار من ترجمة اللخمي هذا وأضاف ذاكرة ( المدخل في تقويم اللسان وتعليم البيان » وقد ذكر هذا التجيبي في رحلته \*

وأعطياها اسم « المدخل في تقديم اللسان »<sup>(٦)</sup> وكلاهما من علماء القرن السابع الهجري .

٤ - انشاد الضوأل وارشاد السوأل لمحمد بن هاني اللخمي السبتي المتوفي في جبل طارق سنة ٧٣٣ هـ وهو غير محمد بن هاني الشاعر ، وقد عمد هذا الى الكتاب السابق وهو « المدخل » وأعاد تصنيفه وترتيبه وزاد عليه .

٥ - ابراد اللآل من انشاد الضوأل لأبي جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الانصاري المتوفي سنة ٧٧٠ هـ وبعد هذا الكتاب استدراكاً على الكتاب السابق ، ثم عمد بعد ذلك أحد العلماء فاختصر هذا الكتاب في رسالة صغيرة ، وقد طبعت في مجلة Hesperis كما أشرنا الى ذلك بعناية المستشرق الفرنسي J. Colin .

٦ - الفوائد العامة في لحن العامة لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جززي الكلبلي المتوفي سنة ٧٤١ هـ وقد أخذ عنه لسان الدين بن الخطيب ( انظر نفع الطيب ط بولاق ٢٧٢/٣ ) .

٧ - تقيف اللسان وتلقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن مكّي الحميري المازري الصقلّي المتوفي سنة ٥٠٠ هـ . وقد حقق

(٦) وهذا الكتاب من مخطوطات الاسكوريال رقم ٩٩ وهو صورة اخرى للمخطوط رقم ٤٦ كما اشار الى ذلك « درنبورغ » مصنف فهرست مخطوطات الاسكوريال . ومن الغريب ان ابن الأبار لم يذكر شيئاً عن هاتين النسختين مع انه كتب كتابه بعد بن هشام بأقل من قرن واحد .

(٧) وهو من بلرم حاضرة صقلية وقد انتقل منها الى افريقيا بعد استيلاء النورمان عليها وتولى قضاء مدينة تونس وبها توفي سنة ٥٠١ هـ ، وكتابه في لغة صقلية ولحن العامة بها يوم كانت عامرة بالمسلمين وهذا الكتاب من اهم الكتب في هذا الموضوع من الناحية التاريخية وذلك لانه عرض للغلط الذي يدور على السنة الناس في عصره ، فلم يكن ناقلاً ما ذكره القدامى ممن ألف في هذا الموضوع على نحو ما فعل ابن الجوزي من المشاركة في « تقويم اللسان » مثلاً .



الدكتور عبدالعزيز مظهر هذا الكتاب (القاهرة ١٩٦٦) • وكان المستشرق الإيطالي المعاصر (اومبرتو ريتسانو) قد نشر مقدمة هذا الكتاب في مجلة مركز الدراسات الشرقية للآباء الفرنسيسكان بالقاهرة في العدد الخامس (١٩٥٦) وقد عرض الناشر لموضوع لحن العامة وما صنف فيه من تصانيف في مختلف أمصار العالم الإسلامي القديم كما ترجم لابن مكّي ثم نشر مقدمة الكتاب •

٨ - كتاب الرد على تنقيف اللسان لأبراهيم بن اسحاق الأجدابي صاحب كتاب « كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ » وذكر التجاني التونسي في رحلته ص ١٨٠ هذا الكتاب •

٩ - لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام لأبي علي بن محمد بن خليل السكوني الأنشيلي المهاجر الى تونس والمتوفى بها سنة ٧١٧هـ وقد عرض فيه لأعلام العامة في أيمانهم وبدعهم وعاداتهم وهو من مخطوطات المكتبة العبدلية الزيتونية بتونس رقم ٢٢٢٩ •

١٠ - الجمانة في إزالة الرطانة لمؤلف مجهول وقد حققه العلامة حسن حسني عبدالوهاب كما سبق أن نوهنا به •

١١ - مقدمة تقويم المنطق الحضري ، بكف اللسان المضري لسيدي محمد التيفر من شيوخ جامع الزيتونة (تونس ١٣١٢هـ ١٨٩٤م) وقد عرض فيه للغة التخاطب في تونس وما يحدث فيها من مجانبة للفصح كما حاول ارجاعها للعربية الفصيحة •

١٢ - الواسطة في أخبار مالطة لأحمد فارس الشدياق أورد فيه فصلا عن لهجة جزيرة مالطة العربية •

وفي اللغات الأوروبية تصانيف كثيرة عن اللهجات العربية في الشمال الأفريقي ومنها : « دراسات المستشرق الفرنسي وليم مارسيه عن لهجة

طنجة » و « لهجة لمسان » و « لهجة أولاد إبراهيم » ، واللهجة التونسية ،  
في كتابه :

1. Textes Arabes de Takrouna.
2. Textes Arabes d'Al-Hamma .

وهذه المصنفات جميعها تقوم على احصاء ما خالف فيه العامة الخاصة  
من وجوه القول كأن يفتح الخاصة عين الفعل والعامة تضمه أو العكس أو  
ما جرى هذا المجرى .

### من تاريخ العربية في تونس وديار المغرب

ويجمل بنا هنا أن نفيد من ذكره المؤرخ الشهير عبدالرحمن بن  
خلدون في « تاريخه »<sup>(٨)</sup> : « فأما العرب أهل هذا الجيل المستجمعون عن  
لغة سلفهم المستعربين فيغرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراس على  
ما كن عليه سلفهم المستعربون » ويأتون منه بالمطولات مشتملة على  
مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرتاء والهجاء ، ويستطردون  
في الخروج من فن الى فن في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لأول  
كلامهم ، وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون ،  
فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد ( بالأصمعيات ) نسبة  
الى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم ، وأهل المشرق من العرب يسمون  
هذا النوع من الشعر ( بالبدوي ) . الى أن قل : « وأساليب الشعر وفنونه  
موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر الكلم ، فإن  
غالب كلماتهم موقوفة الآخر ، ويتميز الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من  
الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب » .

وقال أيضا : « ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث

(٨) المقدمة . فصل في أشعار العرب وأهل أمصار لهذا العهد ص ٥٧٧ .

كانوا من الأنظار شأنهم في النطق بالقاف ، فأنهم ( أي الأعراب ) لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية ، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف ، وهو موجود للجيل أجمع ، حيث كانوا من غرب أو من شرق حتى صار ذلك علامة عليهم بين الأمم والأجيال ومختصا بهم لا يشاركون فيه غيرهم ، حتى أن من يريد التعرف والانتساب إلى الجيل والدخول فيه يحاكمهم في النطق بها ، وعندهم اسما يميز العربي الصريح من الدخيل في العروبة والحضري بالنطق بهذه القاف ، ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها ، فإن هذا الجيل الباقي معظمهم ورؤسهم شرقا وغربا من ولد منصور بن عكرمة ... ابن سليم ابن منصور ( بني هلال ) وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم ، وهم من أعقاب مضر ، وسائر الجيل منهم في النطق بهذه القاف أسوة ، وهذه اللغة لم يتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ، ولعلها لغة النبي (ص) بعينها ، وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت ، وزعموا أن من قرأ في أم القرآن : « اهدنا السراط المستقيم » بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا فإن لغة أهل الأمصار أيضا لم يستحدثوها وإنما تناقلوها من لسان سلفهم ، وكان أكثرهم من مضر لما تزلوا الأمصار من لدن الفتح ، وأهل هذا الجيل ( أي الأعراب ) لم يستحدثوها أيضا إلا أنهم أبعد من مخاطبة الأعاجم من أهل الأمصار ، فهذا يرجع فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم ، هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقا وغربا في النطق بها ، وإنا الخاضعة التي يميز بها العربي من الهجين الحضري ، فأنهم ذلك والله الهادي المبين .<sup>(٩)</sup>

(٩) مقدمة ابن خلدون (فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة )

ان نطق القاف على هذا النحو مما أتى به الاعراب وأدخلوه في لغة تونس وما جاورها من الأتاليم . ومن المفيد أن تشير الى أن هذه اقفاء قد تتحول الى صوت حلقي هو الهمزة وهذا أمر واضح في بعض الحواصر الأفريقية العربية وليس سي . من ذلك في القرى والبادي . كما في مدن المغرب الأقصى وتلمسان في الجزائر ومثل هذا قد حصل في لغة غرناطة وجزيرة مالطة ، وهذا نظير ما نجده في طائفة من الحواضر المصرية . ومن البديهي أن يعرض الأبدال للأصوات العربية الأخرى فليست « الجيم » بأسعد حظاً من القاف وهي من غير شك في عصر ابن خلدون كانت اما كالأقفاء المعقودة أو كالجيم المعطشة أو انها مشوبة بما يشبه الشين . ولا بد أن يكون التونسيون في عصرنا قد ورثوا في نطقهم عادات أسلافهم ، وما هو واضح في هذا النطق إبدالهم الزاي بالجيم فيقولون مثلاً في « عجوز » « عزوز » وفي « الجزائر » « ززّار » وفي « جاز » « زاز »<sup>(١٠)</sup> ولا يعرض هذا الأبدال إلا حين مجتمع الجيم والزاء في الكلمة الواحدة .

#### ملاحظات عن اللهجة التونسية

يبدأ الفعل المضارع بانون للمتكلم المفرد فيقولون : ناكل بمعنى اكل ونضرب بمعنى أضرب ، فإذا أرادوا جماعة المتكلمين زادوا الواو في

(١٠) ومثل هذا يعرض في طائفة من العراقيين في عصرنا فهم يقولون « يجزي » وهي « يجزي »



الأخر فيقولون : ناكلوا ونضربوا<sup>(١١)</sup> .

والماضي الواقع في حيز الاستفهام فقد التزموا في آخره شيئاً مكسورة  
سواء أكان الفعل ثلاثياً أم رباعياً أم خماسياً ... متعدياً كان أم قاصراً دون  
ذكر لاداة الاستفهام نحو : أكرمتش وعلمتش ...

كما زیدت الشين مع غير الماضي الواقع في حيز الاستفهام ، ففي  
المضارع المبدوء بالتاء أو النون أو الياء تزداد الشين فيقولون : تضربوش  
ونكرموش ويقتلوش . أما المبدوء بالهمزة فلم يلحقوا به الشين الا نادراً .  
وزادوا باطراد قبل الشين المذكورة في الماضي والمضارع الواقعين في  
حيز الاستفهام أو النفي واوا ولعل ذلك من اشباع الضم .

وقد يشبع الضم في أتم وهم فيصيران اتوم وهوم ، وكذا الكسر في  
أتنن فتصبح وهم يخاطبون المؤنثة الواحدة بخطاب الذكر الواحد فيقولون:

---

(١١) اود صاحب الجمانة هذه المسألة ص ٣١ ومعنى هذا ان المسألة قديمة  
في لغة التخاطب في التخاطب في الديار المغربية ، قال الاستاذ حسن  
حسني عبدالوهاب : « ... ويظهر ان هذا اللحن قديم في لغة  
التخاطب عند المغاربة وربما يرجع الى القرن الرابع للهجرة ، وقد  
كان هذا الاستعمال شائعاً في لغة اهل الاندلس وصقلية وفي سائر  
جزائر البحر المتوسط الغربي ، مثل مالطة وقوصرة وغيرها وذلك  
قبل زحف اعراب بني هلال وبني سليم الى المغرب على ان هذه  
القبائل الهلالية نفسها كانت عند نزوحها الى المغرب - اواسط القرن  
الخامس للهجرة - تستعمل هذا الخطأ لا محالة كما افادنا ابن  
خلدون فيما نقله من اشعار الهلاليين في تاريخه ( راجع التعاليق للمتعة  
التي اوردتها الاستاذ ولیم مارسية في كتابه : « النصوص العربية  
العربية لتكررة » ص ٢٤

قم واخرج والمراد قومي واخرجي (١٢) .

ومن ذلك زيادتهم الياء في الثلاثي المضعف اذا اسند المضمير البارز المتحرك فيقولون في ردّ وحلّ وطن اذا أسندوها الى ذلك ، ردّيت وردّينا ، وحليت وحليت ونحوه ، فيجلبون المعنى ، ألا ترى أن « ردّيت » يصير بصورة ردّى الرباعي الذي معناه « أسقط » المستند الى التاء ، ولا معنى لزيادة هذه الياء لأن هذه أفعال ثلاثية والصواب أنه اذا أوتي بالمضمير البارز المتحرك سكنت آخر الفعل لانصال المضمير على قياس غير المضعف ، ثم تفك الادغام لسكون المدغم فيه وهو آخر الفعل فتحرك الحرف المدغم بحركته الأصلية فتقول على هذا : ردّدت في « ردّ » وحلّلت وظلّلت بفتح العين ، ونقول : ملّلت في ملّ بكسر اللام الاولى وهي العين لان حركتها أصلية ، وشمّمت في شمّ - بكسر اللام - على اللغة الفصحى ، وبفتحهم على الاخرى وهذا ما نبيناه من فك الثلاثي المضعف اذا اتصل به ضمير مرفوع متحرك وهو انفاسي والمشهور من لغة العرب ، وبعض العرب يعني الادغام ويحرك الآخر لالتقاء الساكنين فيقول على هذه اللغة : ردّدت ورّدّت (١٣) .

ومن ذلك قولهم « نوايه » لواحدة النوى ، يزيدون ألفا بين الواو

(١٢) جاء في « الجمانة » ص ٢٣ ] ومن ذلك حذفهم الياء امر المؤنثة المخاطبة فيقولون للمؤنث « قم » والصواب « قومي » بالياء . علق الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب على هذا بقوله : اقول : هذا لحن جاء في لغة التخاطب لاهل الحضر بالبلاد التونسية ، اما في كلام الأعراب منهم فان ياء الامر للمخاطبة مستعملة باستمرار فيقولون ( قومي ) و ( اخرجي ) و ( اشربي ) .

(١٣) انظر الجمانة ص ٢٩ . اقول وهذا اللحن قيم في العربية . جاء في « الاقتضاب » لابن السيد البطلاني ص ١٣٧ . « ويقال انه جاء على لغة من يبدل احد الحرفين الثلثين ياء نحو قولهم : قصيت اظافري اي قصصتها . والعرب تبدل الياء من احد التضعيفين فيقولون « تظننت » لانه لحن الظن ( الكامل للمبرد ٧٦٠/٢ ) .

والياء ، والصواب حذفها فنقلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وتمنح النون فيقال ( نواة ) ، وكما لحنوا في المفرد لحنوا أيضا في جمعه بالالف والتاء فقالوا ( نويات ) فزادوا ألفا بين الواو والتاء ، والصواب اسقاطها فنقول ( نويات ) كما تقول حصيات في جمع حصاة لا حصايات<sup>(١٤)</sup> .

ومن ذلك زيادتهم ياء في تصغير الثلاثي المذكر ، فيقولون في تصغير جَمَل ( جُمَيْل ) وفي كلب ( كَلَيْب ) فيزيدون ياء أخرى غير ياء التصغير ويدغمون ياء التصغير فيها وهو خطأ ، والصواب ( جُمَيْل ) و ( كَلَيْب ) ياء التصغير وحدها من غير زيادة ياء أخرى ، لأن حق كل ما كان ثلاثيا أن يصغر على فُعَيْل نحو : فُلَيْس وفُرَيْس<sup>(١٥)</sup> .

(١٤) انظر الجمانة ص ٢٨ - اقول ان الذي اثبتته صاحب الجمانة على أنه من لحن عامة الاندلس والديار الافريقية يتفق هو ولحن العامة في ديار المشرق ويبدو أيضا ان كثيرا من مادة كتب لحن العامة منقول عما كتبه قدامى المغاربة كما فعل صاحب الجمانة في اعتماده على ما كتبه ابن قتيبة الدينوري في «ادب الكاتب» ، ومثل صاحب الجمانة غير واحد ممن عرض لموضوع لحن العامة من الاندلسيين والمغاربة .

(١٥) قال العلامة حسن حسني عبدالوهاب في أسفل صفحة ٢٨ من الجمانة ان تصغير الاسماء من وزن «فعل» على «فُعَيْل» ومن وزن فعلال وفعليل وفعلول على صيغة (فعيعل) لم يكن خاصا باللهجة التونسية بل هو موجود في سائر اللهجات الحضرية لاهل المغرب قديما وحديثا ، فان اهل الاندلس - الى آخر عهدهم باسبانيا - وكذلك اهل صقلية الى واسط القرن السادس للهجرة كانوا يستعملون تلك الصيغ كما يستفاد من النصوص الكتابية والوثائق الواصلة اليينا من ذلك العصر راجع «ديوان ابن قزمان» طبعة بظر سبورغ اللصور بعناية Gunzlung سنة ١٨٩٦ فيما يخص لغة اهل الاندلس - وكتاب «تنقيف اللسان وتلقيح الجنان» لعمر بن خلف بن مكي الصقلي<sup>١٦</sup> .

ملاحظات عن لحن العامة في المغرب في عصر الموحدين (١٥).

تتحول كسرة ما قبل آخر اسم الفاعل الثلاثي الى فتحة نحو : ناصِر  
وصالِح وباطِل . ولعل سبب هذا التحول أن أصوات التفخيم وأصوات  
الحلق أميل الى الفتح منه الى الكسر . ومن ذلك شيوع الإمالة في الاسم  
المختوم بألف مقصورة نحو عيسى وموسى .

ومن ذلك أيضا شيوع المد فهم يقولون « علام » ويريدون بها « علم »  
وكذلك كان الاندلسيون ، وهم يقولون « سلوم » ويريدون بها « سلم »  
ولذا جمعوها على « سلايم » ، ومن ذلك « عساكير » جمع « عسكر » .

وعلى أنهم ميالون الى المد نراهم ميالين في الوقت نفسه الى القصر في  
ألفاظ عديدة نحو : « مزامر » جمع « ميزمر » و « مفتاح » جمع « مفتاح »  
و « مسامر » جمع « مسمار » و « ثلاثة » للثلاثة من أيام الأسبوع ، و « واء »  
للوادي وهم يجمعونه على « ويدان » (١٦) .

ومن ذلك ما يحدث من الأبدال في الحروف نحو « سار » يتحول الى  
« صار » و « سور » يتحول الى « صور » و « سطل » يتحول الى « سطل » .

ومن ذلك تسهيل الهمزة الى النواو نحو : واخى « آخى » والاصل  
« وء » والاصل « أدى » ومن ذلك عدم استعمالهم لكلمة « سنة » الا  
بصيغة الجمع « سنين » أما في حالة الأفراد فالمستعمل هو « عام » وقد أنوها  
في استعمالهم حملاً على « سنة » مفرد « سنين » التي هجروها في الاستعمال .

(١٥) أفدت هذه الملاحظات مما نشره كل من ليفي بروفنسال وكولان

المستشرقين الفرنسيين في مجلة Hesperis الفرنسية للدراسات  
المغربية والأفريقية في الجزء العاشر .

(١٦) على أن هذا الميل للقصر في هذه الألفاظ وغيرها غير مقصور على لغة  
العامة في المغرب في عصر الموحدين بل هو شائع في جميع أقطار المغرب  
الإسلامي وما زال شى كثير من ذلك في اللغات الدارجة لهذه فما زال  
التونسيون يجمعون ( شباك ) على ( شبابك ) و « ساعة » « سوايع » ومثل  
هذا كثيرا .



وكلمه « مسجد »<sup>(١٧)</sup> وهي مذكر ولكنها تحولت الى مؤنث في لغة البربر الذين أخذوها كما أخذوا الكثير من الألفاظ العربية ، وحولوها الى « نيمسجد » وهذا التحول راجع الى ان مكان العبادة في اللغة البربرية مؤنث فلما أسلموا واستعملوا اللفظ العربي جعلوه مؤنثا ، ومثل ذلك كلمة « جامع » .

وفي مدينة طنجة تقابل العامية « موطعة » كلمة « موضع » الفصحى .  
ويلاحظ في جميع اللغات المغربية الدارجة اهمال المتنى اهمالا تاما وهذا قديم كما يدلنا على ذلك النصوص التي نشرها « ليفي بروفنسال » .

يقولون : قتلهم الاثنين<sup>(١٨)</sup> .

ويقولون : روج كتب<sup>(١٩)</sup> .

ومن الشائع في هذه العامية الجمع بالياء والنون لتعين صنف أرباب الحرف كأن يقال : « الصباغين » أي المحلة التي يقطنها أرباب هذه الحرفة .  
ويبدأ الفعل المضارع المسند للمتكلم المفرد بالنون نحو : « نسير » في قولنا « أسير » و « تصل » في قولنا « أصل » .

أما المضارع المسند لجماعة المتكلمين فيبدأ بالنون ويختتم بالواو نحو « نسيروا » أي « نسير » و « ناكلوا » أي « نأكل » .

ويحذف نون المضارع المسند الى جماعة الغائبين نحو : « يأخذوا »

---

(١٧) ويقال له « مسيد » حكاه غير واحد والأول أنصح ، ويبدو ان (مسيد) لم يكن معروفا لدى الاندلسيين ، والصيغة الوحيدة لمسجد هي مزد Mazad ، غير ان اللهجات المغربية الحديثة مازال فيها (مسيد) Msid والجمع « مسايده » Msaid ومعناه المدرسة القرآنية الملحقه

بالمسجد الجامع . ومثل ذلك كلمة (جامع) فهي تشتمل على المعنيين .  
(١٨) أقول : ان مسألة اهمال المتنى اذا كان مكنى عنه بضمير ، واقع في اللهجات المشرقية منذ عدة قرون فلا يقال في ديار المشرق : (قتلها) بل يقال : (قتلهم)  
(١٩) استعمال « الزوج » للثنين مما شائع في اللغات المغربية الدارجة وقد يعرض الابدال في كلمة « زوج » فتصبح (زوز) .

أي « يأخذون » (٢٠) .

### بقايا العربية في جزيرة مالطا

لم يبق من العربية في جزيرة مالطة الا بقايا لا يمكن أن تفي بحاجة المالطين ولذلك تستخدم المالطية للأمور والاحوال الساقطة (٢١) ، أما اذا أرادوا شيئا آخر أقرب الى الجذ كالوصف والوعظ وغير ذلك لجأوا الى اللغة الإيطالية .

فإذا كان المنادى عظيما فإن اداء النداء ايطالية نحو : « أو مولاي » ، وإذا كان المنادى شيئا غير عظيم فاداة النداء عربية نحو : يا تفاح .  
يبدأ الفعل المضارع المسند للمتكلم باننون نحو : « نأخذ » أي « آخذ » أما المسند لضمير المتكلمين فإنه يذيل بالواو نحو « نأخذوا » أي نأخذ .

وياء المضارع وتاؤه يكونان مكسورتين وآخره مضموم نحو : يحسبك . ويبدل بالهاء في هذه اللغة الحاء نحو : « بئح » في « بطيح » و « حوح » في « خوخ » و « حبس » في « خبز » و « حلحال » في « خلخال » .

ومن المفيد أن نذيل هذا الباب بنماذج من الزجل نستخلص منها فوائد لغوية . قال مدغليس أحد الزجالين الاندلسيين في مطلع أحد أزجاله .

[ الله ] يعلم ما بقلبي وبهـ لقد اتحكّم هذا العشق فيهـ

وأصل الكلمة « تحكّم » فزيدت الفأ على نحو ما يزيد العامة في هذه الصيغة ، وما زال العامة في كثير من البلاد يستعملون هذه الزيادة . ومثل هذه الزيادة قوله في قصيدته اللامية :

(٢٠) هذا الاستعمال شائع في لغات اهل المشرق الدارجة، ويبدو انه قديم .  
(٢١) انظر الواسطة في معرفة احوال مالطة لاحمد فارس الشدياق ص ٥٦ ( الجوانب ١٢٩٩ هـ ) .

لقد أخذتني جمال هذا المليح ولكن معذور أنا هو يتخذل  
والأصل « خذتني » فزادها ألفاً ، ومثل ذلك قوله في قصيدته أخرى :  
لو رأيت كف كُنْ نَشِيعُو بالعين وما تدري أن روحي نشيع  
والأصل « نشيعه » فزادها ألفاً . وكقوله في بيت من رجل مطلعه :  
ثلث أشياء في البساتين لَسْ تُجَدُّ في كل موضعٍ  
النسيم والخضر والطيور شُمِّمَ وإتترَّه وإسْمَعُ  
وملاح بحال حور العين في رياض تشبه الجنة  
وعسيرة قصيرة نظفروا الخيال تجتأ  
لَسْ تطيق نفارقوها وهي تحمل طاق عنا  
فكان الشمس فيها وجهه عاشق إذ يودع  
فالواو في لفظة « نفارقوها » زائد في الأصل ، وأمثال ذلك في نظمهم  
كثير جدا . وقد ينقصون حرفا من أصل الكلمة كقول ابن قزمان في  
مطلع رجل له وهو :

يا من قلني غيابو مَتَّ نستريح من عذابو  
وأصل الكلمة « متى » فحذف الألف منها ، وكقوله في مطلع  
قصيدته الكافية :

أما حقاً تدري من أين مجيئك شمتو فيك النفس الذي شيموك  
وأصل الكلمة « شممت » ، وقوله أيضا في مطلع رجل له وهو :  
حملني عشق الملاح فوق استطاعي وما قصر عمري فيه يمتدُّ باعي  
وأصل الكلمة « استطاعني » .  
وقد يزيدون همزة في كلمة لا وجه لزيادتها كما ينقصون أخرى ،  
فمن زيادتها قول ابن قزمان في رجل مطلعه :

نَظَرَ بِطَرْفِ عَيْنِهِ وَعَبَسَ      لِلْحَيْطِ نَقْلَهَا وَنَشَكَو وَنَجَسَ  
في جملة الكلام الذي قال :

أَيْنَ الصَّدُودِ وَقَدْ طَالَ مَا طَالَ      أَتُخِيلُ أَنَّ بَعْدَ صُورَةِ الْحَالِ  
فَرَجَ لِعَمْرِي كَرِبَهُ وَأَنَسَ  
وأصل الكلمة « تخيل » بغير همزة ، وكقول مدغليس في مطلع زجل وهو :

مَنْ أَشْوَتْ أَكْبَادِي      وَأَبَكْتَ اجْفَانِي  
الله لا ينساها      مقدار ما تسالي

وأصل الكلمة « شوت » بغير همزة ومثل هذا كثير .  
أما انقاص الهمزة فكقول مدغليس في مطلع زجل وهو :  
لَسْتُ تَبُ عَنْ ذِي الشَّرِيَّةِ      لَوْ نَهَيْتِ السَّبْتَ وَالْحَدَّ  
قَدْ أَعْمَرْتَ أَذَانِي لِلْمُومِ      وَدَفَعْتُو جِلْدِي لِلْحَدِّ  
يريد « السبت والأحد » فحذف الهمزة ، وكقوله في قصيدته  
الكافية المسطورة :

أَمَّا حَقًّا نَدْرِي مَنْ أَيْنَ مَجِيئِكَ      نَسْتَوْفِيكَ أَنْفَاسَ الَّذِي شِيعُوكِ  
وأصل الكلمة « مجيئك » بالهمز ومن جميل الأرجال الذي وقع فيه انقاص  
الهمزة كما وقع استعمال المواد العامية بشكل واضح قول أبي عبد الله  
محمد بن حسون الحلا المغربي في زجل له مطلعته :

كَمْ بَتَ مُنْكَدُّ      مِنْ هَوَاكَ وَهَجْرَانِكَ      يَا مَلِيحَ الْقَدِّ

يَا مَلِيحَ بَمَنْ سَمَّاكَ أَشْ هَذَا التَّجْنِئِي  
طَوَّلَ مَا نَشْتَهِي قَرِيبَكَ تَبْعَدُ أَنْتَ عَنِّي  
إِنْ كَانَ الرَّقِيبُ بَلَنَعَ لَيْكَ قَضِيَّةَ عَنِّي



لس أنا في ذا الحد عوذ بالله] يا حبي الأخير هو أجود  
فقد أسقط الهمزة في موضعين في قوله « ليك » بمعنى « اليك » وفي  
« عوذ » وأصلها « أعوذ » ، ومما يعرض لهم زيادة الهمزة في الكلمة والقصر  
في كلمة أخرى ، فمن الزيادة قول ابن قزمان في زجل له مطلعه :

مرّ لي عن ذا الشراب ووجدتو أنا حلو

تركوا قوم وأنا لا

أما مذهبي الطللا

فقد ألف في قوله « آ » وهو نهج عامي وربما كان شيئا اقتضاه  
الوزن . ومن قصر الهمزة الذي يعرض في كلامهم قول ابن قزمان في مطلع  
زجل له :

دع ذي الأخبار وخليها سفة زالت الشحنا وجات الصداقة

فكقوله « الشحنا » و « جات » من هذا الموضوع :

ومما يعرض لهم من هذه الألوان العامة تشديد المخفف وتخفيف  
المشدد ، فالأول مثل تشديد حروف الجر في مثل « فيه » و « عنه » كقول  
ابن قزمان في مطلع زجل له وهو :

ذا الصددود نمت منو قد رحلت من أجلسو

قل يا قلبي وش هملك شكو جوروا أو عدلو

وكقول مدغليس في مطلع قصيدة :

أنا تائب من هوا يامسلمين بالله يجعل قلبي في يد أمين

والأصل في « اليد » عدم التشديد .

أما تخفيف المشدد فهو كثير في أزجالهم ومن ذلك قول ابن قزمان :

أي حشرات في قلب من يهواك إن مضى أو بقى

كان تصدق لو انك أت تلقي عشر ما قد مضى  
أنا في حيرة مرة نرجوك ومسررة تقضي  
ونرى كلما تؤمل فيك إن صدق أو يخيب  
فقوله « مرة » الأخيرة بغير تشديد وهو مما يقتضيه إقامة الوزن .  
ومن ذلك تحريك الساكن وتسكين المتحرك ، ولعل هذا يحدث في فصيح  
العربية وذلك مما تقتضيه الضرورة الشعرية .

وقد يشبهون الحركة حتى يتولد المد ، ومن ذلك اشباع الضمة حتى  
تصير واواً كقول مدغليس :

توقد أنفاسك الذكية شمعاً في قلبنا متى نستشقوك  
فالواو في « نستشقوك » من اشباع ضمة القاف . ومن ذلك قول  
ابن قزمان :

يعشاقوا قلبي وهو ما يعشق وماعي فيه الحسود اش يفلق  
فالألف في « يعشاقوا » من اشباع فتحة الشين ، وكذلك « ماعي »  
فالألف فيها من الفتحة . ومن اشباع الكسرة حتى تولد الياء قول ابن قزمان :  
قالوا عني بأنني عاشق تقل يصدقوا

يا حبيبي لقيت كثير في الناس بالحكم ينطقوا

هذا شيء والنبي يا نور عيني ما تحدثت فيه

ول بالله خطر على بالي لا ولا خضت فيه

انما في الطريق ونأ نمشي كل من نلتقيه

يسدن لي بالسلام ويسألني عندما نلتقوا

ويقول لي فلان بحق الله من صحيح تعشقا

والشاهد المطلوب في كلمة « به » فإن الياء نشأت من اشباع الكسرة

في الباء . وكما حصل الاشباع في الحركة حصل عكسه فقد قصرت الواو  
في « قُلُوبًا » والأصل « قلوبنا » كما في قول مدغليس :

نوقد أنفاسك الزكية شماع في قلبنا متى ما نستشقوك

وقد يعرض في كلامهم جزم الأفعال وليس من جازم لها كما يعرض  
العكس أيضا وهذا هو سبيل العامية في كثير من أقطار العربية . كما يعرض  
في أزجالهم تذكير المؤنث وتأنيت المذكر .

ومما تجب الإشارة اليه إقامة الحرف مقام الكلمة فيقيمون الكاف  
مقام « كان » والخاء مقام « خذ » فمن الاول قول مدغليس :

وكنحلف أن لا نعتشق أبداً لولا ما نخشى بشرين اليمين

يريد « وكنا نحلف » ، وهذا كثير في أزجالهم

ومن الثاني قول ابن حصون الحلا في زجل له :

قد ضحك ضوء الصباح وافتضح سر التوار

لا زمان غير ذا الزمان الصلاة على الرسول

خُتْرا ذا المهرجان خُتْرا جرّ الذبول

فقوله : « خُتْرا » بمعنى « خذ ترى » .

وفي هذه الأزجال تتضح العامية بألوانها فقد تغيرت الكلمة الفصيحة  
تغيراً اقتضته طبيعة العامية في ميلها الى اختصار الكلمة . ألا ترى ان « ليس »  
صارت « لس » و « الذي » صارت « اللي » و « الساعة » صارت « السا »  
كقول ابن قزمان في زجل له :

« تعرف اسمها ( السا ) يقل لك لا » في الكلام على الخمر

وهذا نظير ما حدث في اللغات الدارجة في ديار المشرق العربي .

وكانهم اشترطوا على الزجال أن يوغل في هذه الألوان العامية فقد

ذكروا ان ابن قزمان امام الزاجلين قد قال في الكلام على عيوب الزجل :

« ومن عيوب الزجل اعراب كلامه سيما ان قصد الاعراب وأحسن ما كان منه باللغة العامية »<sup>(٢٢)</sup> وقد قال في خطبة ديوانه : وقد جردت فني من الاعراب كما يجرد السيف من القراب ، فمن دخل علي من هذا الباب فقد أخطأ وما أصاب . \*

وبعد فهذه جملة فوائد اقتبسناها لنذيل بها هذا الفصل وهي تكشف عن ألوان من العامية الاندلسية في عصر ملوك الطوائف .

---

(٢٢) الكتاب العاقل العالمي والمرخص العالي لصفي الدين الحلبي « غنى بتصحيحه ولهم هو نورباخ الألماني » ص ٦٨ . والأرجال التي ذكرتها من الكتاب نفسه .



## ابراءد اللال من انشاد الصوال لابن خاتمة الاندلسي حققه وعلق عليه الدكتور ابراهيم السامرائي

ابن خاتمة الانصاري(\*)

هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد علي بن محمد ابن خاتمة  
الانصاري الاندلسي • طبيب مؤرخ من الادباء البلغاء • من أهل المرية  
(Almería) بالاندلس • تصدر للاقراء فيها بالجامع الاعظم • زار غرناطة  
مرات • قال لسان الدين بن الخطيب في « الاحاطة » : « وهو الآن بقيد  
الحياة » وذلك ثاني عشر شعبان سنة ٧٧٠ •  
وقال ابن الجزري : « توفي وله نيف وسبعون سنة » •  
ولم نستطع التثبت من تاريخ وفاته •  
تصانيفه :

- ١ - مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية
- ٢ - رائق التحلية في فائق التورية
- ٣ - الحاق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس
- ٤ - تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد  
وقد وضعه سنة ٧٤٧ هـ ابان تفشي الطاعون في المرية وسائر البلدان  
وقد سماه الأفرنج « الطاعون الاسود » (La Peste Noire)
- ٥ - ابراءد اللال من انشاد الصوال

(\*) الاحاطة ١١٤/١ ، غاية النهاية ٨٧/١ ، معجم الاطباء ١١١ ،  
الاعلام ١٧١/١ ، وهدية العارفين ١١٣/١ وشجرة النور ٢٢٩ ، وانظر  
G.A.L, t II pp. 259

أدرج علماء اللغة كتاب ابن خاتمة هذا ضمن كتب « لحن العامة » .  
وقد اهتم المستشرقون كما اهتم العرب أنفسهم بهذا الضرب من الكتب (\*\*).

(\*\*) ١ - ظهرت اول قائمة لكتب « لحن العامة » سنة ١٨٧١ .  
وقد صنف هذا الشيت « توربيكه Thorbecke » وكان ذلك في مقدمته  
لكتاب « درة الغواص في أوهام الخواص » للحريري .  
٢ - وقد استدرك Goldziher على ما فعله توربيكه فنشر ذلك  
في مجلة جمعية المستشرقين الاثنان Z.D.M.G. Bd. 27 سنة ١٨٧٣ ص ١٥٠  
وما بعدها .

٣ - وقد استدرك المؤلف نفسه في مقال آخر نشره في المجلة المذكورة  
سنة ١٨٨١ ص ١٤٧-١٥٢ نبه فيه على ان في شرح النووي على مسلم وفي  
الكشكول للعاملی اقتباسات من كتاب « تثقيف اللسان » لابن مكي الصقلي  
٤ - وفي عام ١٩٣٤ كتب عيسى اسكندر المعلوف مقالا في « اللهجة  
العربية العامية » في العدد الاول من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة  
ص ٣٥٠-٣٦٨ عرض فيه لمؤلفات القدماء التي تبحث في العامي والدخيل  
والمعرب . ثم عاد فنشر مقالا آخر في العدد الثالث من المجلة المذكورة .

٥ - وفي عام ١٩٣٦ نشر عز الدين التنوخي كتاب « نكلمة اصلاح  
ما تفلط فيه العامة » للجواليقي بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق  
( مجلد ١٤ ص ١٦٣-٢٢٦ ) وعرض في المقدمة لطائفة من كتب  
« لحن العامة » .

٦ - ثم عقب كوركيس عواد في مقالة في مجلة المجمع العلمي العربي  
بدمشق ( مجلد ١٧ سنة ١٩٤٢ ) ص ٢٧٢-٢٨٢ فأشار الى طائفة من كتب  
لحن العامة وكان عنوان مقالته : « نظائر أخرى لتكملة الجواليقي » .

٧ - وجاء عبدالقادر المغربي واستدرك على سابقه فنشر نبا آخر في  
مقالة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ( مجلد ٢٥ سنة ١٩٥٠ )  
ص ٤٧١-٤٧٧ عنوانها « كتاب تصحيح التصحيف للإصلاح الصفدي » .

٨ - وفي عام ١٩٥٣ نشر « حسن حسني عبدالوهاب الصمادحي »  
كتاب « الجمانة في ازالة الرطانة » لاحد علماء المغرب في القرن التاسع  
الهجري وأحصى مما ألفه علماء المغرب والاندلس في لحن العامة احسد  
عشر كتابا .

٩ - وفي عام ١٩٥٦ نشر المستشرق الايطالي « امبرتو ريزيتانو »  
Umberto Rizzitano قائمة بكتب لحن العامة في مقدمة دراسته لكتاب  
« تثقيف اللسان » لابن مكي الصقلي نشرها في مجلة مركز الدراسات  
الشرقية الايطالي .

وكتاب ابن خاتمة هذا يعرض لطائفة من الكلمات مما ورد في الفصح  
 فاستعملها العامة ففهموا من ضبطها أو غيروا من دلالتها • على أن جملة  
 كبيرة من هذه المواد بقيت في لغة العوام على هيأتها الفصيحة •  
 ولم نعرف إلا القليل عما كتب في عامية الأندلس والمغرب على كثرة  
 المصنفات التي أشارت إليها كتب الفهارس وكتب التراجم ولكنها لم  
 تصل إلينا •

وقد أشار ابن خاتمة إلى أن كتابه كان مما اختصره من كتاب ابن  
 هشام السبتي في لغة عامة أهل الأندلس •

وابن هشام<sup>(١)</sup> هذا هو محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن  
 خلف اللخمي السبتي وكنيته أبو عبدالله ، أديب ولغوي أندلسي •  
 أخذ عن أبي بكر بن الأعرابي وأبي طاهر السلمي ونقل عنهما ،  
 ودرس النحو واللغة والأدب • واهتم باللغة اهتماما كبيرا • وصنف كثيرا  
 من الكتب وهي :

١ - الفصول والجميل وفيه شرح لشواهد الجمل للزجاجي

٢ - كتاب لحن العامة

٣ - شرح فصيح مذهب

٤ - شرح مقصورة ابن دريد

٥ - المدخل في تقويم اللسان وتعليم البيان<sup>(٢)</sup>

١٠ - استدرك صديقنا الدكتور رمضان عبدالتواب على قائمة  
 « ريزتانو » وصحيح فيها في كتابه « لحن العامة والتطور اللغوي » ص ٨٢ •  
 كما نجد عرضا وافيا في هذا الكتاب لقوائم الكتب التي أشرنا إليها وزاد  
 عليها فوائد ذات قيمة في هذا الموضوع •  
 استدراك : فاتنا أن نشير إلى أن في فهرس المخطوطات الملكية لخزانة  
 برلين قائمة بالمصنفات الم (Vol. 6 1894 p. 319) التي جمعها W. Ahlwardt

(١) انظر اتمكلة لابن الأبار ١/ ٣٧٠ وبغية الوعاة •

(٢) ما زاده السيوطي على ما ذكره ابن الأبار ••

وفي الاسكوريال مخطوطتان برقم (٤٦) و (٩٩) لابن هشام في باب  
« لحن العامة » كما في فهرست (دربورغ) .

المخطوطة الاولى رقم (٤٦) وهي تشمل على « كتاب الرد على  
الزبيدي »<sup>(٣)</sup> في « لحن العوام » وقد أشار (دربورغ) ان ابن هشام لا يرد  
على الزبيدي وحده بل انه يرد على ابن مكى<sup>(٤)</sup> صاحب « تنقيف اللسان  
وتلقيح الجنان » .

أما المخطوطة الثانية رقم (٩٩) فان «دربورغ» قد أشار الى أنها تتضمن  
مادة المخطوطة الاولى (٤٦) وهذه المخطوطة هي التي أشار اليها السيوطي  
وسماها « المدخل في تقويم اللسان وتعليم البيان » .

ومن الغريب ان ابن الأبار لم يشر بشيء الى هذا الكتاب . ولعل  
هذا الكتاب هو كتاب « لحن العامة » الذي أشار اليه ابن الأبار .  
وكانت وفاة ابن هشام هذا سنة ٥٦٠ هـ .

ولقد أشار صاحبنا ابن خاتمة الى ابن هاتى السبتي<sup>(٥)</sup> وهو محمد  
بن علي بن هاتى المخمي السبتي أبو عبدالله المتوفى سنة ٧٣٣ هـ . وقد  
أشار السيوطي الى ان له من التصانيف « لحن العامة » .

ولعل هذا الكتاب هو الذي أشار اليه ابن خاتمة وسماه « انشاد  
الضوال وارشاد السؤال » واختصره في كتابه الموسوم بـ « ابراد النال من  
انشاد الضوال ... » .

---

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن النحوي واللغوي الاندلسي . سكن  
قرطبة وكان تلميذ ابي علي الفارابي وقو توفي سنة ٣٧٩ هـ وكان اول من  
بحث في « لحن العامة » في الاندلس . انظر بقية الوعاة ص ٣٤ وارشاد  
الازيب ٥١٨/٦ .

(٤) أبو حفص عمر بن خلف بن مكى الصقلي المتوفى سنة ٥٠١ هـ .  
انظر انباه الرواة على انباه النجاة ٣٢٩/٢ . بغية الوعاة ص ٣٦١ .  
(٥) انظر البغية ٨٢ .



عملنا في « إيراد اللآل »

لقد نشر المستشرق الفرنسي G.S. Colin هذا الكتاب في مجلة •  
Hesperis V. 12 1931 وعدم له • وقد وجدت أن تلك النشرة

لم تستوف حقا من العناية فبسر الفوائد للدارسين • ثم أنها خلت من  
كثير من التعليقات المفيدة فكان ذلك حافزا على إعادة نشرها وإكمالها بما  
بدا لي أنه مفيد ضروري •

ومن المفيد أن أشير إلى أن تلك النشرة نادرة كل الندرة ذلك أنها من  
مواد المجلة المشار إليها • والمجلة عزيزة المثال في ديارنا الشرقية بل قل  
لا وجود لها في كثير من بلداننا في المشرق العربي •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

ومن « إيراد اللآل من إتيان الضوال » لابن خاتمة الأنصاري  
- رحمه الله - اختصر فيه كتاب « إتيان الضوال وإرشاد السؤل للاستاد  
أبي عبدالله بن هاني السبتي الذي رتب فيه • لحن العامة • للاستاذ النحوي  
أبي عبدالله ابن هشام - رحمه الله الجميع بسمه - :

أصوَع وأصوَع وأصع ( على القلب ) وأصع ( على النفل ) -  
لغات في جمع صاع وهو يُذكر ويؤنث (٦) •

أصع وأصعة - في كل واحد منهما تسع لغات : فتح الأول والثالث  
وضمهما معاً ، وكسرها ، وفتح الأول وضم الثالث وكسرها ، وضم الأول  
وفتح الثالث وكسرها ، وكسر الأول وفتح الثالث وضمه •

وفي « أصع » لغة عشرة وهي « أصبوع » مثل أسلوب والأفصح

(٦) ليس في استعمال العوام لهذا اللفظ ما يبعده عن الفصح

المشهور •

في « الاصبع » كسر الاول وفتح الثالث ، وفي « الانملة » فتحهما معاً<sup>(٧)</sup> .  
 اسرافيل - يقال اللام والنون ، وكذلك اسماعيل واسرائيل<sup>(٨)</sup> .  
 أبشار وآبار (على النقل) وأبؤر وبئار وإبار (على القلب) جمع بشر<sup>(٩)</sup> .  
 اصطبل - (باسكان الباء وتخفيف اللام) لموقف الدواب ، ويجمع  
 على أصاطيب وأصاطيب وصطابل وصطاييل ، ويصغر على أصيطيب  
 وصطيطيل<sup>(١٠)</sup> .

برقع - فيه ثلاث لغات ضم القاف وفتحها وبرفوع بالواو .  
 بطة - للذكر والانثى والجمع بطة ، وهي الإوزة . والبطة أيضاً

(٧) ومثل « أصوع » اصبع وانملة فاستعمال العامة لهما جار على  
 الفصاحة .

(٨) جاء في المعرب ص ١٤ : اسماعيل فيه لغتان : « اسماعيل »  
 و « اسماعين » .  
 قال الراجز :

قالت جوارى الحي لما جينا هذا ورب البيت اسماعينا  
 وأما اسرائيل ففيه لغات قالوا : « اسرال » كما قالوا : « ميكال »  
 وقالوا : « اسرائيل » وقالوا أيضاً : « اسرائين » بالنون . قال أمية على  
 « اسرال » :

لا أرى من يعينني في حياتي غير نفسي الا بني اسرال  
 وقال أعرابي صاد ضباً فجاء به الى أهله ، وقال :  
 يقول أهل السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا  
 (٩) قال G.S. Colin في تعليقه : تحولت الكلمة الى « بير » في  
 عامية أهل الاندلس كما قالوا لصانع البئر « بيار » .  
 قلت : وليس في معجمات العربية ( إبار ) جمع بشر .  
 (١٠) جاء في اللسان : قال ابن بري : لم يذكر الجوهري الاصطبل  
 لأنه أعجمي ، وقد تكلمت به العرب .  
 قلت : وجمعه في لغة أهل عصرنا اصطبلات على التأنيث . وقال  
 G.S. Colin في اللاتينية Stabulum ومنه اختصر صبال  
 وجمعه صبول . وفي اليمن في عصرنا هذا صبل للملجأ الذي يلتجئ اليه  
 المسافر في الطريق .

- الإباء الذي يجعل فيه الزيت وهي لغة شامية عربية صحيحة<sup>(١١)</sup> .
- برنامج - (بفتح الميم) كلمة فارسية وهو زمام تسمية متاع التجار  
وسلمهم وقد قيل « برنامج » بكسر الميم والاول أشهر<sup>(١٢)</sup> .
- بوقال - بفتح الباء والجمع بواقيل<sup>(١٣)</sup> .
- برادة - والجمع براريد عربية فصيحة، ويقال لها السقاية أيضا<sup>(١٤)</sup> .
- بلورج - للطائر المعروف الآتي في الربيع<sup>(١٥)</sup> .

ثمان - في عدد المؤنث يقال باثبات الباء نصباً وحذفها خفضاً ورفعاً ،  
وحكمه حكم المنقوص في كافة أحواله وبحذفها جملة ، والاعراب على النون  
وكذلك ثماني عشرة يقال باثبات الباء وحذفها .

ثلاثة الدنانير وأربعة الدراهم - وكذلك الى العشرة يقال بحذف  
الالف واللام من أسماء الأعداد في حالة اضافتها الى العشر المعرف بالألف  
واللام ، وهو المختار عند جميع النحاة كوفهم وبصريتهم . وأجاز الكوفيون  
مع ذلك قياساً اثباتهما فنقول : الثلاثة دنانير والاربعة دراهم<sup>(١٦)</sup> .

(١١) كذا في «اللسان» وزاد عليه : انها أعجمية معربة . وفيه : ان  
البطة الدبة بلغة أهل مكة لانها تعمل على شكل البطة من الحيوان . وأنظر  
« المغرب » ص ٦٤ .

(١٢) الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٥ وهو تعريب برنامج .

(١٣) جاء في «اللسان» : انه ضرب من الكيزان .

(١٤) جاء في «اللسان» : قال الازهري : لا ادري أمن كلام العرب  
أم المولدين .

(١٥) قال G.S. Colin من اليونانية « بلارج » هو معروف في بلاد  
شمالي افريقي Cigogne أنظر W. Marcé: Textes Arabes  
de Tanger, p. 235

وهو معروف في اسبانيا باسم Bullaga

(١٦) الذي اجازه الكوفيون من تعريف العدد دون المحدود هو الشائع  
في لغتنا الحديثة . ولا يلجأ الى الاسلوب الاول نحو ثلاثة الدراهم .

جير وجيار - لغتان بمعنى وهو الذي تلاط به البيوت<sup>(١٧)</sup> .

جدري : يقال بضم الجيم وفتح الدال وفتحها معاً .

جر - المقطرة ، يقال بفتح الجيم وكسرها .

جزرة الصوف - بكسر الجيم .

جمادى الأولى وجمادى الآخرة - على التأنيث ، وأجاز قطرب<sup>(١٨)</sup> :

جمادى الأول وجمادى الآخر على التذكير وقال : اذا قلت الأول

والآخر فعلى تذكير المفسر ، واذا قلت الأولى والآخرة فعلى تأنيث جمادى

فالتأنيث محمول على اللفظ والتذكير على المعنى .

ذو الحجة - بكسر الحاء خاصة وفي «المشارك»<sup>(١٩)</sup> : « ذو الحجة

يفتح الحاء ولا يجوز فيه الكسر عند أكثرهم وأجازه بعضهم » على «

قيل أولاً .

خوخ - بفتح الخاء والواحدة خوخة وهو الفرسك<sup>(٢٠)</sup> . والخوخة

أيضاً الكوة النافذة في الحائط .

(١٧) في معجم ابن الحشاء : ان الجير كلمة عامية تعني الجبس او

الجبس Chaux واللفظ الفصيح جيار الا أن هذا قد ترك استعماله

لانصرافه الى العامل في الجير G.S. Colin

(١٨) هو ابو علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب أحد

العلماء باللغة والنحو . اُمتوفي سنة ٢٠٦ هـ . انظر ترجمته في أخبار

التحويين البصريين للسيراfi ص ٤٩ ، نزهة الالباء لابن الانباري ص ٦٠ ،

بغية الوعاة ص ١٠٤ .

(١٩) انظر «مشارك الانوار» على صحاح الآثار ، للقاضي عياض

ط . فاس سنة ١٣٢٨ ص ١٨١ .

(٢٠) لعل الفرسك من اليونانية او من اللاتينية



خولنجان - باشباع الخاء واوآ ولام مكسورة (٢١) .

دفتـر (٢٢) - بفتح الدال وكسرها وتفتـر بإبدال الدال تاء لغات بمعنى .

ديس (٢٣) - لفظ عامي والعرب تسميه الأسـل وهو الذي تتخذ منه

الحصـر . ووقع في كلام أبي حنيفة ما يقتضي ان الديس عربي .

دُرَاعَة (٢٤) - بضم الدال وتشديد الراء .

رغوة - مثلثة الراء ورغـاوة ورغاية خمس لغات .

الرخـو والـرطـل - يقالان بفتح الراء وكسرها والكسر أفصح .

ربيع الأول وربيع الثاني - يتوین عنهما وقد يحذف لالتقاء الساكنين

وبابه الضرورة .

زجاج - مثلث الزاء .

زريعة - بالتخفيف للمحب المزدرع والجمع زرائع ، وزريعة بكسر

الأول وتشديد التاني والجمع زرايع وليس في الكلام قَعِيل ولا

قَعِيلَة بالفتح .

(٢١) لم يذكر « الخولنجان » في « المعرب » ولا في « شفاء الغليل »

ولا في « كتاب الالفاظ الفارسية المعربة » . ولعله الخلنج وهو شجر فارسي تتخذ من خشبه الاواني والجمع الخلانج . انظر اللسان « خلنج » .

(٢٢) جاء في « المعرب » ص ١٤٧ : ان الدفتـر عربي صحيح لا خلاف

في ذلك . قال ابن الانباري : ولا يعرف له اشتقاق . وانظر شفاء

الغليل . أما « التفتـر » فقد جاء في « اللسان » : انه لغة في الدفتـر .

حكاه كراع عن اللحياني . قال ابن سيده : وأراه عجميا .

(٢٣) لعله من العامية الاندلسية . أما الأسـل فقد ذكر أبو حنيفة

« اللسان » : انه عيدان تنبت طويلا دقاقا مستوية لا ورق لها يعمل

منها الحصر .

(٢٤) الدُرَاعَة والمِدْرَع : ضرب من الثياب التي تلبس ، وقيل جبة

مشقوقة المقدم . اللسان ( درج ) .

زَفِيرَف (٢٥) - أعجمي وهو عند العرب العُنَاب \*

زرايبي - المفلول المفلوح منسوب الى زرايب غلام اسحاق  
الموصلبي وهو أول من اتخذ فنسب اليه \*

زَرِيْبِيَّة (٢٦) - بكسر أوله للطِنْفَسَة والجمع زرايبي \*

طفال (٢٧) - بكسر الطاء وضمها للطين اليابس الذي يفصل به الشعر ،  
وهو الطربون أيضا \*

طفل - بكسر الطاء للمصبي الصغير والمؤنثة طفلة ، وأما الطفلة بالفتح  
فالجارية الناعمة الجسم \*

كاغد (٢٨) - يقال بالذال معجمة ومهملة وبالطاء المعجمة أيضا ، وهذه  
عن ثعلب وأبي بكر بن دريد \*

كبد وكرش - فيهما ثلاث لغات : فتح الفاء وكسر العين ، وسكون  
العين مع كسر الفاء وفتحها ، وكذلك فيما شاكلهما ، فان كان الثاني حرف  
خلق ك (لعب) و (ضحك) جاز أيضا كسر الفاء اتباعا \*

كراء - بالمد والقصر لغتان بمعنى ، ومن قصر كتب بالألف لقولهم :

(٢٥) لم يذكر « زفيرف » في كتب اللغة . وليس في كتب العرب  
والدخيل ذكر له ، ولعله مما عربه أو استعمله عامة أهل الاندلس ،  
والذي يدل على هذا تعليق Colin عليه فقال : زفيرف من اللغة  
الدارجة في الشمالي الافريقي وهو Jujubier . وفي جامع « مفردات  
ابن البيطار ١٦٥/٢ » انه العناب عند أهل الاندلس \*

(٢٦) في اللسان : الزربية الطنفسة وتكسر زايها وتفتح وتضم  
وجمعها زرايبي . وقال الفراء في قوله تعالى « وزرايبي مبشوة » الطنافس لها  
خمل . وروى عن المؤرج انه قال في قوله تعالى « الآية » : زرايبي النبت  
اذا اصفر أو احمر وفيه خضرة \*

(٢٧) لم اهتمد الى وجود الطفال أو الطربون فيما بين يدي من مظان .  
ولعلهما من عامية الاندلس \*

(٢٨) في « كتاب الالفاظ الفارسية المعربة » : انه فارسي محض بمعنى  
القرطاس . ولا وجود له في « شفاء الغليل » \*

« أعط الأجير كيرُوته » \*

كراع - بضم الكاف وهو من الانسان ما دون الركبة ، ومن الدواب

ما دون الكمب \*

كيرسنة<sup>(٢٩)</sup> - بكسر الكاف لنبات معروف \*

كوّة - بالفتح والضم والاول أفصح وأشهر \*

كبر<sup>(٣٠)</sup> - بفتح الكاف والباء المخففة لنبات معروف \*

كرويا<sup>(٣١)</sup> - قال أبو حنيفة : الكرويا قابل ليس بعربي ، ولا

يُدري أيمن أم لا فان مُدَّ فهو انشئ \*

كدس - يقال بضم الكاف وفتحها والجمع أكداس وهو ما جمع من

طعام أو غيره \*

كنبوش<sup>(٣٢)</sup> - لفظ أعجمي تقوله العامة لما تجعله المرأة على رأسها

تحت مقنعتها من حرير وغيره ، وهو عند العرب الصقاع<sup>(٣٣)</sup> والغفارة<sup>(٣٤)</sup>

(٢٩) جاء في جامع « مفردات ابن البيطار ٦٣/٤ : انها شجيرة صغيرة

دقيقة الورق والاغصان لها ثمر في غلف » \*

(٣٠) جاء في « المغرب » : قال ابو بكر : واحسب ان الكبر معرب

واسمه بالعربية الأصف \* قال أحمد محمد شاكر محقق « المغرب » : لم

أجد هنا النص في « الجمهرة » ولكن فيها : ٢٦٠/٣ : « الاصف الشجر

الذي يسمى الكبر وأهل نجد يسمونه الشفّاح » وكذا في « الجمهرة »

٣٢٩/٣ . وفي « اللسان » : الكبر الأصف فارسي معرب وهو نبات له

شوك . ونقل أدبي شير ان لفظه في الفارسية كلفظه في العربية . والذي

يترجح عندي انه عربي خالص \*

(٣١) في جامع « مفردات ابن البيطار ، ٦٥/٤ : هي القرنبياد

والقرنقار وهو بزر صغير الحبة معروف عند الناس ..

(٣٢) ليس الكنبوش من مواد « المغرب » ولا « شفاء الغليل » الا ان

أدبي شير في كتاب « الالفاظ الفارسية المعربة » قد ذكر انه : البرذعة تجعل

تحت سرج الفرس \*

(٣٣) في « اللسان » الصقاع : خرقة تكون على رأس المرأة توقي

بها الخمار من الدهن . وربما قيل للبرقع صقاع ، وله معان أخرى \*

(٣٤) في « اللسان » الغفارة : خرقة تكون دون المقنعة توقي بها

المرأة الخمار من الدهن . ولها معان أخرى \*

والوقاية (٣٥) والوقية (٣٦) والشتقة (٣٧) .

كشاجم (٣٨) - بفتح الكاف لقب لشاعر جمعت أحرفه من صناعاته  
أخذت الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والنجم  
من منجم ، والميم من مغن ، ثم طلب الطب بعد ذلك حتى مهر فيه وسار  
أكثر علمه فزاد في لقبه طاء ، من طبيب ، وقدمت على سائر الحروف لقلية  
الطب عليه ، فقل طكشاجم ، ولكنه لم يسر سير كشاجم .

كوب - لبعض الآنية وزعم أبو عبيدة ان الكوب من الأباريق ،  
الواسع الذي لا خرطوم له ، وقيل : بل هو الذي لا عروة له .  
كوز - للأناء اذا كانت له عروة والافهو كوبة .

كيت وكيت - لا يكتسى بهما الا عن الأفعال . وذيت وذيت لا يكتنى  
بهما الا عن الأقوال .

لص - بكسر اللام وضمها . ولصت (٣٩) بكسر اللام وفتحها  
أربع لغات .

(٣٥) في « اللسان » : الوقاء والوقاية والوقاية  
والواقية : كل ما وقيت به شيئا .

(٣٦) أرى أن تكون « الوقية » مصحفة من التوقية التي تفيد الكلاءة  
والحفظ اذ ليس في اللغة « الوقية » .

(٣٧) في « اللسان » : الشنتقة خرقة تكون على رأس المرأة تقي  
به الخمار من الدهن .

(٣٨) هو محمد بن الحسين ( أو ابن محمد بن الحسين ) بن السندي  
بن شاعك أبو الفتح الرملي المعروف بكشاجم شاعر متفنن أديب من كتاب  
الأنشاء . فارسي الأصل توفي سنة ٣٦٠ هـ . انظر الديارات للشهابشسي  
١٦٧-١٧٠ وانظر الاعلام للزركلي ٤٣/٨ .

(٣٩) في اللسان : واللصت لغة في اللص ابدلوا من صاده ناء  
وغيروا بناء الكلمة لما حدث فيها من البديل ، وقيل : هي لغة . قال  
الليثاني : وهي لغة طيء وبعض الانصار وجمعه لصوت . وانظر  
المعرب ص ٢٢١ .



لبان - يضم اللام وهو الكندُر<sup>(٤٠)</sup> .

مغزل المرأة - مثلث الميم عن المطرز<sup>(٤١)</sup> والكسر أفصحهما .

مائدة وميدة<sup>(٤٢)</sup> - وهي أضعف .

مسجد<sup>(٤٣)</sup> - ويقال « مسيد » حكاه غير واحد والاول أفصح .

مشمش - يقال بكسر الميم وهو أفصح ويفتحهما وهو أضعف .

مرأة وامرأة ومراة<sup>(٤٤)</sup> - ينقل حركة الهمزة للراء وتسهيلها ،

ومرأة بالثقل وحذف الهمزة ، أربع لغات بمعنى .

منديل - فيه ثلاث لغات : كسر الميم وهي الفصيحة وحكى ابن جني

(٤٠) انظر جامع مفردات ابن البيطار ٨٣/٤ .

(٤١) هو محمد بن بدالواحد بن ابي هاشم ابو عمر المطرز الباوردي . المعروف بقلم نعلب أحد أئمة اللغة صاحب التصانيف الكثيرة المتوفى سنة ٣٤٥ هـ انظر في : انباء الرواة ١٧١/٣ ، نزعة الالباء ص ١٩٠ . بغية النواة ٦٩ .

(٤٢) في « شفاء الغليل » ص ٢٥٥ : ميدة لغة في المائدة .

(٤٣) قال G.S. Colin : لم يكن مسيد معروفا في الاندلسية والصيغة الوحيدة التي كانت معروفة هي مزاد Mazad ، غير ان اللهجات المغربية الحديثة تعرف « مسيد » Masid والجمع « مساييد » ومعناه المدرسة القرآنية الملحقة بالمسجد الجامع . وكذلك كلمة « جامع » تستعمل على المعنيين كما في : W. Marcais, Texte Arabes de Tanger p. 52 . وليس من السهل ان نعرف التاريخ الذي تحول فيه مساجد الى مساييد . والياء ابدال من الجيم . ومنها أخذت الكلمة الاسبانية Mesqida—Mezqita والاطالية Meschita والبربرية Ja-Mezqida وفي اللهجة الاندلسية تحولت مسجدا الى مسيد . مسيد تم الى مزاد . ومن المفيد ان نشير الى ان مسيد كانت معروفة في لغة صقلية الاسلامية . (٤٤) هذه اللغة لم ترد في الكتب المطولة . وهذا يعني ان للكلمة ثلاث لغات منها (مرة) وهي التي بقيت في اكثر الالسن العربية الدارجة وفي هذه اللغة ورد قول الراجز :

تقول عرسى وهي لي في عومرة بثس امروا واثني بثس المرأة

فتحتها ، والثالثة مِندل واشتقاقه من الندل وهو الجذب<sup>(٤٥)</sup> . ويقال له أيضا المشوش .

مِلاك التزويج وإملاكه - لغتان بمعنى ، فأما مِلاك الأمر فيقال بكسر الميم وفتحها .

مَعْدَة ومِعْدَة - لغتان بمعنى ككَلِمَة وكِلِمَة .  
مَرْدَقُوش ومَرْدَجُوش ومَرْدُزَجُوش - ثلاث لغات بمعنى العنقز<sup>(٤٦)</sup> .

مَجْبَرَة - فيها خمس لغات فتح الميم والباء ، وكسر الميم وفتح الباء ، وفتح الميم وضم الباء ، وخابورة ، ومَجْبَرَة بتشديد الباء .  
ملك اليمين - مثلث الميم .

مقبض السكين وغيرها - بفتح الميم وكسر الباء ، وكسر الميم وفتح الباء ، وبفتحهما ثلاث لغات بمعنى وو ما قبضت عليه منه .  
مخدة - بكسر الميم .

---

(٤٥) وفي « اللسان » : قالوا واشتقاقه من الندل اي الوسخ .  
(٤٦) في « اللسان » : قال ابو الهيثم : لمردقوش معرب معنساء اللين الاذن ، وفي « القاموس » ان المردقوش معرب « مرده كوش » وأن المَرْدَجُوش معرب « مرْدَكُوش » وفي « المعرب » ص ٣٠٩ : وليس المَرْدَجُوش والمردقوش من كلام العرب ، انما هي بالفارسية « مُردَقُوش » ( يضم الميم والدال ) اي ميت الاذن . وقد استعملوه . قال ابن مقبل :

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية على سعايب ماء الضالة اللجن  
نعتة بالورد لان المَرْدَجُوش اذا بلغ احمرت أوراقه . والمردقوش  
ايضا الزعفران . وقال صاحب « المعيار » ، « مرْدَن » بالفارسية الفار  
و « كوش » الاذن ، سمي لانه شبيه بأذن الفار . وقال ادب شير :  
المَرْدَجُوش : من الرياحين دقيق الورد بزهر أبيض عطري تعريب  
« مُرْدَن كوش » ومعناه آذان الفار .

وعنقز صحف « المطبوع » الى « عبقر » وفي « مفردات ابن البيطار » الى  
عنقر والصحيح ما اثبتناه . وفي « اللسان » : قال ابو حنيفة : ولا يكون  
الا ببلاد العرب . وأنظر وصفه في « المعتمد » ص ٣٣٩ .

- منجم (\*) - مثل منجل للذي يُدَقُّ به الوتد وغيره .
- مقلين (\*\*) - بكسر الميم واللام لبعض الطيور ويكنى بأبي الدنانير .
- مُرد<sup>(٤٧)</sup> - لفظ مولد يقال بكسر الراء وفتحها وميمه مفتوحة ،
- تَرَد يترد ويترد . فعلى الكسر يقال : بالكسر ، وعلى الضم يقال :
- بالفتح .
- مسلخ - بفتح الميم لموضع من الحمام تنزل فيه الثياب . فأما المسلخ
- بكسرهما فالتوب الذي يُسلخ كالمجسد : وهو الثوب الذي يلي الجسد ،
- والمفضل : وهو الثوب الذي تفضل به المرأة .
- مالخونياء<sup>(٤٨)</sup> - بنون ساكنة بعد اللام لداء معروف .
- معجب بنفسه - بفتح الجيم للمتكبر من العجب وهو الكبر .
- مشق - بفتح الميم وكسر الشين للذي تصطك ألتاء حتى
- تنسججا<sup>(٤٩)</sup> ، والفعل منه : مشق يمشق مَشَقاً فهو مَشَق .
- مِضَاة<sup>(٥٠)</sup> بكسر الميم والهمز للمتوضأ وهو حيث يُتوضأ والجمع
- المواضيء والياء فيها منقلبة عن واو لسكونها وانكسار ما قبلها .
- موسيقاء<sup>(٥١)</sup> - بياء بعد السين .
- اء ورد<sup>(٥٢)</sup> - بالمد وقد يقال « ماورد » على لغة من يقول « ما ،

- (\*) وفي اللهجة المغربية « ميجم » .
- (\*\*) وفي اللهجة المغربية مقنين . وفي الجزائر « مرقومة » .
- (٤٧) لا وجود له في المعجمات ولا في كتب اللغة الاخرى .
- (٤٨) لم أجده في سائر كتب العربيات والدخيل . وهو داء السوداء
- النعروف بين الناس بالمالخوليا .
- (٤٩) كذا في « اللسان » وهو الصواب أما في المطبوع فقد تصحف
- الى : تنسججا .
- (٥٠) ذكر الخفاجي في « شفاء الغليل » ص ٢٥٧ : ان العامة تقول
- « مِضَاة » .
- (٥١) وقد تقصر فيقال « موسيقى » ، وقد تكون بالياء موسيقى .
- (٥٢) أنظر جامع « مفردات ابن البيطار » ١٣٦/٤ .

بالقصر .

مُثَبِّرٌ (٥٣) - بكسر الميم والهمزة لمسلة الحديد ، فأما الذي تحبس فيه الأبرَ فقياسه مأبَر .

موسوس - بكسر الواو الثانية للذي غلبت الوسوسة وهي حديث النفس .

مُكْرِفٌ - للذي أمه كريمة وأبوه خسيس وهو المذرع أيضا ، وإنما سُمِّيَ المذرع للرقمتين في ذراع البغل وإنما صارت فيه من أجل الحمار .

### التون

نَعْنَعٌ (٥٤) - يضم التونين وفتحهما لريحانة طيبة الريح . قال الزبيدي (٥٥) : والضم أعجب الي وأفصح .

نَد (٥٦) - بفتح التون وكسرها لضرب من الطيب .

نَيَّة (٥٧) - تقال بتخفيفها وتشديدتها .

(٥٣) جاء في اللسان : « والأبرة مسلة الحديد والجمع أبر وإبار ، قال القطارى :

وقول المرء ينقذ بعد حين إماكن لا تجاوزها الأبار

أما المأبَر لما تحبس فيه الأبر فهو مقيس لم تذكره كتب اللغة . »

(٥٤) في اللسان : النعنع ( يضم التونين وفتحهما ) والنعناع : بقله . . والعامة تقول : نعنec ( بفتحهما ) ، وفي الصحاح : ونعنec مقصور من نعناع ولم ينسبه إلى العامة .

(٥٥) هو أبو بكر محمد بن حسن بن مدهج الزبيدي المشهور ٣٧٩هـ . أنظر مقدمة « لحن العوام » ص ٨-٣٢ . وقول الزبيدي المشار إليه في لحن العوام ص ٨٨ : وقد روى بعض اللغويين « نعنec » بالفتح والاول « أي بالضم » أفصح وأعرف .

وجاء في « تاج العروس » : أما النعنec فأحسبه عربيا .

(٥٦) في اللسان : الند ضرب من الطيب يدخن به . قال ابن دريد : لا أحسب الند عربيا صحيحا .

(٥٧) لم اهتم إلى وجه التخفيف في كتب اللغة ولعله من لحن العوام .



نَيَوفَر<sup>(٥٨)</sup> - بفتح النون والفاء ، ونيلوفر باللام لَنَوْر أَصْفَر يَنْبِت  
بِالْعُدُر •

نِقْس<sup>(٥٩)</sup> - بكسر النون وفتحها للمداد •

نِسْوَة<sup>(٦٠)</sup> - بكسر النون وضمها لغتان •

نَحْوِي<sup>(٦١)</sup> - باسكان الماء وفتحها منسوب الى النحو ، وقد أجمع  
نحاة الكوفة وطائفة من نحاة البصرة على جواز فتح عين فعل اذا كان حلقياً •  
نُعْرَة - مثل توءمة ذباب أخضر أزرق يدخل في أنوف الذباب •

نَغْنَة - بضم النونين اللحمة المتدلية على أعلى الحلق •

نَفَاخَة - بفتح النون وهي الحجا والواحدة حِجَاة<sup>(٦٢)</sup> وهي الفقاقيع  
التي تطفو على الماء ، وهي الحَبَاب أيضا والواحدة حَبَابَة •

### الصاد

صَنَّف - بكسر الصاد وفتحها للنوع •

صَنَوْبِر - بفتح الصاد والنون لضرب من الشجر معروف •

صِفْرٌ - بكسر الصاد للتشيء الخالي ويكون للواحد والجمع •

---

(٥٨) ذكر الخفاجي في شفاء الغليل ص ٢٦٧ : انه اسم فارسي ...  
وقد تلاعبوا به فخففوه وقالوا نَوْفَر • وذكره أدي شير ص ١٥٥ •

(٥٩) في اللسان : النقس الذي يكتب به بالكسر • ولعل النقس  
بفتح النون المشار اليه من لحن العامة •

(٦٠) وكذا النيسوان والنُسوان ( بالكسر والضم ) ( اللسان ) •

(٦١) أقول : ان فتح عين الفعل اذا كان حلقياً غالباً في العربية  
وليس مسألة جواز • ولا يدخل في هذا «نحو» • والذي أراه ان الفتح في  
حاء «نحوي» من باب لحن العوام •

(٦٢) في اللسان : والحجاة نَفَاخَة الماء من قطر أو غيره • وقد  
ضبطت النفاخة بضم النون وتشديد الفاء وهذا يعني انه «النفاخة» بفتح  
النون المشار اليها من لحن العوام •

صَبَّ (٦٣) - لغة عجمية تقولها العامة زجراً للهر إذا أبعده ، وإنما تقول له العرب : إخساً وكذلك للكلب .

صِراح - بكسر الصاد مصدر صارحت بالأمر تقول : فعلت ذلك صِراحاً فأما الصُّراح بالضم فالخالص من كل شيء .  
صَقَلِيَّة - بفتح الصاد والقاف لجزيرة معروفة .

### الضاد

ضحية - فيها أربع لغات : أضحية ( بضم الهمزة ) وهي العليا ، وإضحية ( بكسرها ) ، وأضحاة ، وضحية وهي أضعفها .  
صفة الوادي - بكسر الضاد وضمها لجانيه .

### العين

عَزَبَ (٦٤) (بفتح العين والزاي) للذكر والانثى وهو مصدر وصف به لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث .  
عجزت عن الشيء - (بفتح الجيم وقد تكسر) إذا لم تستطعه ، فإن استطعته قلت : كسلت عنه .  
غارية - ( بتشديد الياء ) والتخفيف فيها لغة قليلة ، وقالوا أيضاً « غارة » مثل غارة .

عجوز وعجوزة - لغتان بمعنى والأولى أفصح .  
عَزَقَ - لفظ أعجمي تقوله العامة لورق الدوم (٦٥) وهو عند العرب الخوص والواحدة خوصة ، والخوص أيضاً ورق النخل وما شاكله .  
(٦٣) يبدو أن « صب » كلمة أندلسية ما زال المغاربة يستعملونها زجراً للقط . وهي في الإسبانية adez لزجر الكلب والقط .  
(٦٤) جاء في اللسان : رجل عزب لا أهل له . وامرأة عزبة وعزب لا زوج لها .  
(٦٥) في اللسان : قال أبو منصور : الدوم شجر يشبه النخل إلا أنه يثمر المقل ، وله ليف وخوص مثل خوص النخل .

## الفاء

- فِدْرَنْدَ وَفَرْدَنْدَ<sup>(٦٦)</sup> - لغتان بمعنى ، وفي الصحاح إفرند (بالهمز) وهي طرائق السيف .
- فَقَارَ الظَّهْرَ - بفتح الفاء والواحدة فقارة وكذلك ذو الفقار سيف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
- فَسْطَان<sup>(٦٧)</sup> - اسم أعجمي تقوله العامة لبعض ألياب الروملة .
- فَقْوَصَ<sup>(٦٨)</sup> - بفتح الفاء .

## القاف

- قَنْفَذَ - بالذال المعجمة وعينه تضم وتفتح ويقال له أيضا قَنْفَطَ وَقَنْفَطَ<sup>(٦٩)</sup> .
- قِرَامِيدَ<sup>(٧٠)</sup> - لآجر مطبوخ فارسي معرَّب والواحد قِرْمِيدَ . فأما القِرْمِيدَ فما طلي به الحائط من جص أو جَبَّارَ<sup>(٧١)</sup> أو غيرهما .
- قَطَ - والاثني قطة ، ويقال له أيضا الهر والسنَّور والقطوس<sup>(٧٢)</sup> والضيون .

- (٦٦) إفرند والافرنند لغتان أما القندر فهو على القلب ولم يرث في كتب اللغة وأكبر الظن أنه من الكلام العامي ، فالعامة يقلبون كثيرا من الكلم الفصح .
- (٦٧) الفسطان من العامية الاندلسية وهو من الكلمة الرومانية فستان
- (٦٨) في اللسان ان الفقوص هو البطيخ . وما زالت الكلمة معروفة في الشمالي افريقي لتدل على اليقطين الافرنجي .
- (٦٩) لعل القنفط ( يضم القاف والفاء ) وفتحهما من العامية الاندلسية . وفي اللهجات المغربية الحديثة نرى « قَنْفُود » أو « قَنْفُوط » .
- (٧٠) في « المعرب » ص ٢٥٤ قال ابن دريد : القرميد قالوا : هو الآجر بالرومية أو شيء يشبهه .
- (٧١) جيار الصاروج وهو اذا خلط الرماد بالنورة . أنظر اللسان .
- (٧٢) لعل القطوس من العامية الاندلسية والذي يحمل على هذا ان الكلمة ما زالت معروفة في بلاد الشمالي افريقي . وهي في اللاتينية Catus . والضيون السنور الذكر .

قَبِيط (٧٣) - وَقَبِيطِي وَقَبِيطَاء ( بالمد والتخفيف ) لضرب من الحلواء وهو الناطف .

قِنَب (٧٤) - يقال بكسر القاف وضمها وهو قِنَب وقِنَم .  
قِمَارِي - بكسر القاف وفتحها للعود المنسوب الى مكان بالهند يقال له قِمَار وقِمَار .

قِرْدَان - بفتح الراء وضمها وكذلك في النسب اليه وأصله فارسي .  
قَلَّة الجبل وقَتَّة - أعلاه والقَلَّة الجرة العظيمة .  
قَطَن - بنون مخففة للذي تسميه العامة شاه بلوط . فأما القسطل باللام فالقبار .

قَبْقَاب (٧٥) - لفظ عامي يطلقونه على ما يصنع من الخشب على هيئة النعل . وإنما القبقاب عند العرب الرجل الكثير الكلام . والقبقاب أيضا صوب أنياب الفحل .

قَارِب (٧٦) - ( بكسر الراء ) لضرب من السفن .  
قِرْنَان (٧٧) - ( بفتح القاف ) الديوث لانه يقرن بأهله غيره .  
قَرَق (٧٨) - لفظ أعجمي والعرب تسميه النعل .

(٧٣) هو حلوى من السمسم والعسل يُعرف قبيطي في صقلية ، أما في المغرب قَبِاط .

(٧٤) من المفيد أن نقول انه في اللاتينية Canabis (٧٥) في اللسان : القبقاب النعل المتخذة من خشب بلغة أهل اليمن . وكذلك للرجل الكثير الكلام وله معان أخرى في كتب اللغة .  
(٧٦) من المفيد ان نشير الى انه في اليونانية واللاتينية Carabis (٧٧) جاء في « شفاء الغليل » ص ٢١٣ : قرنان بوزن سكران عامية مولدة . وفي اللهجة الاندلسية « قران » . وما زال العراقيون يستعملون في المعنى نفسه « أبو قرون » أي ذو القرون .

(٧٨) ما تزال الكلمة معروفة في اللهجات المغربية وموريتانيا ومالطة وهي رومانية الاصل . وجاء في زجل لابن قزمان ( انظر الشفاء ص ١٥٤ ) بعثت قرقي للقراق يصلحو وقد تعذر قيراط من الثمن

تعليق G.S. Colin



قُمِّمَ (٧٩) - ( بضم القافين ) لانه من نحاس وهو في الرومية .  
 قَدَسَ - ( بفتح القاف والذال ) والجمع أقداس وقُدوس لكبران  
 الدولاب وهي العمائر<sup>(٨٠)</sup> .  
 قَفَقَفَ من البرد وتَقَقَفَ وقَرَقَفَ بمعنى ، والقَفْقَفَة والقِرْقَفَة  
 الرعدة .

### السين

سَفَرِي - متوع من الرمان [منسوب] الى سَفَر بن عبدالله وكان  
 من رجال عبدالرحمان الداخل الى الاندلس الأموي . وكان عبدالرحمن  
 قد وجه هدية الى أخته بالشام من الاندلس فوجهت له هي أيضا من طرائف  
 الشام وفواكهه ، فكان فيما وجهه رمان شامي فلم يصل الى الاندلس الا  
 وقد فسد ، فأعطى عبدالرحمن رجاله من تلك الهدية وقسم عليهم من ذلك  
 الرمان ، فأخذه سفر بن عبدالله وغرسه فبث فأخذه الناس من عنده وزرعوه  
 ونسبوه اليه فقالوا سفري .

سفيان<sup>(٨١)</sup> - ( مثلث السين ) والضم أفصح ، والفتح أضعف .  
 سوار ( بكسر السين وضمها ) وأسوار - ثلاث لغات بمعنى .  
 سداد - ( بفتح السين ) القصد والصواب ، فأما سداد الثغر والقارورة  
 وهو ما يسد به الشيء فبالكسر .  
 وقولهم : « سداد من عوز ومن عيش » لما تُسَدُّ به الخلّة تكسر

(٧٩) في اللهجات المغربية : قمقوم .  
 (٨٠) والعمائر بهذا المعنى لم تعرف في اللغة الفصيحة ولا في لهجات  
 الأندلس ولعلها «العصامير» جمع عصمور وهو دلو الدولاب كما قال ابن  
 الاعرابي . وقال الليث : العصامير دلاء المنجنون . وهي عصامير جمع  
 عصمور بالضاد المعجمة ( اللسان ) .  
 (٨١) جاء في الاشتقاق ص ١٦٦ : ( سفيان ) فعِلان بضم السين  
 وكسرهما واشتقاقه من السافي وهو ما سفته الريح .

سينه وتفتح لأنه أخذ بطرفين من معنيين : سداد النهر وسداد الرأي ،  
ولكونه الى معنى سداد النهر أقرب كان الكسر أقصح .

سلة وسل<sup>(٨٢)</sup> - لوعاء كالجؤنة .

سرعان الناس<sup>(٨٣)</sup> - يقال يفتح السين والراء ، وسكون الراء والسين  
مفتوحة ومضمومة .

ساف<sup>(٨٤)</sup> - لفظ عامي يطلقونه على طائر تسميه العرب الباشق  
بكسر الشين المعجمة وفتحها .

سردين<sup>(٨٥)</sup> - بكسر السين وبذل معجمة وليس بعربي .

سانية<sup>(٨٦)</sup> - للبعير ونحوه من الدواب التي يربط بها الرشاء ليخرج  
الفرّاب من البئر سانية . فأما الآلة فهي الدولاب بضم الدال وفتحها ،  
والعمود القائم في الوسط المنجنون ، والكيزان يقال لها العمائر<sup>(٨٧)</sup> والأقداس  
واحدها قدس والبئر التي يستقى منها تسمى المستوية .

---

(٨٢) عبارة اللسان : لوعاء كالجؤنة المطبقة . وقال ابن دريد :  
لا أحسب السلة عربية . ولم ترد في كتب العرب . والجؤنة سائلة  
مستديرة مفشاة أدما .

(٨٣) في « اللسان » سرعان الناس وسرعانهم ( يفتحهما ثم يسكون  
الراء ) أوائلهم المستبقون الى الامر . ولا وجه لضم السين الا أن يحمل  
على لحن العامة .

(٨٤) الساف في الكلام الفصيح لصف الحجارة في الجدار . يقال :  
ساف من البناء وسافان وثلاثة آسف .

(٨٥) ويقال : سردين بالدال المهملة . وهذا يدل على تقدم الكلمة  
في الاستعمال .

(٨٦) هي الناقة التي يستقى عليها أو البعير . وقيل : الغرب  
وأداته . ( اللسان ) .

(٨٧) لم يرد هذا المعنى في كلمة « عبارة » في كتب اللغة . وأكبر  
الظن أنها من مصطلحات الكيزاني في لغة أهل الأندلس . ولعلها « العصامير »  
انظر مادة « قدس » التي تقدمت في « القاف » .

سَبِينِيَّة<sup>(٨٨)</sup> - ( بفتح السين والياء ) لضرب من الثياب ، ومنهم من يهمزها .  
 سُرَّة البطن - ما تبقى بعد القطع فإن لم تقطع فهي السر والسرر  
 أيضا بالفتح .  
 سلوفي - ( بفتح السين ) لبعض الكلاب منسوب الى سلوق موضع باليمن تنسب اليه الكلاب والدروع .  
 سحنون - ( بفتح السين ) ويقال بضمها ، اسم لطائر حديد ، لقب به أبو سعيد عبدالسلام<sup>(٨٩)</sup> لحدة ذهنه في المسائل .

### الشين

سوينز - ( بضم الشين ) وشينيز<sup>(٩٠)</sup> لغة فيه .  
 شطرنج<sup>(٩١)</sup> - ومن جوز اشتقاقه من المشاطرة فيده بالشين المعجمة .  
 ومن جوز اشتقاقه الشطير فيده بالسين المهملة . وحكى ابن جنى : ان الصواب كسر الشين ليكون على بناء جرد حل .

(٨٨) جاء في اللسان : السبينية ضرب من الثياب تتخذ من مشاقة الكتان اغلظ ما يكون ، وقيل : منسوبة الى موضع بناحية المغرب يقال له سَبِن ، ومنهم من يهمزها فيقول السبينية . قال ابن سيده : وبالجمله فاني لا احسبها عربية . وما زالت عند المغاربة معروفة « سبينية » بكسر السين وسكون الياء لفظاء الرأس .

(٨٩) هو عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون قاض ، فقيه انتهت اليه رئاسة العلم بالمغرب وقد توفي سنة ٢٤٠ هـ .  
 انظر معالم الايمان ٤٩/٢ .

(٩٠) الشينيز من اليزر بكسر الشين غير مهموز ، عن أبي حنيفة : هي الحبسة السوداء ، قال : وهو فارسي الاصل ، قال : والفوس يسمونه الشونيز بضم الشين ، وفي المطبوعة قد صحفت الى « شينير » .  
 انظر اللسان .

(٩١) جاء في « المغرب » ص ٢٠٩ : الشطرنج : فارسي معرب . وبعضهم يكسر شينه . جاء في « اللسان » : وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب « جرد حل » . وقال في « القاموس » : والسين لغة فيه .

شحاذ<sup>(٩٢)</sup> - للسائل يأخذ من الناس اليسير ويشحذهم كما يشحذ  
 المسن الحديدية ويأخذ منها شيئا فشيئا .  
 شاشية - لفظة أعجمية وهي عند العرب القلنسوة<sup>(٩٣)</sup> .  
 شهر كذا - الشهور كلها بأسمائها دون إضافة إلى شهر ، إلا ثلاثة  
 فإنه يقال فيها شهر كذا وهي : شهر رمضان وشهرا ربيع ، وقد استعملا  
 بغير إضافة والاول أشهر .

### الهاء

هراق - لفظة عامية يطلقونها على القارورة التي يهول فيها العليل  
 وإنما يقال لها مِبولة بكسر الميم .  
 هات<sup>(٩٤)</sup> - أصلها « هات » المأخوذ من « آتي » ، يؤتى ، بمعنى  
 أعطى فقلبت الهمزة هاء كما قلبت في أرق فقل : هرق ، وتصريفها  
 تصريف هات في الافراد والتثنية والجمع .  
 هيدورة<sup>(٩٥)</sup> - لفظة أعجمية والعرب تسميها المسلاخ .

---

(٩٢) جاء في « شفاء الغليل » ص ١٦١ : شحات للسائل وسسموا  
 شحاتة بالمثلثة وصوابه شحاذ وشحاذة من شحذ السيف صقله .  
 (٩٣) في « شفاء الغليل » ص ١٦٥ : الشاش هو معروف يلف على  
 الراس وبعد اللف يسمى عمامة وهو مولد منقول من اللغة الهندية .  
 وما زالت الشاشية معروفة في أقاليم المغرب العربي لضرب من القلائس  
 مصنوعة من الشاش .

(٩٤) لا اظن ان « هات » أصلها « آت » من « آتي » بمعنى أعطى  
 بل الوجه عندى ان هذه لغة وتلك لغة . ومن المؤكد ان الذي يقول « هات »  
 لا يقول « آت » . والهمزة في اول الفعل تقابل الهاء في اول الفعل ومنه :  
 هرق ، وأرق ، وهلا وآلا ومثله الزيادة بالهمزة والهاء نحو : هراق  
 وأراق .

(٩٥) لم أجدها في كتب اللغة ولعلها كلمة مغربية قديمة ، والذي  
 يحمل على هذا أنها ما زالت معروفة في المغرب بمعنى جلد الغنم المديوغ مع  
 ابقاء صوفه ليتخذ منه سجادة .



## الواو

وصم - ( بفتح الضاد ) لكل شيء وقيت به اللحم من الأرض من خشبة أو حيوان أو غير ذلك \*  
واد - لكل بطن مطمئن من الأرض ، وربما استقر فيه ماء والجمع أودية على غير قياس وأوداء وأودية \* قال أبو الفتح : ولم يأت في كلامهم فاعل يجمع على أفعلة غير حرفين خاصة : واد وأودية ، وجائز وأجوزة للجذع ينسب إليه البيت (٩٦) \*  
الياء

وادي يليان - لموضع قريب من سبته \* ويليان هو صاحب سبته وطلحة الرومي الذي صالح موسى بن نصير \*  
يوسف مثلث السين بالواو وبهمزه عوضها \* ست لغات بمعنى والضم مع الواو أفصحها \*  
يونس - فيه ست لغات كذلك \*  
يشق (٩٧) - لفظة عامة يطلقونها على الذي يعتقد به اللبن والعرب تسميه الالفحة بكسر الهمزة والحاء مخففة ومشددة \*  
يمنة ويسرة - بفتح أولهما وإسكان ثانيهما \*

---

(٩٦) الجائز من البيت : الخشبة التي تحمل خشب البيت ، والجمع أجوزة وجوزان وجوائز عن السيرافي ، والاولى نادرة ، ونظيره واد وأودية \* (اللسان) \*

وقد جد في لغة هذا العصر ناد وأندية \*

(٩٧) لعلها من عامية أهل الاندلس \*

## مصادر التحقيق

- ١ - الاحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ، جزءان منه طبعوا في مصر ١٣١٩هـ .
- ٢ - ارشاد الارب الى معرفة الاديب ( معجم الادباء ) لياقوت ، طبعة مرجليوث مصر ١٩٠٧ - ١٩٢٥ .
- ٣ - الاعلام لخيرالدين الزركلي ، الطبعة الثانية مصر ١٩٥٩ .
- ٤ - انباء الرواة في انباء النحاة للقفطي ، طبع مصر ١٩٥٠ - ١٩٥٥ .
- ٥ - بغية الوعاة للسيوطي طبعة بالافوسيت بدار المعرفة بيروت .
- ٦ - تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي ، طبع مصر ١٣٠٦-١٣٠٧ .
- ٧ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، طبع مصر ١٩٥٦ .
- ٨ - تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي ، طبع المجمع العلمي العربي بدمشق .
- ٩ - التكملة لكتاب الصلة لابن الابار ، طبع جزءان في مجريط ١٨٨٦م والثالث في الجزائر ١٩١٩ م .
- ١٠ - الجمانة في ازالة الرطانة لبعض علماء القرن التاسع الهجري ، طبع المعهد الفرنسي للآثار في القاهرة ١٩٥٣ .
- ١١ - جمهرة اللغة لابن دريد ، طبع في حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١هـ .
- ١٢ - الديارات للشهابشي ، طبع في بغداد الطبعة الثانية ١٩٦٠ .
- ١٣ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ، طبع مصر ١٣٤٩هـ .
- ١٤ - شفاء الغليل للخفاجي ، طبع مصر ١٩٥٢ .
- ١٥ - غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين بن الجزري ، طبع مصر ١٣٥١هـ .
- ١٦ - القاموس المحيط للفيروز آبادي ، طبع مصر ١٩١٣ .
- ١٧ - كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ، لادي شير ، طبع بيروت ١٩٠٨ .
- ١٨ - لحن العامة والتطور اللغوي للدكتور رمضان عبدالنواب ، طبع مصر ١٩٦٧م .
- ١٩ - لحن العوام للزبيدي طبع مصر ١٩٦٤م .
- ٢٠ - لسان العرب لابن منظور طبع بيروت .

- ٢١- مشارق الانوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ، طبع فاس  
سنة ١٣٢٨هـ .
- ٢٢- المعتمد في الادوية المفردة للملك المظفر الاشرف يوسف بن عمر  
الغساني ملك اليمن ، طبع مصر ١٣٢٧هـ .
- ٢٣- المعرب للجواليقي ، طبع مصر ١٣٦١هـ .
- ٢٤- معيار اللغة لميرزا محمد علي بن محمد صادق الشيرازي ، طبع حجر  
طهران ١٣١١هـ .
- ٢٥- نزعة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري ، طبع بغداد سنة ١٩٥٩ .
- ٢٦- هدية العارفين للاسماعيل باشا البغدادي ، طبع استانبول  
١٩٥١ - ١٩٥٥ .





## فهرس بمواد الكتاب

الصفحة	
١	١ - من الادب التونسي
٣	اللون التقليدي المحافظ
٣٢	الجديد في الادب التونسي ( أبو القاسم الشابي )
٤٢	العربية التونسية
٦٠	٢ - الاقليمية والنقد الادبي
٧٦	٣ - قطوف من تونس
٨٦	٤ - علم اللغة بين علماء العربية وابن خلدون
٩٢	٥ - امارة للشعر وأمير للشعراء
١٠٠	٦ - عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد
	٧ - رسالة في السمسرة والسمسار وأحكامه
١١٩	لابي العباس الابياني التونسي
	٨ - من كتاب المسائل والاجوبة
١٤٠	لمبدالله بن محمد بن السيد البطلبيوسي
١٩٠	٩ - في اللهجات المغربية والاندرلسية
٢٠٩	١٠ - ايراد اللآل من انشاد الضوال لابن خاتمة الاندلسي



## جدول التصويبات

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
السمار	السمار	١١٩	١
البطلومي	البطلوسي	١٤٠	١
الصوال	الضوال	٢٠٩	١









شمن النسخة ٢٠٠٠ فلس

المملكة العربية السورية  
مطابع الجمهورية السورية





COLUMBIA UNIVERSITY



0026812495

956  
Ir27

36

JAN 24 1974



